



سيلي و الخمولات

الكاتبة / جو مانا أسامة

إمينة محمد إسماعيل

ليلى
وأخواتها

مقدمة

أتعلمون ما هي قصه إن وأخواتها؟

عُذراً عُذراً، لم أقصد ذلك، يبدو أن تشبيهه الأستاذ حاتم قد قام بتشويش عقلي قليلاً..

احم.. فلنبداً من جديد

أتعلمون ما هي قصه ليلي وأخواتها؟

أن تتحول من شخص يدرّس شخصية تاريخية عظيمة مثل محمد علي باشا، الى شخص يعيش معه ويُضايقه!

فهو بالتأكيد ليس بالأمر الهين، ولكن ليلي..

تقدر على كل شيء!

فتاة مُشاغبة مثلها ظنت أن نتيجة أفعالها لن تأتي أبداً، ولكنها صُفعت من قسوة النتائج!

ليلى وأخواتها.. قصة.. لن تجد بها عبرة، أقصد.. أقصد ستجد بها عبرة!.. أستغفر الله.. ستجد إن شاء الله عبرة.. أتمنى ذلك حقاً!

ولكن ذلك لا ينفى فضولي الشديد برأيك أيها القارئ العزيز... في النهاية أريدك أن تعود إلى تلك المقدمة مُجدداً وتقرأها مُخبراً إياي:

هل حقاً ليلي وأخواتها قصة لم تجد بها عبرة؟

أم أن ليلي وأخواتها هي قصة، لم تجد بها سوى العبر!

الفصل الأول

"مشهد مُكرّر.. للأسف"

2008/4/1

"مدينة/السرو"

كَانَ الجوّ رَائِقًا، على عكس عادة أيام الشتاء الباردة نظرًا لأنها مدينة تَطُل على نهر النيل، كانت البنايات مُتراصّةً بجانب بعضها البعض كأنها تُحاول تدفئة بعضها البعض، بيوت ذات أربع أو خمس طوابق وقد ساد على شوارعها الهدوء التام عدا ذلك المنزل الذي كان أصغرهم، فكان مُكوّنًا من طابقين فقط، كان هُنَاكَ بعض الضوضاء أمام المنزل قبل أن يظهر رجل رفيع أشقر الشعر يقف وسط تلك الضوضاء بتوتر شديد تبخر فور أن خرجت إمرأه مُردده بفرحة عارمة:

"بنت، بنت يا محمد!"

وهُنَا صاح كل من يقفون فرحًا وقد كان هُنَاكَ عدة أطفال يهنتون أربعة أطفال فرحين جدًا عكس ذلك الفتى الذي كان يجلس ببؤس شديد يُطالع ذاك المشهد بضيق من بعيد.



2021/4/1

"مدينة/السرو"

في ذلك الطابق الثاني بذلك البيت ذا الطابقين، كان يصدح صوت جرس المنزل
ويوجد طرقات عديدة وصوت نسائي يُردف صائحا:

" ليلي، ليلي افثحي يا ليلي! "

وهنا ظهرت تلك الفتاة ذات البشرة البيضاء قليلاً وبشفتها الرفيعة تثنأب وهي
تقوم بفرك عينيها البُنيتين الواسعتين وقد كان شعرها البني الكثيف الناعم مُبعثر
بشدة مُردده بصراخ مُماثل وهي تحاول فتح باب المنزل و لكن بالفعل هي ما زالت
نائمه ولا ترى شئ:

" حاضر، حاضر يا طنط! "

قامت بفتح باب المنزل لتظهر تلك المرأة التي ترتدي عباءة سوداء ونقاباً مُردده
بهدوء منافي لحدة طرفها:

" فطرتي؟ "

وهنا نظرت لها ليلي بعدم فهم مُردده بغیظ:

" بقي كل الخبط ده أكن فيه حد مات وحضرتك تقوليلي فطرتي!، ماشي، ماشي
فهتمت تلميحك وهنزل أساعد تيتا في الفطار أهو "

قامت الأخرى برفع نقابها مُردده ببعض التوتر:

" أصل.. تيتا مش هتعمل فطار انهارده "

نظرت لها ليلي بشك مُردده بريية:

" هو ايه؟.. مالك يا طنط هَنا؟.. هو حصل حاجة ولا ايه؟! "

نظرت لها الأخرى ببعض الحزن مُرددة:

"بصراحة يا ليلي تيتا أسماء تعبت أوي انهارده ونقلوها على المستشفى وكل إخوانك راحوا معاها هناك وقالولي مقولش ليكي".

خمس دقائق، فقط خمسة دقائق مرت، قبل أن تركض ليلي داخل ممرات المشفى والدموع مُتجمعة بعينيها تبحث عن غرفة جدتها، كادت تقع بجسدها الرفيع ذلك ولكن ظهر فتى قمحي البشرة، ذا شعر أسود مثل عيونه الضيقة، مُتوسط الوزن من إحدى الغرف، لاحقًا بها في الوقت المُناسب لتردد سريعًا:

"أحمد!"

وفور أن اعتدلت رددت بخوف كبير:

"تيتا مالها يا أحمد!"

هرب الآخر من نظراتها التي تُحاوطه وهُنا تأكد شعورها بأن شئ سئ قد أصاب جدتها، لتدفعه من أمامها مُقتحمة الغرفة التي خرج منها وهُناك كان يجلس شاب ذا بشره بيضاء وعيون خضراء يرتدي نظارات طبية دائرية ولديه جسد نحيف ينظر أمامه بحزن دفين مُرددًا:

"يعني هي هتفوق من الغيبوبة دي امي يا دكتور؟"

وما كاد يجيب الطبيب حتي صرخت ليلي بصدمة:

"غيبوبة!"

اصطدمت عينيها بجسد جدتها الهزيل، الذي يقبع تحت أجهزة كثيرة وهي مُغمضة العينين يبدو عليها الإعياء الشديد.

تجمعت الدموع بعينيها وشعرت بدوار طفيف أثر ذكري غائبة لاحت بالأفق وكأن المشهد يُكرر ذاته مرة أخرى، شعرت بالدوار يصبح أقوى الآن وقد أضحت تستمع فجاء لصوت بُكاء طفلة صغيرة تصرخ:

" ل، ل أنا عايزة ماما، أنا عايزة بابا، متمشوش لـ"

نظرت لمكان جدتها، ليُخَيِّل لها أن هناك امرأة متوسطة العمر، تتمدد مكان جدتها، بينما هناك طفلة صغيرة تبكي بصمت وهي جالسة أرضًا تمسك بيد والدتها بشدة!

"ليلي انتِ كويسة!؟"

ردد بخوف كبير، قبل أن يسير مُسرعًا إلى ليلي لِتُردف بعد أن مسحت دموعها الحارقة من على وجنتيها:

"أنا بخير، متقلقش يا زكريا"

تنهد بقلق، قبل أن يفسح لها الطريق، لتركض هي جالسة بنفس وضعية تلك الطفلة الصغيرة مُنذ زمن، تبكي أيضًا بصمت وهي تشد على يد جدتها.



بعد مُرور عام

صدح صوت المُنبه بكل مكان في تلك الغرفة المُظلمة، حاولت الأخرى أن تغلقه وهي مُغمضة العينين، لكن لم تستطع حتى الوصول إلي مكانه مُعتمدة على سمعها، قررت

تجاهله والنوم فقط بسكون، لكن قطع راحتها تلك إقحام مُفاجئ من زكريا تبعه قيامه بفتح أنوار الغرفة ونوافذها أيضًا، ليدخل النور والهواء البارد من كل مكان مُزعجًا إياها بحق.

"ليلي، يا ليلي إصحي يلا، هتتاخري على المدرسة!"

تجاهلته مُرده بنعاس شديد:

"بكره، بكره هروح، انهارده أجازة "

إبتسامة صغيرة لاحت على شفتيه وهو يردد:

"ومين قال بقي إن انهارده أجازة؟"

"أنا الي قولت، أنا الوزير، وأصدرت قرار بده حالًا، نظرًا لحاجتي للنوم فترة ما بين يوم ليومين كده"

ضحك بعفوية على ردها وأيضًا.. على شعرها المُبعثر بشدة.

قام بتحريك نظاراته الطبية وهو يفكر بشئ ما، قبل أن تظهر علي وجهه إبتسامة شريرة تبعها إزالته للغطاء من على ليلي، قبل أن يمسكها من قدمها ساحبًا إياها على الأرض تحت صراخها، مُرددًا بعزم:

"هتروحي المدرسة انهارده يعني هتروحي يا ليلي"

إرتدت ملابسها المدرسية بضجر كبير، تلتزم فقط بالزي اليوم نظرًا لأنها لا تود أي توبيخات أو كلمات سيئة تضايقها في المدرسة اليوم، غير ذلك، فبال تأكيد كانت

سترتدي تنورة بلون آخر.. أو حتى حجاب آخر، أو كانت سترتدي أي شيء يجعلها تشعر بأن ملابس المدرسة ليست الأسوأ بالعالم، على الرغم من أنها كذلك!

نظرت للمرآة الصغيرة في غرفتها، فقد كانت غرفتها تحتوي على سرير صغير يُقابله من الجبهة الأخرى "تسريحة" أخرى صغيرة في حين أن هناك خزانة أيضًا صغيرة الحجم بجانب "التسريحة" ومقابل الإثنان من الجبهة الأخرى كانت هناك أريكة كبيرة.

تنهدت ليلي وهي تُحاول أن تجمع شعيراتها بقوة، قبل أن تقوم بتعديل حجابها بحيث لا يظهر أي شعيرات مُتطايرة من الأمام أو الجانب، قبل أن تنظر لذاتها بالمرآة مرة أخيرة مُرددة بغمزة مُضحكة:

"والله قمر يا لولو"

أمسكت بحقيبتها الوردية ذات الأشكال الطفولية لتخرج من غرفتها ناظرة إلى صالتهم، صالة مُتوسطة الإتساع، بها أريكة تُشابه التي بغرفتها وتلفاز مُعلق أمامها وطاولة صغيرة بالمنتصف وفي الجانب يوجد طاولة أخرى أكبر تقابل أربع أبواب، غرفة مطبخ مُتوسطة الحجم بجانبها باب المرحاض وغرفتان نوم لإخوتها.

بمناسبه ذكر إخوتها رددت بتفكير:

"أوووه، ده علي تعبان انهارده، ما أروح أطمئن عليه وأقول لأحمد وزكريا إني همشي"

وهنا دقت على إحدى الغرف المُغلقة قبل أن تتفاجأ بفتى قمحي البشرة ذا عيون بنية وشعر بني مثلها تمامًا ضخم البنية يبدو وكأنه قد تخرج لتوه في حين أنه فقط في الصف الأول الثانوي، أي يكبر ليلي بعام واحد!

"علي!"

رددت بذهول لتكمل:

" اوعى تقولي إنك اتجننت وصحيت عشان توصلني بجد! "

ليغمز لها مرددًا وهو يتجاوزها:

"إنجزي يا لولو عشان متتاخريش ومس لمياء المُخيفة دي تزعلك "

نظرت له بضيق مُردده:

"علي إنت عيان وأنا معدتش صغيرة أقدر أروح المدرسة لوحدي عادي، بس انت اللي مش قادر تتقبل ده وهتيجي على نفسك وتطلع بره في البرد ده وتتعب أكثر وهتبقى مبسوط صح!"

لم يجيبها مُتجاهلاً إياها بعد أن جلس علي السُّلم خارج باب المنزل يرتدي جِذائه لتتنهد هي وقد كانت على دراية تامة بعناده الشديد، لتتنظر من باب الغرفة قبل أن يصدح صوت ناعس وكأنه شعر بها:

"ادخلي، ادخلي يا أُختي"

ضحكت على طريقته لتدخل وتجد أخيها أحمد يُحاول أن يفتح عينيه ولكن لا يستطيع، نظرت له ضاحكه وهي تردد:

"واضح إني أزعجتك زي ما المدرسة أزعجتني"

ابتسم بلطف شديد، قبل أن يقف فاتحًا زراعيه بلُطف أكبر لتبتسم هي إبتسامه تكاد تصل لأذنيها، قبل أن تقوم بإحتضانه بحنو، فهو الوحيد الذي يعوضها عن الحنان

الذي فقدته مُبكرًا، فعندما تضيق بها السُّبل، فقط تلجأ لهذا الحُضن الأخوي الجميل، الذي يُغنيها عن أي حديث.

ابتعدت ناظرة له وهي تردد بمشاكسة:

"ااا، ناس بتجري على المدرسة وناس غايبة من مُحاضراتها" ضحك بنعاس لم يزل لتردف هي وقد خرجت من الغرفة تكاد تُغلق الأنوار:

"نام نام يا أخ أحمد، شكلك هتموت وتنام كأنك يعني مش نايم من إمبراح العصر!"

ضحك بخفة قبل أن يعاود النوم في غرفة كان بها سريرين مُقابلين لبعضهما و"تسريحة" صغيرة كخاصة ليلي وخزانة ملابس صغيرة أيضًا.

نظرت للغرفة الأخرى، لم تهتم حتي بدق الباب فقد لاحظت أنوارها المفتوحة وهي تعلم تمام العلم ماذا يفعل أخيها الآخر الآن، قامت بإقتحام الغرفة صارخة بمرح:

"زيكوووووو"

ليفزح الآخر ناهضًا من على مكتبه المليئ بل المُكدس بالكتب والمذكرات وكانت غرفته بها سرير ذا دور آخر فوقه وأيضًا سرير آخر مُقابل لهما، في حين أنه كان يوجد خزانة صغيرة مع مكتبه الذي يوجد بجانب باب الغرفة مُباشرةً، مكتبه الذي كان لا يتركه أبدًا.

نظر لها الآخر والشرر يتطاير من عينيه، لتضحك هي باستمتاع كبير، قبل أن تردف:

"لا مفيش.. كنت هقولك صباح الخير بس، يا أخي ميبقاش دمك تقيل كده

أها!، دانت جاررني من أوضتي جر انهارده!"

ما كاد يجيبها حتي أغلقت الباب وسط قهقهات علي الذي كان يُتابع ما يحدث مُنذ اقتحمت الغرفة على زكريا، ليردف بضحك شديد:

" لا لادي في الجون دي "

لتضحك هي الأخرى معه.

وصلت المدرسه بهدوء، قبل أن تودع علي الذي عاد مُجددًا الى المنزل، كانت المدرسة بعيدة ولكن ليس كثيرًا، لهذا وصلت بوقتها المُحدد، بدأت الحصة الأولى، لتدخُل ليلي وهي تعرف تمامًا وجهتها، كانت وجهتها هي المقعد الأخير بالصف الأيمن. مقعد هادئ ومنعزل يُمكنها من الاسترخاء والعيش بعالم آخر جميل نظرًا لإحتواء الفصل على إثنان وأربعين طالبة، فكان ذلك يُتيح لها الإختفاء تمامًا عن الأنظار.

جلست بهدوء لتضع رأسها على المقعد ببعض النُعاس حتى تأتي المعلمة. حضرت المعلمة ولكن لم تكن وحيدة ككل مرة، بل كان لديها رفقه!

كان هُناك طالبة جديدة، تعيسة الحظ كما همست ليلي، لتواجهها بذلك الفصل البغيض.

قد تظنون أن المعلمة ستقول اليوم لدينا طالبة جديدة وستقوم الطالبة بالتعريف عن نفسها وإلخ، لكن لا تحلموا كثيرًا فذلك بالأفلام فقط، فبالفعل ما قالته لها المعلمة كان:

"مفيش أي مكان غير ورا هناك جنب ليلي، ادخلي اقعدني"

هُنا جحظت أعين ليلي لتمسك بحقيبتها جانبا مردده بضيق شديد:

" لا لا مفيش مكان يا مس، خليها تقعد جنب حد تاني "

ولكن المعلمة تجاهلتها فقط بقولها:

" شيلي الشنطة يا ليلي، شيليهيا وخلي بسملة تقعد "

نظرت ليلي لتلك التي تُدعى بسملة بغیظ دفين، قبل أن تُزیح حقيبتها قليلاً مُردده بضيق:

" مفيش غير الجزء ده الفاضي من الديسك، أكيد هيبقي صغير عليكي، أنا تخينه جدًا لعلمك فمش هترتاحي معايا، شوفي ليكي أي بنتين تانيين رفيعين واقعدي جنبهم "

حاولت الأخرى كتم ضحكتها بصعوبة وهي تنظر لجسد ليلي الرفيع بشدة لتجلس مُردده بلطف:

" مش مشكلة، أنا بحب أقعد مع الناس الطخينه جدًا زيك " نظرت ليلي إلى الحائط بجانبها بضيق بينما اعتدلت بسملة في جلستها والضحكة لا تفارق وجهها.

جاء موعد الفسحة، لتنظر بسملة ل ليلي التي لم تقل حرف منذ الصباح بحيرة، قبل أن تردف بابتسامتها المُشرقة:

"تيجي نزل الملعب ناكل؟"

تجاهلتها ليلي وهي تضع رأسها على الطاولة مُردده:

" مش جعانه "

فكرت الأخرى قليلاً مردفه بحيرة:

" طيب ينفع تيجي معايا تعرفيني على المدرسة عشان أنا لسه جديدة؟ "

" شوفي أي حد تاني يعرفك.. أنا مش هنزل "

صممت الأخرى قبل أن تردف وهي تعاود الجلوس:

" خلاص أنا مش هنزل برضو وهقعد معاكي، تيجي نتعرف على بعض؟ "

نفخت ليلي الهواء بضيق غير مستعدة بتاتاً لإجابتها لتُكمل الأخرى ببسمه طيبة:

"أنا اسمي بسملة وليد، عندي 13 سنه ونص يعني داخله صغيرة سن، عارفة.. أنا كنت ساكنه مع عيلتي في القاهرة، بس الأصل إن بابا من السرو فجدو تعب وهو قرر يقعد لبقيت السنة هنا معاه وأنا جيت على المدرسة دي، أنا كنت في مدرسة لغات على فكره وقدمت في لغات برضو هنا في بلد جنبكوا مش فاكرة اسمها بس متقبلتش لإني صغيرة سن والخ، بس عادي مش فارق معايا أصلاً لإني حاسه اني حبيت المدرسة وحييتك، شكلنا هنبقي صحاب حلوين و"

قاطعتها ليلي مُرده بحدة:

" مش هنبقي صحاب يا جميلة وروحي شوفي حد تاني توجعيله دماغه بقصتك اللذيذة دي وسيبيني في حالي! "

انكمشت ملامح الأخرى بصدمة، قبل أن تتجاهلها ليلي متجاوزة إياها وقد أخذت حقيبتها مُرتديه إياها خارجة من الفصل في حين أن الأخرى تجلس مُتصنمه بمكانها!

انتهى اليوم الدراسي وبسملة قد التزمت الصمت تمامًا، شعرت ليلى ببعض الندم ولكن لا وألف لا، لا تريد أصدقاء، لقد سئمت ذلك الموضوع، يكفيها إخوتها فقط، هم فقط من يحبونها بحق.

كانت تسير ببطء.. تنظر أمامها بفراغ للطريق وقد شغل بالها أنها لم تجد علي ككل مرة ينتظرها، بينما كانت فتاة ذات حجاب مُبعثر قليلاً وجسد مُمتلئ قليلاً، بيضاء بشدة، تُلاحقها مُردده بعفوية: "ليلى أنا نفسي نبقى صحاب.. قولتلك قبل كده أنا.. أنا ناقله جديد، للأسف كنت مخزولة من صحاب كثير.. أنا بحس إني مش شخصية وحشة والله، إديني فرصة بس واتعرفي عليا وصدقيني حاسه إننا هنبقي صحاب حلوين أوي وعمرك ما هتخذليني زيهم!"

إبتسامة صغيرة ساخرة ظهرت على محياها، بدأت بعض الذكريات الصغيرة تلوح هُنا وهُنَاك أمام عينيها كأضغاث أحلام، تستمع لصوت قهقهات على الرغم من عدم وجودها غير برأسها المُشوش.. تستمع لأصوات أخرى تُذمها وأصوات تسخر منها وغيره، لقد جُرحت بما فيه الكفاية، لقد حاولت بما فيه الكفاية.

وهُنا نظرت لبسملة مُردده وقد ظهر إنطفاء عينيها البنية واضحًا:

"متخافيش أنا مش زيهم، أنا أسوء"

وقفت بسملة تطالعها بملامح مُبهمة وقد تجاهلتها الأخرى مُختفية عن ناظرها تمامًا بعد أن إنعطفت لأحد الشوارع المؤدية لمنزلها.



الفصل الثاني

"حلم العمر"

"علي، أحمد"

نظرت لباب منزلها بعدم رضا لُتردّف بنبرة أعلى:

"زكريا، حد يفتحلي، يا جماعة أنا نسيت المُفتاح!"

وهنا، تفاجت بأحمد يقوم بفتح باب المنزل بملامح غريبة وقد كانت الأضواء مُطفئة من حوله لُيردّد بضيق:

"اشمعنا انهارده نسيقي المُفتاح!"

نظرت له بعدم فهم وما كادت تدخل حتى تراجع بفرع شديد صارخة فور أن قام أحدًا بإطلاق مُفرقات قبل أن تُفتح الأنوار لتجد إختها الثلاثة مجتمعين حول كعكة غريبة جدًا ويغنون لها مُحفّلين بعيد مولدها الذي قد نسته بالفعل!

إبتسامة واسعة شقت وجهها وهي ترى بالفعل مُحاولتهم الفاشلة بإعداد كعكة جيدة لها لتدمع عينيها قبل أن تهول باتجاه علي محتضنه إياه!

"لا لا لاده أنا كده أغير أها!"

ردد أحمد بغير رضا وهو يضع يده في خصره مُرددًا بتحسر:

"يا خسارة أحضانك يا واد يا أحمد الى باعتها كلها بعد كده وإترمت في حضن واحد

تاني"

ضحكت وهي تحتضن علي لتبتعد مُردده:

"كنت قلقانة أوي، أول وآخر مره متجيش تأخُديني!"

رددت مُحذره ليرد ف بسخرية:

"ده على أساس إنك معدتيش عيلة صغيرة وإنك إسترونج اندبندد ومان وأنا اللي مش أقادر استوعب مثلاً؟"

"لا أنا عيله، عيله واوعى تكررها تاني اتفقنا؟!"

ضحك بخفة ليدفعها مرددًا:

"اشطأ معدتش هتتكرر"

أمسكت ذراعها ببعض الألم ليدفعه زكريا بغيظ مرددًا:

"خف ايدك اللي عامله زي الشاكوش دي من على البنت شوية، مش هترتاح انت غير لما تكسر لها ذراعها صح!"

ارتفعت قهقهات على وأحمد في حين نظرت لهم ليلي بحب حقيقي قبل أن تنظر للكعكة مُجددًا التي كانت وللحق يبدو شكلها مقزز جدًا فهي لونها أسود مُتفحم ليس شوكلاته وفوقها "كريم شانتيه" يبدو مثل المياه تقريبًا!

وهنا نظرت لهم بخبث مُردده:

"إلا قولولي يا رجالة، مين المُبدع اللي جاب طريقه الكيكه دي وعملها!"

وهنا أجاب أحمد بلهفة:

"أنا جبت الطريقة "

ليُردد علي بفخر:

" وأنا نزلت جبت الطلبات كلها "

وجهت أنظارها لزكريا الذي ردد بضحك:

" اوعي تظني فيا الظن الوحش ده، انا بس تابعتها في الفرن وهي بتستوي، غير كده
مشاركتش في المقادير "

"تابعت الكيك وانت بتذاكر صح؟"

ابتسامه بلهاء ظهرت على وجهه في حين ردد أحمد بغيظ:

"واضح أوي صح؟"

وهنا كاد يقوم علي بلكم زكريا عندما أمسكه أحمد مرددًا بصراخ: "يبي هتبوظ وشه
يبي لا وشه ولا جسمه يستحملك يبي! " في حين تراجع زكريا بخوف بينما كانت
ليلي تنزع حجابها بعشوائية لتركض بضحك واقفه بين زكريا وعلي وأحمد الذي
يمسكه ويحاول منعه عن ما ينوي فعله مُرده بضحك:

"ولما يموت يعني وتروح عليه تالته ثانوي اللي طلعت عينه من ساعت ما بدأها تاخذ
انت ذنب مذاكرته؟"

ردد علي بضيق شديد:

"ايوه والله ده صوت مذاكرته بتضايقي أوي وأنا بلعب فري فاير "

صرخ زكريا بغیظ شديد مُرددًا:

" بقى مذاكرتي بتدايقك وإنّ بتلعب فري فاير يا فاشل ياللي مفتحتش كتاب من أول السنه زي الفاشل الثاني اللي جنبك! "

وهُنّا نظر أحمد له بغیظ فبل أن یبتسم بسخريه مرددًا وهو یترك ذراع علي:

" انتّ اللي جبته لنفسك، محدش قالك تخبط فيا "

وما كاد علي یلكم زكريا حتي ركض الآخر دافعًا لیلی بعلي الذي وقع على أحمد الذي كان يعطيه ظهره وبالتالي سقط ليرتطم وجهه بالكعكة!

لحظة صمت مرت عليهم غير مدركين بعد ما حدث، قبل أن تقف لیلی لتسقط مجددًا من كثرة الضحك على وجه أحمد الذي لم يرفعه بعد من على الكعكه غير مُدرك ما حدث!، اقترب زكريا ليرفع جسد أحمد قليلًا وهُنّا سقط هو الآخر ضحكًا على وجه أحمد الذي كانت الكعكة كاملة به ليقوم أحمد بلعق شفثيه مُرددًا بابتسامه بلهاء:

" طب والله طعمها حلو، أنا ظبطت المقادير المره دي! "

وهُنّا قام علي بأخذ قطعه كعكه كانت على عين أحمد متذوقًا إياها ليضيف:

" صحيح زكريا فحمها، بس اشطا فعلاً طعمها حلو ويا حلاوة بقى الكريم شانتيه اللي مظبوط بالسنتي "



مرت ساعة على مُحاولتها لتنظيف المطبخ من كل تلك الأطباق وغيرها نظرًا لتجاربهم الفاشلة في حين كان علي يقوم بمسح آثار الكعكة من على الأرض وزكريا ينظف الأريكة وأحمد يقوم بكنس الأرض فهُم قد اعتادوا على مساعدة ليلي بأي شيء حتى لو بسيط بالمنزل نظرًا لموت والديهم وهي بعمر الثامنة فقط وعدم قدرة جدتهم على التنظيف دائمًا.

خرجت ليلي من المطبخ بإرهاق شديد، قبل أن تردف على حين غُرة:

"مفيش جديد عن تيتا صح؟"

أجابها أحمد بدون النظر إليها:

"لأ، الدكتور يقول احتمال زي ما الغيبوبة استمرت سنه تستمر أكثر، ادعي يا ليلي، تيتا أسماء مش محتاجه غير الدعاء بس " تفرقت الدموع بعينيها، قبل أن تتنهد بضجر صارخه فجاء ليفزع علي:

"يا رب"

قبل أن تركض إلى غرفتها صافعة الباب ورائها في وجههم!

نظر زكريا لأحمد ليجد الدموع قد تجمعت بعينه بالفعل ليردف ببعض التوتر:

"ليلي شكلها مش أحسن حاجه انهارد، الأحسن نتحجج لوائل بأي حاجه ونخليه يبقي يكلمها في موضوعه ده بعدين"

ولكن سرعان ما تمتم علي بسأم:

"انت بتقول ايه يعم ده إبراهيم جاي انهارده وأكيد هيكمل عليها، طبعا لازم نخلي وائل يأجل موضوعه"

وهنا ردد أحمد ببعض الاختناق:

"مش قدامنا حل غير كده، ليلي عمرها ما هتقبل بالي وائل هيقله، فرينا يستر بقى".
في حين جلست ليلي على سريرها بتعب، تبكي بصمت، نظرت بجانب سريرها لتعلق عينها على جملة مكتوبه بقلم سبور ه بخط فائق الجمال "ليلي حلم العمر ♥"
تنهدت بوجع، قبل أن تردد بهمس:

"استفدت ايه يعني لما جبت حلم عمرك يا بابا عشان يطلع عينه كده، دانت حتى مُت بعد 8 سنين بس من ولادة حلم العمر وخذت ماما معاك، جبتني للدنيا دي ومشيتوا ليه يا بابا؟، ايه يعني لما ميتحققش حلم عمرك، كان هيحصل ايه يعني مدام انت كده كده هتموت وتسيبه!!"

صممت مجدداً.. منذ مرض جدتها و قد تكفل عمها الصغير بأمر طعاهم، تقوم بطهيه-طنط هنا- كما تقول لها ليلي ويذهب علي لاحضاره من بيت عمه الذي يسكن بعد عدة بيوت بجانبهم، فقد رزق الله عمها وقام ببناء بيت جميل لذاته. شعرت فجاه بحنين لأخيها بل أبيها الروحي وأكثر من تحب بذلك البيت... وائل، أخيها الكبير وائل، يعيش هو بإنجلترا مُنذ انتهى من دراسته بجامعة الطب، مُنذ ذلك الحين وهو يرسل لإخوته المال اللازم لأغلب احتياجاتهم، تقوم هي بمراسلته كل يوم وياتصال فيديو كل يومين أو ثلاثة نظراً لإنشغاله الشديد بعمله. وهنا وقفت هي لتخرج مُجدداً من غرفتها مردده:

"عايزة أكلم أبيه يا.. "

وما كادت تكمل جملتها حتى اصطدمت عينيها بذلك الرجل ذو الشعر الأصفر والأعين الخضراء والوجه الأبيض الشبيه لذكريا تمامًا وكأنه نسخة منه ولكن قصير قليلاً ومُمتلىء بعض الشيء.

شعرت بتوتر غير مُبرر قبل أن تردف:

"إبراهيم!..!..إزيك؟، جيت امتي؟"

وهنا حدجها هو بنظرة باردة قبل أن يردد ببرود:

"لسه جاي"

مُتجاهلاً إياها وقد سحب حقيبته الجرارة مُتجهاً الى الغرفة التي يقطن بها أحمد، كانت ليلي قد اعتادت على تلك المعاملة الجافة بغير مُبرر منه، لذا حاولت أن تُظهر لإخوتها بأنها لم تهتم كثيراً ولم تُجرح الآن بشدة مُردده وهي توجه حديثها لأحمد مُحاوله أن تكتم دموعها بقوة:

"ينفع تجيب فونك أكلم أبيه وائل؟"

توتر وجه أحمد ناظراً لأخويه، قبل أن يردف ذكريا بحرص:

"لازم يعني انهارده؟"

رددت ليلي بتشكك:

"غريبة يعني هو أبيه مشغول ولا ايه؟!"

أردف علي سريعًا:

"اه، كنا هنكلمه ونندهلك، بس قالنا انه وراه شغل تقيل ومش فاضي، إن شاء الله
هيكلمنا بكره"

تنهدت ببطء، قبل أن تردف بإنطفاء:

"ماشي، هنام، تصبحوا على خير".

توجهت لغرفتها وكادت تُغلق الباب قبل أن تردف فجاءه:

"زكريا، متصحنيش، مش هروح المدرسة بكره لو عملت إيه!".



وقفت فتاة صغيرة ذات شعيرات بنية ناعمة كثيرًا ووجه ضاحك أمام العديد من
الطلاب وقد كانت تُمسك بورقة مرسوم بها العديد من الأشخاص لُتردد امرأه كبيرة
بابتسامة:

"يا لي لي عرفينا مين في رسمتك "

ابتسمت الاخرى باتساع قبل ان تردف بطفوليه:

" الاتنين دول ماما وبابا، ماما شبيهي جدًا وشبه أحمد وعلي برضو أنا شبه ماما في
عيوني وشعري وأني رفيعة وأحمد شبه بابا في جسمه وعلي شبه بابا في عيونه وشعره
برضو، انما زكريا وإبراهيم، فهما شبه بابا جدًا عيونهم خضرا وبشرتهم بيضا ، يعني
زي ما تيتا بتقول دايماً إحنا مشكلين جدًا! "

"الأخير هنا، الى لابس لبس سوبر مان، ده أخويا الكبير وائل، أكثر حد بحبه فيهم، هو أكثر حد بيحبني برضو وبيهتم بيا، وبيجيلي كل يوم شوكلاته وأنا وهو شبه بعض جدًا ماعدا بس انه عنده عضلات وطيووب وماما بتقول إني شقية وشريرة"

ثم قامت بإصدار ضحكة كشريرة بأحد أفلام ديزني ليضحك جميع الأطفال أمامها بلطافه قبل أن تربت عليها المعلمه مُردده برضا:

"جميل يا ليلي، يلا حد تاني يجي ويحكنا زي ليلي كده" .

استقيظت ليلي فجاء بتوتر، كان حُلْمًا عاديًا ولكن.. مؤلم!، تلك الفترة من حياتها كانت جميلة بشكل مؤلم!، جميلة بشكل قبيح!

نظرت للساعة بجانبها، كانت الخامسة صباحًا، استغفرت ربها، قبل أن تذهب لتُصلي الفجر مُقررة أن تحضر لهم اليوم إفطار جميل للغاية وترتدي ملابسها لتذهب إلى مدرستها حتى تحضر دروسها وتُذاكرها فهي لا تأخذ دروسًا بل اعتمادها الكامل على المدرسة حتي لا تُكلف أخيها وائل كثيرًا، على الرغم من أنه عرض عليها كثيرًا بل حاول إجبارها على أخذ دروس، لكن لا حياة لمن تنادي.

إنتهت من صلاتها وحضرت إفطار متنوع واطعمة إياه على الطاولة في صالة المنزل .

قامت بالدق على غرفة زكريا، فبال تأكيد اليوم قام علي بالنوم عنده نظرًا لنوم إبراهيم مع أحمد بالغرفة الأخرى لتسمع صوت زكريا يسمح بالدخول، الذي تفاجأ فور دلوفها مرددًا وقد كان مُكبًا على بعض الكتب:

"لا لا لا مستحيل تكون دي ليلي غيبوبة النوم إلي أعرفها! " ضحكت بخفه وقد انتبهت لعللي الذي أفاق سريعًا مرددًا وهو يقف بقلق جعل قلبها يدق من حُونه:

"الساعة كام! أنا آسف واللّه يا ليلي في ثانية هلبس ومش هتتاخري على المدرسة
متقلقيش"

وهنا نظر لذكريا ليصبح به بغضب:

"مش أنا ماكد عليك تصحيني بدري عشان أجهز ومأخرهاش لو قررت تروح!"

"بس لسه أصلاً ساعة عن معاد إنها تروح المدرسة!"

ردد ذكريا مُستنكراً لتبتسم ليلي مردده:

"أنا صحيت بدري انهارده وعملت فطار لو عايزين تظفروا، عموماً هدخل بقي أعمل
أي حاجة قبل ما ألبس"

أوما لها علي براحة كبيرة في حين أنها غادرت بإبتسامة واسعة.



"ليلي محمد، ركزي معايا وكفاية كلام!"

تركت ليلي القلم التي كانت تلعب به قبل أن تردف بإحتجاج رامقة بسملة بنظرات
نارية:

"كده ظلم، دي تالت مرة يا مستر وأنا أسكت، بسملة الي قاعدة بتتكلم مش أنا!"

ردد الآخر بغضب:

"بتدي عليا يا قليلة الذوق!"

وهنا دمعت عينا الأخرى قبل أن تتفاجأ بها بسملة تُلملم أشيائها في حقيبتها لترتديها
مُردده بعصبيه:

"عديني"

وقفت بسملة سريعًا ليردد الأستاذ وهو يرى ليلى تسير باتجاه باب الفصل:

"انتِ راحه فين يا بنت!"

لم تنظر له ليلى حتى مغادرة الفصل بعدم اكتراث له!

شردت بسملة في ما حدث وشعرت بالندم الشديد، انتهت الحصّة لتأخذ بسملة
حقيبتها راكضة أسفل لتبحث عن ليلى وهُنا سمعت طالبتان تتهامسان:

"أول مرة في حياتي أعرف إن ليلى ليها أخ كمان، فكرتهم الي بيوصلها وذكريا ده والي
مسافر وأحمد عشان كان جالها قبل كده!"

وهنا سألت الأخرى:

"وانتِ شوفتية فين ده؟"

"جوا عند المديرية، ده فيه معارك جوه مع مستر حاتم ومستر نبيل عشان باين مستر
نبيل زعلها!"

اتجهت بسملة سريعًا إلى غرفة المديرية لتستمع لصوت يُردف بعصبيه:

"دلوقتي أنا مقولنش لحضرتك أي حاجة غير إنك تهتم بليلى شوية هي مش بتاخذ
دروس في أي مواد مش أمر انها مش بتاخذ عند حضرتك أو حاجه وبعدين يا مستر
حتى لو بتاخذ عند حد تاني دي حاجه تعود ليها ولفهمها حضرتك بتزعها ليه؟! "

صدا صوت آخر يردف بهدوء:

"أحمد، أحكم نفسك، نقدر نتفاهم بصوت واطي"

"هو علا صوته الأول! وبعدين أنا محدش يزعل ليلي بالذات لو بدون وجه حق"

ابتسامه بسيطة ظهرت على وجهه بسملة وهي تستمع لتلك المُحادثة بدون أن تشعر
ليُردف صوت آخر غير من تكلموا:

"وأظن أستاذ حاتم فهمنا إنه موصي الكل عليها"

وهنا أردف صوت أستاذ حاتم مُدرس اللغة العربية اللطيف الذي يُحبه الجميع:

"عشان كده بقولك يا أحمد اعتبرها غلطة، ليلي بنت مُحترمة ومؤدبة وشاطرة ما
شاء الله، كفاية إخوانها بل بل كفاية وائل أخوها ونعم التلاميذ والأبناء والله، بل
كفاية أستاذ محمد رحمه الله ونعم الصديق طول العمر وزوجته مدام أميرة المُحترمة
رحمهما الله"

لم تفهم بسملة من هؤلاء ولكنها خمنت أن وائل ذاك أخيها، لكن، لم تفهم بعد من
الآخرين وتتمني أن لا يكونوا قريبين جدًا من لي... قاطع تفكيرها صوت غليظ والذي
كان لأستاذ نبيل الذي صرخ بليلى من قليل:

"أنا احترم طبعا إن ليلي فقدت والديها من وهي صغيرة بس أنا فعلاً منتبهتس خالص
إن مش هي الي بتتكلم"

"إحنا كلنا عارفين إننا كلنا مش هنا عشان بس موضوع إنك زعقلتها وفكرتها بتتكلم،
بس طبعا هنعمل مش واخدين بالننا ونلم الموضوع المرة دي بس، بس حابب

حضرتك زي مانت عارف كده إن ليلي فقدت والديها من وهي تمن سنين، اعرف برضو إن ليلي وراها خمس رجالة وأول واحد مستعد يبقي جنبها في أي لحظة اللي في إنجلترا، مش هقولك حتى أنا! "

ردد أحمد بعصبية مُفرطة وقد إحمرت عيناه السوداء بغیظ وتصبب جبينه ببعض العرق.

أحمد شاب ضائع، فور أن تنظر له للوهلة الأولى ستظن انه مجرد شخص تافه لا يفكر بشئ ذا قيمة، ولكن لا أحد يدرك كيف عمل أحمد في عدة وظائف حتى يكون ذاته فهو غير ناجح دراسيًا، ولا أحد يعرف مكانة ليلي بقلبه، فليلى ابنته أكثر من أنها أخته، يجتهد هو كثيرًا ويعمل على جعلها تعيش سعيدة، يبذل قصار جهده لتكون بصحة جيدة ومطمئنه. ويمكننا أن نقول بطريقة أوضح كما قالها هو في تلك اللحظة تحديدًا:

" ليلي بالنسبة ليا خط أحمر، اللي يزعلها كأنه قتلني مش زعلني "



كانوا يسيرون في ملعب المدرسة بضحك وقد كان أحمد يُمسك بيد ليلي ويُحركها للخلف وللأمام بمُزاح في حين زكريا يبتسم لهم مع غياب إبراهيم وظهور علي بملابس مدرسته وقد انتهى من دوامه وجاء ليأخذ ليلي فوجد إخوته!

في حين ردد الأستاذ حاتم بغیظ شديد الذي كان يتبعهم ويبدو أن أحمد قد دايقه مُنذ قليل:

"أنا عارف.. أنا عارف والله العظيم إنكوا ست حروف ناسخة هابطة ساقطة ملكوش
رحت اللازمه.. الأصول مامتك يا قزمه انتِ كانت تسميكي إن... و بكده تكون الفرقة
إكتملت، مآنا عارف وائل، عارفه ده كان زي النار زيكوا كدهو!.."

أجاب أحمد بتذمر وهو يشيخ بيده بعدم إكتراث:

" ما خلاص بقى يا أستاذ أفرشتاين ، يلا يا ليلي ما نمشي من المدرسة الحر البرد اللي
فيها كل فصول السنة دي"

صرخ الأستاذ بعدم تصديق:

"أفرشتاين!!... أفرشتاين يا جاهل ياللي عمرك ما خدت كلمة في العربي والي درسلك
عربي جاهل زيك بالضبط!"

ولكن وجهه أصبح مثل الطماطم فور أن أردف زكريا بتلقائية:

" طب ما حضرتك الي مدرسلنا كلنا عربي يا أستاذ حاتم؟! "

نظر الإخوة لبعضهم البعض قبل أن ينفجروا ضحكًا راکضين سويًا وقد إنتبه الأستاذ
لهم ليركض خلفهم بغضب هادر وهم يكادون يموتون ضحكًا!

الفصل الثالث

" ١٨٠٧ "

" لولتي الحلوة أخبارها إيه؟ "

ردد صوت حنون من الهاتف الذي أمام ليلى لثُردف ليلى بحب كبير:

"أبيه وحشتني أوي يا أبيه "

ابتسامة واسعة ظهرت على شفثيه لُيردد بإشتياق أكبر:

"وانتِ أكثر والله يا لي لي إن شاء الله أحاول أخذ أجازة وآجي قريب"

"هتنور الدنيا كلها بجد"

رددت بفرحة عارمة ليبتسم لها وما كاد يتحدث حتي حمحم أحمد وهو ينظر لذكريا

بنظره ذات معنى مُرددًا:

"اه فعلاً هتنور.. اه هتنور"

لم يفهم وائل ما السر وراء نبرة أحمد الغريبة، ونظرات زكريا وعلي الأُغرب، ف هما

كانوا أقرب من ليلى، هم أقرب، هم يعرفون جيدًا ما لا يعرفه هو.

"أومال فين هيمما؟"

ردد وائل بفضول لثُردف ليلى:

"خرج بس مش عارفه فين، أقولك على حاجة يا أبيه، انهارده لما رجعت من المدرسة لقيت فلوس في أوضتي، أنا متأكدة انها بتاعت إبراهيم، هو سابها لي، حسيت كده إنه اتبسط مني لما عملت فطار الصبح!"

ابتسامة مُتسعة كانت تشق وجه الفتاة في حين كان يرمقها أحمد بهدوء مُرددًا:

"ومين قالك انها بتاعته؟ "

"أصله كل أما يرجع من سكن جامعته بلاقي الصبح الفلوس دي ف بفهم انه هو حب يبسطني يعني، ولا هي مش بتاعته هو! "

ربت الآخر على ظهرها بهدوء مُرددًا:

"مش مهم بتاعت مين، المهم انك بتتبسطي، ده بالدنيا"

كان وائل يتابع ما يحدث، تنفس براحه فهو يعلم تمام العلم أن ليلي بأمان دائمًا إذا كان أحمد بجانبها، ف على الرغم من أنه يعلم تمام العلم أن أحمد هو من يضع تلك النقود ل ليلي كلما جاء إبراهيم وعاملها بسوء حتى تشعر بالسعادة، فأحمد لم يحب أن يُهدر فرحتها، وفضّلها على أن تعرف الحقيقة، ولهذا فهو مُرتاح لوجود أحمد في الأغلب بجانبها.

"المهم، كنت حابب أكلمكم في موضوع، أنا كلمت فيه إبراهيم من يومين، وحابب اديلكوا فكره عنه، وتقريبًا ده هيبقي السبب الرئيسي لأجازتي قريب"

وقف علي فجاه بعد أن كان يجلس أرضًا بدون النطق بكلمة ليدفع ليلي برفق حتى يجلس بجانبها على الأريكة، ومن الجانب الآخر كان يجلس أحمد، وهُنا اقترب زكريا قليلًا وهو يُحدق بليلى فقط بتوتر.

"إتفضل قول يا أبيه، خير حاجه وحشه ولا إيه!"

رددت ليلي بعدم فهم و لكن الآخر كانت الابتسامه تشق وجهه حقًا ليُردف سريعًا:

"لا لا طبغًا، إن شاء الله خير"

نظرت له مُنتظره أن يكمل حديثه و لكنه ابتلع ريقه قبل أن يردف فجاه:

"يعني انتوا عارفين إني وحيد في انجلترا و كده، فحببت أطمنكم وأقولكم اني الحمد

لله لقيت بنت مناسبة و هتقدملها عشان نتجوز لو في نصيب إن شاء الله"

توجهت جميع الأنظار ل ليلي، التي بدا و كأن دلو ماء بارد قد سُكب عليها تواءً مُردده

بهمس:

"تتجوز؟!"

ليُجيبها الآخر:

"اه إن شاء الله، وهجبها الأول مصر تتعرفي عليها و كده لانها كده كده من مصر

برضو"

ابتسامه مُفاجئه ظهرت على وجه ليلي على غير المتوقع، قبل أن تردف بنبرة غريبة:

"ده مقلب؟!، عايز تهزر يعني وكده صح؟"

ضحك وائل بعدم فهم لرد فعلها ذلك مُرددًا بنفي:

"لأ بجد، هو انت ادايقتي ولا ايه؟، دأنا فكرتك هتفرحي أوي!"

" لا لا أنا فرحانه، فرحانه، إن شاء الله تيجي بالسلامة، مع.. معاها! "

رددت تلك الكلمات على عجلة قبل أن تقف مُتجهة الى غرفتها بدون ولا كلمة!

"مالها يا أحمد!، في إيه!"

ردد وائل لِيُجيبه أحمد بابتسامة بسيطة:

"مبروك يا أعلى الناس، هي ليلي مش مظبطه انهارده بس عشان صاحية من بدري أوي، متقلش كله هيبقي قل إن شاء الله، يلا تصبح على خير يا حبيبي"

وهكذا طمئن وائل بكذب قبل أن يغلق هاتفه بضجر ناظرًا باتجاه غرفة ليلي بشرود مرددًا:

"كنت متأكد إن صعب تتقبل إن هيبقي في حياته حد تاني يهتم بيه أوي كده غيرها، بس الفكرة نفسها فعلاً بتخوف، إحنا كلنا شباب، كلنا مسيرنا هنتجوز، وهي.. هتبقى لوحدها!

دي مش الحقيقة، ده اللي هتفكر فيه دلوقتي، ده الي مش حقيقي، كلنا هنتجوز في يوم اه، بس هي نسيت إني هنا، جنبها، و مش هتحرك من جنبها لغاية ما تتجوز هي، وتخلف كمان، ومتبقاش لوحدها، فأبدأ أشوف حياتي، الي مُستعد معشهاش عشان بس خاطر عيونها!".



تجلس في غرفتها والدموع تتساقط من عينيها بهدوء، هذا ما كانت تخشاه، فرحة أخيها؟، ليست فرحة أخيها بالطبع، هي تتمني له السعادة كلها، لكن، فرحة أخيها بفتاة.. بفتاة غيرها!

اعتادت هي على أنها الوحيدة، الجميلة، التي تُنعش حياة فتیان لا يوجد ببيتهم أنثى غيرها.

فكرة أن تأتي فتاة اخرى تلك كانت كافية لتجعلها تعيش برعب حقيقي!

تُعاني هي من عدم الثقة بذاتها منذ بدأ التنمر القاتل عليها بعد وفاة والديها، بطبيعة الحال، كانت ليلي بتلك الفترة من عمرها غير مُتزنه نفسيًا، فقدت والديها مُبكرًا جدًّا، تعيش وسط أربعة «بل حينها كان وائل موجود» لذا كانت تعيش بين خمسة رجال لا يفقهون شيئًا عن كيفية الإعتناء بفتاة، جدتها ذات أحوال صحية مُتقلبه جدًّا خصيصًا بعد وفاة ابنها، بالتالي كانت بالوحدة الكافية لتجعلها تُعاني كثيرًا حتى تستطيع تقبل وضعها الجديد!

لم تكن زوجة عمها هنا مُقربة كثيرًا لها، حيث كان عمها وقت وفاة أخيه خارج البلاد ومعه زوجته وعادوا من فترة ليست بالكبيرة لذا كانت ليلي قد تدبرت أمرها بالفعل.

مهما كانوا إخوتها قريبين وحنونين معها، لن يعوضوا أبدًا الحنان والحب الكبيران الذي فقدتهم مبكرًا ، فهي حتى الآن كلما تذكرت تلك التصفيات الجميلة الرقيقة التي كانت تقوم بها والدتها لها تدمع عينيها، فهي لم تستطع يومًا أن تقوم بأحدها لذاتها، كلما تذكرت حنان والدها الكبير، ولعبه الدائم معها، تنهار باكية، شاعرة بمدى كبر وعظمة ما فقدت!

لم تكن ليلي بالقربيه كثيرًا من ربهها، يكفي الأمر بصلاتها وأن تقرأ سورة الكهف يوم الجمعة فقط، فبالفعل إخوتها مثلها، عدا وائل القريب جدًّا من ربه، والذي لم ينتبه أبدًا لأهمية نُصح وإرشاد ليلي لذلك.

كبرت ليلي بدون مُرشد حقيقي، بدون مُعلم وقدوه حقيقية، فقط مُنطويه على ذاتها في بيتها، كل من تراهم وتتعامل معهم هم إخوتها، أكبر داعم لها بل داعميها الوحيدين، لذا ف ليلي بطريقة ما، فاقدته للخبرة الحياتية، مثل القطة التي فور أن خرجت من جحرها جُرحت فقررت عدم الخروج مجددًا أبدًا، حتى وإن ماتت بمكانها!

قاطع افكارها صوت طرق هادئ على باب الغرفة، قبل أن يُفتح جزء صغير منه ليظهر وجه أحمد مُرددًا بلطف:

"ممكن أدخل بليز؟"

تنهدت وهي تسمح دموعها ليدخل غالبًا الباب ورائه مُجددًا.

دلف ليجلس بهدء أمامها على فراشها وقد طالعتها مُنتبهًا لآثار دموعها وتورد وجنتيها، أمسك بيدها على حين غُرّه، وربت عليها بحنين كبير لوالدته، يُحاول أن يقول لها أي شيء، ولكن الحروف لا تخرج من فمه، يشعر أنه لو تكلم سيبيكي، ليس عليها، بل عليهم جميعًا، على ما وصلوا إليه بعد وفاة والديهم.

"إحكي بس مشاعرك، مش طالب منك غير ده"

ردد هذا بعد بُرّه لتنظر هي مُردده بضيق:

"لو كان الموضوع بالسهولة دي مكنش حد تعب"

"بطريقة ما الموضوع ده بيبيكي صعب قدام الناس اللي مش واثقين فيها ولا في حبيها
لينا بس"

نظرت له والدموع تتجمع بعينيها الواسعتين، كانت عينيها بتلك اللحظة كعينين طفلة صغيرة، صغيرة جدًا، أصغر مما يجب عليها تحمّله وتفهمه!

"أنا بس،، أنا بس خايفة ينساني!، هو الوحيد اللي سهل ينساني، لانه الوحيد الي بعيد أوي، بعيد زي النجوم!"

"وهل فعلاً وائل هيقدر ينساي بمجرد ما يجي حد تاني؟، هو عمره ما نساي ولا أهملك بمزاجه لحظه، تفتكري هيعمل كده دلوقتي؟!"

"ده الي أقصده بالضبط يا أحمد، بمزاجه، عُمره ما أهملني بمزاجه، وهو ده الي هيحصل بالضبط برضو، هتيجي البنت دي أيًا كانت مين، هتقعد معاه، وهتبقي هي كل الناس وكل حاجه شغللاه، ف هيضطر يأجلنا كلنا فترة، ولو مثلاً ربنا رزقه بطفل، ايه اللي هيحصل تفتكر؟، هينسانا خالص بقي، مش بعيد مراته دي تضايق بعد كده لما نيحي نكلمه، أو لما حد فينا يحتاجله في مشكله، كل الحاجات دي هتحصل ولا لأ يا أحمد، رد عليا!"

تنهيدة حاره خرجت منه، قبل أن يبعد يده هو فجاءه هاربًا بنظراته الى السماء التي تظهر من النافذة بجانبه لتُردد الأخرى بسخرية:

"مش عارف ترد لإن دي الحقيقة صح؟"

"مش عارف أرد لإني بنقي الطريقة المُناسبة الي هقدر أفهمك بيها اللي عايز أقوله".
كانت جملته كافية لتلجم لسانها، ناظره أرضًا بغير رضا، وهُنَا إعتدل أحمد في جلسته ليواجهها تمامًا، قبل أن يرفع رأسها له لتتلاقى نظراتهم، وهُنَا ردد هو بكل ثقة وهدوء:

" لازم تبقي مُتفهمة، على الرغم من كل اللي انتِ مريتي بيه يا ليلي، واللي المفروض يخليكي انتِ عندك حصيلة تجارب غير أي حد في سنك، ويخلي عقلك أكبر من غيرك، وشخصيتك أقوى من كده، إلا إني دايماً بحس إنك العكس، إن كل اللي مريتي بيه صغرك أكثر، خلاكي محتاجة تبقي صغيرة وضعيفة ومُنطوية بطريقة ما، خلاكي تياسي بسرعة، وتحلي كل أمورك بالعياط بس، وحققي نفسي أفهم ليه، بس ده مش موضوعنا.

ليلي، وائل فعلاً بعيد، وطول عمره هيفضل بعيد، وإن مبعدهش أكثر مش هيقرب أكثر، لإنه بالفعل طالع عينه، شغل الصبح وبليل و كل وقته شغل في شغل، هو بيحب شغله، بس كلنا عارفين إنه أحياناً بيعمل فوق طاقتة عشان يوفر فلوس أكثر، وكلنا عارفين إنه حاسس هُناك بوحده وحزن ملهمش مثيل، وعايز اقولك إني من أوائل الناس الي كنت بطلب منه يتجوز، لإن ده أفضل ليه، حتى لو أسوأ لينا! "

" بقى انتِ كُنت بتطلب منه كده يا أحمد!، طب وأنا! أنا إيه! مفكرتش فيا خالص؟! "

رددت بصدمة كبيرة ليردف أحمد بعدم فهم:

" أفكر في إيه يا بنتي، احنا قلبنا على وائل، احنا كلنا جنبك، وهو هناك لوحده، طبيعي يبقي محتاج حد يونسه! "

دمعت عيناها مجدداً لتصرخ به فجاءه:

" لا، مش محتاج حد، أنا موجودة لو احتاج، خليه ياخدني أعيش معاه، عشان أصلاً انتوا كلكوا مش بتفهموني، ومش بتحبوني، وانت أول واحد يا أحمد، مفيش حد بيحبني زي وائل، عشان كده أنا بحبه أكثر منكوا كلكوا! "

سقطت كلماتها كدلو الماء البارد على أحمد، ترك يدها هو سريعًا كأن ماسًا كهربائي مر بها.. نظر لها بحزن كبير، قبل أن يتحول لغضب هادر، لتتفاجأ به يقف مُرددًا بغضب شديد:

"أحمد أول واحد مش بيحبك، أحمد أول واحد مش فاهمك، بس لازم تقولي إن أحمد برضو أول واحد طالع عينه في الحياة دي من ساعت ما إتولد، عارفه يا ليلي، إنتِ أنانيه أنانيه وناكره للجميل كمان!"

خرج من غرفتها صافعًا الباب ورائه بغضب هادر لم يراه إخوته من قبل، قبل أن يأخذ مفتاح المنزل مغادرًا اياه بدون ولا كلمة وعيناه تُطلق الشرر!



غضب، كل ما يجتاحه الآن كانت كمية غضب هائلة، لم يُحب أبدًا أن يُخرجها بإخوته، أو حتى.. بليلى.

غبية، غبية كثيرًا تلك الفتاة، لطالما غار من حب ليلي الزائد كثيرًا لوائل، ولكنه أبدًا لم يضعه بعين الإعتبار كثيرًا.. ولكن بعد ما قالته، إحترق قلبه بشدة، فهو يقسم، بأن وائل لا يستطيع أن يفعل نصف ما يفعله هو ل ليلي، يقسم أنه يستطيع التضحية بحياته فقط لإسعادها، عكس وائل، البعيد، الذي إن حدث مكروهًا لأحدهم لن يستطيع حتى أن يعرف!

لا يلوم أخيه، أخيه يتعب وهو يعرف، ولكنه أيضًا يعمل، فقط تلك الأيام أتت عطله له نظرًا لظرف طرأ لصاحب عمله أدى إلى إغلاقه للمتجر الذي كان يعمل به، لذا

فهو وإبراهيم من ينفقون تمامًا على أنفسهم، على العكس فهو أيضًا يساهم ببعض المال للمنزل بخلاف إبراهيم الذي يقوم بإدخار أمواله.

لا يُحبها أيضًا!.. بل لا يفهمها، وقريبًا، ستقول أنها تكرههم جميعًا، ولا تريد رؤية وجوههم، كيف؟

.. كيف أمكنها قول ذلك، سيُجن حَقًّا!!

أضحت الساعة الرابعة فجراً، يظن أنها المرة الأولى أو الثانية بحياته التي يخرج بها ويجلس حتى ذاك الوقت فقط أمام البحر، يحاول تهدئة ذاته ولا يستطيع.. صحيح أنه كل فترة يأتي لمكانه المفضل المُعزل أمام البحر يُفكر مع ذاته بهدوء، ولكن تلك المرة الأولى التي لا يستطيع التفكير بطريقة هادئة، ولا يستطيع أن يُفرغ غضبه، فوعد ذاته أنه لن يعود للمنزل إلا بعد أن يصبح هادئاً مجدداً..

عاد الساعة الخامسة، صعد درجات منزله بهدوء، قبل أن يُدخل المُفتاح في باب المنزل وفور أن فتح الباب وقف متيبس الجسد، وهو يرى ليلي تجلس أمام الباب وعينيها حمراء كالدماء ودموعها مُنهمره قبل أن تقف راکضه إليه تحتضنه فور أن ظهر أمامها وأخذ يُحذق فيها بعدم تصديق!

كان مُشوشاً، شعر بغشاية رقيقة من الدموع تتجمع بعينيه، تَذكر والدته للحظة، ففي مرة كان ضائع وتأخر عن المنزل، وفور أن عاد مع والده الذي بحث عنه الى المنزل، استقبلته والدته بذات الطريقة..

"آسف، شكلي قلقتك عليا"

ردد بهدوء وهو يربت على ظهرها حينما هبطت دمعته منه فور سماعه صوت
شهقاتها المرتفعة، لم تكن قَلِقه يا أحمد، بل كادت تموت قلقاً، تموت ندمًا!

"أنا.. أنا آسفه والله، أنا مش قصدي، أنا بحبك جدًا والله يا أحمد، أنا بس، أنا بس
إتعصبت، معرفش أنا قولتلك كده ازاي، أنا آسفه والله، عشان خاطر بابا وماما الله
يرحمهم متزعل مني، أنا آسفه والله، والله آسفه، أنا.. أنا مكنش قصدي أزعلك!"

"يا باشا ياريت كل يوم تزعليني فارجع بليل الاقيكي قاعدة مستنياني وبتستقبليني
الإستقبال الجامد ده، ده يوم حظي العالمي ده"

ردد بضحكه خافته بعد أن مسح دمعته سريعًا وقد إنتبه ل علي وزكريا يقفون خلف
باب غرفتهم يتابعون ما يحدث.

"يعني بجد مش زعلان مني؟"

رددت وهي تبتعد لتنظر له بعدم تصديق ليردف بابتسامه صغيره حنونه:

"أنا أقدر أزعل أصلاً منك؟، عيب عليكي يا لولو، بس شكلك كده عملي كل ده عشان
متروحيش المدرسة انهارده صح؟"

ردد مُحاولًا تخفيف حدة الأجواء لتبتسم هي مردده:

"لا لا هروح لو انت عايز أروح"

ربت على ظهرها بهدوء مرددًا:

"لا طبعا ادخلي نامي دلوقتي، وأنا برضو هنام، وإن شاء الله تروحي المدرسة بكره".

دخل لغرفته هو بعد أن طمئن علي وزكريا عليه اللذان لم يُفكرا حتى بالبحث عنه
مدركين أنه كان فقط يحتاج للجلوس وحيداً، كان إبراهيم ينام في الفراش المُقابل
لفراشه ليتمدد هو بهدوء في فراشه، قبل أن يستمع لصوت أخيه يردد بهدوء:

"مش حاسس إنك بتحب ليلي زيادة عن اللزوم؟"

أجابه الآخر بلامبالاه:

"ليلى فاقده الحب، على الأقل أنا بحاول أدليها جزء منه، مش متجاهل أصلاً
وجودها"

تجاهل إبراهيم سخريته الأخيرة منه، مُردداً بعد تنهيدة طويلة:

"الحقيقه إنك إنت اللي محتاج حب، دي الحقيقه اللي انت بتخفيها عن الكل، انت
بتحب حب ليلي ليك، بتعمل كل حاجه عشان تشوف حبها ده، ومستعد تموت
نفسك عشان تشوفه من أفعالها وكلامها وعيونها قبل كل حاجه.. انت بتحب ماما
أوي، طول عمرك كنت الدلوع بتاعها، طول عمرك كنت بتشوف حنانها اللانهائي
ودلعتها الي بوظك، انت محتاج حب ماما يا أحمد، مش حب ليلي، وحب ليلي عمره
ما هيعوضك حب ماما، وحبك ل ليلي عمره ما هيعوضها حب ماما وبابا، كلنا بنعاني،
بس محدش واخذ باله إنك أكثر حد بيعاني.. أكثر من ليلي كمان، ببساطه لإنك أكثر
حد فينا ضايع ومحتاج مُرشد! "

كان الظلام مُسيطر على غرفتهم، كما سيطر الحزن على قلبه في تلك اللحظة، فقد صارحه بحقيقته المؤلمه، تقلب هو على جانبه ليعطي إبراهيم ظهره مُخفيًا دموعه، قبل أن يردف:

"كُلنا بنعاني بطريقه مختلفة، بس في النهاية، إحنا تقريبًا في نص طريقنا، عشرينات يعني، ليلي أصغرنا، لسه قدامها كثير، نفق جنبها أحسن ما ننشغل بمعانتنا عنها، لإن في النهاية، إحنا لو فقدناها مش زي لما هي اللي تفقدنا".



رحل إبراهيم في اليوم الثاني، وعلى غير العادة سار مع علي وليلي وأوصلهم إلي مدارسهم، كانت ليلي مُتفاجئه، ولكنه كان فعل غاية في اللطافة منه، على الرغم من عدم قوله أي حرف مُنذ رأَهم صباحًا، ولكن تلك خطوه جيدة تُعيد الأمل في قلب ليلي بأن أخيها سيتغير يومًا... ويحبها.

فور أن بدأت الحصه الأولى، دخلت بسملة وهي تلهث حيث كانت متأخره على غير العادة، جلست بجانب ليلي ببعض التوتر الغريب، قبل أن تردف سريعًا بينما المعلمة تتحدث:

"ليلي انتِ كويسه؟"

لم تهتم الأخرى حتى لتجيبها لتضيف بسملة:

"سمعت إنك أول امبارح كنتِ عند المديره، وإمبارح غيبتي، أنا آسفه لو إتسببتك بأي أذى، أنا بجد بعذر منك"

نظرت لها ليلي بهدوء قبل أن تردف برويه:

"إلي وداني عند المديرية مش الموقف ده بس، أكيد أنا مش بالتفاهه دي، المستر ده بيستقصدي من تانية إعدادي عشان مش باخد عنده درس، امبارح غبت لإني نمت متأخر جدًا فمقدرتش أصحى، متقلقيش أنا كويسه، و بالمناسبة.. مفيش سبب لإعتذارك"

كانت تلك المرة الأولى التي تجيب بها ليلي بإكتر اثار على بسملة لتبتسم الأخرى بإتساع قبل أن تفتح حقيبتها مُخرجه منها صندوق صغير دائري وردي، يبدو جذاب جدًا، لتضعها أمام ليلي بدون ولا كلمة.

"إيه ده؟"

رددت ليلي بعدم فهم لتردف بسملة بإبتسامه مُتسعه:

"افتحها"

نظرت لها بشك، قبل أن تفتحها لتتفاجأ بقلادة سوداء اللون بها قطعة معدن على شكل نصف قلب، محفور عليها بخط صغير جدًا اسم «بسملة» في حين كانت هناك واحدة أخرى بجانبها، لونها وردي، وبها قلادة نصف قلب أيضًا ولكن محفور عليها بخط صغير جدًا «ليلي».

كانت تلك المرة الأولى التي يهاديها أحد شئ بدون سبب، نظرت لبسملة التي أردفت سريعًا بتوضيح:

"السودا بتاعتك، قولت اكيد بتحبي الأسود، البنك بتاعتي، وحوار أسمائنا المتبدله دي طالعه ترند، أنا إلي عملتهم لينا، هدية بسيطة مني، مش هقولك عشان نبقي صحاب، اعتبريها هدية اعتذار، المهم تاخديها لإني بجد تعبت فيها عشانك!"

ترددت ليلي.. لا تريد أن تأخذ منها شيء، فتفكر الأخرى أن ذلك إشاره لبداية صداقتهما الموعودة، ولكن، نظرات بسملة البريئة لها، وجمال القلادة، جعلوها تُفكر مجدداً، ولكن راودها شعور سئ فجاه، لتحرك رأسها بمعنى لا قبل أن تردف بحذر:

"لا شكراً، مش هاخذها"

"أرجوكي.. أنا بقولك تعبت فيها عشانك!"

وهنا ترددت ليلي مُجدداً، قبل أن تأخذها لتقوم بوضعها في حقيبتها مُرده بإمتنان:

"شكراً"

وما كادت تجيبها الأخرى حتي صاحت المعلمة فجاه:

"ليلي، قومي قوليلي كنت بقول إيه الوقتي!"

وقفت بتذمر شديد قبل أن تنظر للعنوان المكتوب على السبورة أمامها سريعاً مُرده بذكاء عندما رأت مكتوب «ثورة الشعب المصري وتولية محمد علي»:

"حضرتك كنتِ بتتكلمي عن محمد علي الي تولى الحكم بعد ما حصل ثورات و اضطرابات في مصر"

نظرت لها المعلمة ببعض الشك قبل أن تردف بقله حيلة:

"طب اقعدني، بس ركزي معايا"

كادت تجلس الأخرى بانتصار عندما رددت المعلمة فجاه مُكمله:

"مقولتيش إنه رشح خورشيد باشا الأول قبله نظرًا لأنه خاف على جنوده من الثورة،
وده بياكد إنك مش مركزه ولا مذاكرة!"

"بس يا مس أنا قولت لحضرتك مضمون الدرس!"

"وأنا طلبت منك تقولي لي الي أنا كنت بقوله دلوقتي وهي دي تحديدًا الجزئية الي
كنت بقولها يا ليلي هانم"

نظرت ليلي بصمت الي الارض أمامها بضيق واضح لتردد الاخرى فجاء بعند:

"طيب يا ليلي، أنا هخليكي تذاكري وتحفظي الكتاب ده، قصدي تاكليه أكل كده،
قدامك يومين على يوم الخميس، تروحي انهارده تذاكري كل حاجه خدناها عن محمد
علي زي إسمك بل أفضل وتحضريي الدرس الي هشرحه بعد كده، ده غير البحث
إلي إنتِ هتعمليه عن محمد علي، والي لازم يكون معلوماته صحيحة يعني لو بحثت
الاقبيها، وتكون من مصدر موثوق ولو عايزه تستعيني بكتاب المدرسة، لكن الأساس
مصادر خارجيه، تكتبيلي اسمها كمان"

حدجتها بنظرة مصدومه مُردده بإحتجاج كبير:

"بس ده وقت قليل جدًا على كل ده يا مس و"

قاطعتها الأخرى بحده:

"ليلي، الي طلبته، إن متنفذش بدقه وضمير، مش أنا إلي هتصرف معاكي، انا هسيب
وائل هو إلي يتصرف معاكي!"

بهتت ملامحها فور ذكر اسم أخيها، لتومًا لمعلمتها بقلة حيله، قبل أن تنتهي الحصة.



الخامس من يناير ١٨٠٧

في غرفة فخمة جدًا، بل يمكننا قول ساحه من كبر مساحتها المغطاه باللون «البيج» الذي جعل المكان يبدو فخماً أكثر بجانب المزهريات الثمينة وبعض اللوح المعلقة لبعض الشخصيات أحدهم كان يجلس هو بعينه العسليتين، يُطالع الجنود أمامه كالصقر مُرددًا بلهجة مُتعصبه أمره:

"كيف يمكن أن يتم سرقة خزنة مصر وأنا هنا على قيد الحياة!، إذهبوا أيها الحُثاله، وأحضروا لي النقود المسروقة، والسارق، أو لا أريد رؤيتكم داخل البلاد مُجددًا!"
مُخفضين رؤوسهم، إنحنوا بكل طاعة، ليردد أهمهم مكانه بهدوء شديد يصطحبه الخوف:

"أمرك يا عزيزُ مصر"

رحلوا سريعًا وقد كان يجلس هو بلحيته البيضاء وعمامته البيضاء الكبيرة، لديه أنف كبير وعينين صغيرتين يظهر عليها الدهاء الشديد، مع جلسته المُتكبره بشدة، بجسده الممتلى، وبذلته الرمادية الثمينة التي كان يُزينها بعض القطع من الذهب.



العاشر من يناير ١٨٠٧

في أحد البيوت، على أطراف مدينة دمياط، كان هناك جنود يبحثون هنا وهناك في الظلام التام، فقد أكد عليهم عدم معرفة أي إنسان لسرقة خزنة مصر، سوى المشتبه بهم فقط.

يمكننا القول أنهم في خلال وقت قصير قلبوا المدينة رأسًا على عقب بحجة التفتيش والتأمين على الأماكن لأن هناك حركات تُعارض سياسة الحاكم وغيره من التفاهات وعلى الرغم من ذلك لم يعثروا على أي شيء، حتى شعروا بفقدان الأمل، وهم يدخلون آخر بيت على أطراف المدينة، بيت خشبي عتيق، مهجور منذ سنوات طويلة، هناك بعض الأساطير والشائعات من حوله، يخاف الجميع الإقتراب منه، لذلك ظل كما هو منذ إختفاء صاحبه!

دخله الجنود بهدوء، نظروا بعدم إكتراث لذلك الأثاث البالي بشدة أمامهم وقد ظهر عليه آثار إحتراق قديم وهم يضيئون الشعل حتى يرون ما بداخله، لم يهتموا كثيرًا لزحزحة حتى مقعد، قبل أن يلتفوا ليغادروا، وما كاد آخر جندي لهم يخرج حتى سمعوا صوت صُراخه وهو يردف:

"أنجدوني"

إقتحم الجنود البيت سريعًا، ليتفاجؤ بالجندي وقد علقت قدمه بين خشبتين مُتهالكتين من الخشب الذي يرفع البيت عن الأرض، قاموا برفعه سريعًا، ليشير أحد الجنود الآخرين مُرددًا بذهول:

"هناك شيء.. هناك شيء غريب، ذهبي، يلمع بشدة!"

اقتربوا سريعًا إلى المكان، ليجدوا بالفعل شئٌ ذهبي صغير، يلمع بشدة يكاد يعميهم حتى!

في غضون ساعات، كانوا قد وصلوا إلى القصر الملكي الفخم، ليتنحى الجنود جانبًا لكبيرهم حتى يدخل لملكهم ويعطيه ما وجوده!

"أسمح لي يا عزيز مصر.."

ردد أحد الجنود ذا شارب أسود طويل مُنحنيًا له باحترام كبير.

نظر له الآخر بعيون كالصقور، قبل أن يردد بإيجاز شديد:

"أرني ما بحوزتك عُثمان"

إعتدل الآخر وما كاد يتحدث حتى ردد بصرامة:

"إن كان شيئًا ليس ذا أهمية كما حدث مُنذ يومان مع جنود مدينة الاسكندرية الأغبياء ستحزن بشدة.."

تردد الجندي بتفكير يُردف الآخر بنصف ابتسامة صغيرة ظهرت على شفثيه وقد لاحظ تردده على الرغم من معرفته بمدى شجاعة ذاك الجندي بالأخص:

"أتعلم ماذا حدث لهم نتيجة لغبايهم وإهدارهم لوقتي؟"

لم يُحرك الآخر عينيه من على الأرض ليُكمل بقوة:

"أظن أنك فهمت مقصدي، هيا أجز، وإفعل ما يُمليه عليه عقلك، عقلك يا عُثمان، حتى لا تُلقى أنت وجنودك مصرعكم!"

كان عثمان ذاك ذا وجه بيضاوي قمحي البشرة، لديه ملامح مصرية أصيلة كما يقولون، كما إتصف بشجاعته وقوته وذكائه، لذا فإن الآخر دائماً يُحب أن يضعه تحت ضغط، حتى يرى عقله ذاك كيف سيعمل وقت الخطر!

"كما وصل إلى سيادتك، بيت مهجور، بحثنا به ليس إلا ولأننا لسيادتك، وجدنا به بالفعل شئ غريب جداً، ظننتُ أنه قد يكون ذا نفع لسيادتك، ربما يكون السارق قد جمع الأموال وصنعها ليختبأ منا عندما نبعث ببيته، أو ربما تكون دليل يُثبت إدانت أحدهم" إنتهى من حديثه المُنظم والمُنسق، قبل أن يُمسك بتلك الحقيبة البيضاء، ليفتحها بهدوء، مُرتدياً قفازاً شفافاً على يديه حتى لا يحدث سوء بها، وفور أن أخرجها من الحقيبة حتى ظهرت معالمها واضحة تحت الضوء الساطع بالقاعة!

كانت دائرة غريبة الشكل، بها عقريين، وجهتين طويلتين، ومن الداخل والخارج مطلية باللون الذهبي اللامع!

كان هُناك بعض الحُرّاس على جانبه عندما حمل عثمان ذلك الشئ الغريب، ليشير له بهدوء أن يقترب، وهُنا اقترب الآخر بهدوء حتى أشار له بصرامة لكي يتوقف في نقطة مُحدده، بحيث كان يبتعد عنه بخطوات، ويمُد يده بالشئ الغريب ذلك له..

نظر هو لذلك الشئ بهدوء، تحديداً نظر لتلك القطعة الزجاجية الدائرية التي كان أحد عقاربها على رقم عشرة والآخر على رقم واحد غير أنها كانت غير مطلية بالذهب، فهي كانت تلمع بشدة تحت الضوء، شعر فجاه بشعور غريب جداً يسري بجسده، حيث جعله بدون أي حذر يرفع يده، وكأن أحداً آخر هو من يدفع يده قام بوضع إصبعه الأكبر على السطح الزجاجي، وما كاد يتحرك حركة أخرى حتى لمع الشئ ذاك

باللون الذهبي من كل مكان ليتبخر هو من أمام جنوده فجاء ليرتمي عثمان أرضًا في
صدمة كبيرة جدًا!



في أحد الأماكن المُظلمة بشدة، ظهر ضوء ذهبي اللون لثانية قبل أن يختفي مجددًا
وقد كان هناك أحدًا ما يرمي أرضًا ينظر حوله بعدم تصديق، وقف بدهشة شديدة
غير مُدرك لماهية ما حدث له، قبل أن يصرخ فجاء عندما وجد الظلام يُحيط به من
كل جانب:

"عثمان، أيها الأحمق الغبي، أقسم أنني سأقتلك، سأحطم رأسك يا
خائن، أنتختفني؟!، أنتختف عزيز مصر يا حُثاله؟، أيخطف محمد علي يا
غبي"

الفصل الرابع

"عزيز مصر"

"طيب يا شباب دلوقتي أنا عايزة حل، محدش فيكوا معاه باقه توحد الله وتفتحلي جوجل، ده غير اني بحس بغباء لما ببحث أصلاً في جوجل، فشوفولي حل بقى الله يباركلكم!"

رددت محدقه في إخوتها الثلاثة، حيث كانوا يجلسون بغرفة المعيشة، أحمد يعبس بهاتفه غير مهتمًا بها، زكريا يمस्क أحد الكتب ويُراجعه بتركيز شديد، بينما علي يقوم بحركات رياضيه على الأرض!.

لاحظت عدم انتباههم لها، لذا صرخت على حين غره: "انجزوا، مش قدامي وقت، ردوا عليا!"

إنفضوا محدقين بها ببلايه، قبل أن يردف أحمد بغیظ شديد:

"لازم يعني تبوظلنا حاسة السمع عشان تلفتي انتباهنا؟، فين رقة البنات اللي كنت بسمع عنها دايمًا في الأفلام!"

"رقة مين في الزمن ده!، الأيام دي إن ممسكتش مطوه في إيدك وانت ماشي البنات الرقيقه دي هتزعلنا!"

نظر لها أحمد بصدمه كبيرة!، كيف يمكنها أن تتحدث بتلك الطريقة!

"يا خبتك يا ليلي يا خبتك!، انتِ بتتكلمي كده ليه يا بنت انتِ؟!!" ردد بصدمة كبيرة
لتضحك بشدة مردده:

"مصدوم مني ولا من المطوه؟"

"الصراحه.. من الإثنين!"

ضحكت هي بشدة قبل أن يردف زكريا بهدوء:

"ليا واحد صاحبي أخوه الكبير موهوم بالتاريخ والكتب التاريخية، كان قالي قبل كده
إن عندهم حيطه كاملة مشغولة من كتر كتبه، وأنا بعته دلوقتي وقالي إنه عنده كتب
كثير لمحمد علي، فلو كده ممكن أجبلك منه"



"عمري يعني ما سمعتك بتطلب حاجه ليها علاقة بالذاكرة يا علي"

ردد زكريا بتساؤل وهم يسرون في الشارع ليردف أحمد بسخرية:

"ببساطة عشان مبيذاكرش يا زكريا يا أخويا"

سخر علي منه مرددًا:

"شوف مين بيتكلم، أحمد زويل الثاني، اللي خد جايزة نوبل ست مرات!"

ضحك زكريا بشدة وهو يقوم بعدل نظارته الطبية ليردف أحمد بعد أن دفع علي
بخفة

"على الأقل أنا كده، مولود غبي، مش بعرف اذاكر، انما انت، ذكي في كل حاجة إلا في المذاكرة!"

"طب ما هيا هياها!"

ردد علي بضيق ليُردف أحمد:

"طبعا مش هيا هياها، لما يبقى عندك ذكاء ومش عارف توظفه في حاجه نافعه غير لما يبقى مش عندك أصلاً، أو عندك بس ضعيف، انت بتتحاسب على ذكائك المُهدر ده"

لكزه زكريا مرددًا بغمزه:

"دي نصيحة indirect ولا ايه؟"

ضحك أحمد بخفه مرددًا:

"!of course "

ثم أكمل:

"مهما بلغ مدى فشلي الدراسي، هيفضل عندي كلمتين انجليزي اتفضلك بيهم يا زيزو".

كانوا يضحكون قبل أن يردف علي بتفكير:

"هو بيت صاحبك ده فين! وبعدين موضوع الكتب ده أكيد ولا هنروح المشوار ده على الفاضي!"

"متفلقش، إن شاء الله كتب محمد علي هتبقى موجودة " "صحيح يا رجاله، هو
ميدوده يبقي مين أصلي ناسي"

رمق علي أحمد بسخرية قبل أن يردف زكريا بضحك:

"ناسي ولا مكنتش ذاكرت الدروس بتاعته في اعدادي؟"

نظر حوله ببعض الإحراج مرددًا:

"لا لا ناسي، ناسي، احنا فين وتانية إعدادي كانت فين!"

"بس أنا فاكر إن دروس محمد علي كانت في تالته إعدادي!، ياني بجد، أحمد فوق،

محمد علي عمرنا مدرسناه في تانية إعدادي!"

ردد زكريا وهو يكاد يموت غيظًا، لبيتسم أحمد بغباء، قبل أن يردف وهو يشير لأحد

الشوارع المظلمه بجانبهم :

"الشارع ده ضلمه كده ليه!، تعالوا نمشي منه"

رمق زكريا تعابير وجه علي الذي توتر مرددًا:

"لأ لأ نمشي من الضلمه ليه يا أحمد ما نمشي من النور اها!"

وهنا ابتسم كلاً من زكريا وأحمد بخبث نظرًا لعلمهم بخوف علي الشديد من الأماكن

المُظلمة ليقتربوا منه ببطء قبل أن يدفعوه بقوة الى داخل الشارع!

"آآآآآآآآآآآه"

"أيها الأحمق، قدمي!"

كانت الصرخة الأولى ليست صرخة مألوفه، أو مألوفه، ولكن غريبة، لقد شعر أحمد بالإرتياب، فذاك كان صُراخ علي، مُختلَطًا بصراخ آخر!

في حين أردف زكريا بضيق:

"شكلنا زقينا على حد"

غير منتبهين أبدًا الى الجملة التي صدح بها الآخر فور وقوع علي عليه..

وقف علي بضيق شديد، وما كاد يخرج من الشارع حتى أمسكه الآخر مرددًا:

"أيها المُحتال الحُثالة، انت من اختطفني صحيح!، أقسم أنني سأحطم وجهك، وسأفنيك بجريدة معزولة وحيدًا حتى تُجن، سأكون أكبر مخاوفك أيها القذرا!"

حاول علي أن يفلت من قبضته مرددًا بصراخ:

"انت اتجننت يا حاج ولا ايه، حُثالة ايه وفناة إسبيستون إيه! يا حاج ليك مزاج تتخانق اتخانق زي البني آدمين!"

ولكن الآخر لم يهتم أبدًا لما يقوله وقد تشبث أكثر بقميص علي مرددًا بتصميم:

"تظن أنك ستضحك على عقلي يا سميك الفِكر بتغييرك لطريقة حديثك! أقسم أنك لو تكلمت الصينية حتى لن تنجو من بين يدي." "

وهنا صرخ أحمد الذي استمع للحوار:

"ما تنجز يا علي، سيبك من عم الحاج صاحب قناة إسبيستون باين ده وتعالى! هنتأخر على عثمان صديق زكريا عشان نجيب ل ليلي حاجات محمد علي!"

فور استماعه لاسم عثمان واسمه في ذات الجملة، ترك علي فجاه متجهها الى صوت أحمد كالمجنون، قبل أن يمسكه من قميصه وقد خرج للضوء على حين غره مردداً بصراخ شديد:

"ها انت قد زُلت لسانك أيها الأحمق وتفوهت بها، إذا أنتم جواسيس عُثمان الخائن! أقسم أنني سأقطعكم إرباً إرباً، أنظنون أن جيشي لن يصل لي، هذا في أحلامكم إنه على وصول يا جُبناء"

ابتسامه صغيرة ظهرت على وجه أحمد على الرغم من الألم الذي سببه إمساك محمد علي له بقوة، فحديثه مضحك جداً بالنسبة له، يرى أمام عينيه رجل بدين جداً متوسط الطول، يرتدي ملابس عجيبة، و له ذقن نامية بشدة بيضاء، و وجه مُريب جداً، ولكنه... مُضحك!

"استنى استنى استنى، اوعى تقولي إنهم فتحوا سيرك هنا في السرو!"

ردد علي بعدم تصديق ليردف أحمد محاولاً كتم ضحكاته:

"يا علي سيرك ايه وبتاع ايه، ده كان في حفلة تنكرية، واتنصب عليه باين"

إنفجر كلاهما في الضحك، في حين كان يدقق الآخر في معالمهم، وملابسهم بغرابة وذكرياً يُتابع الموقف بعدم فهم، قبل أن يردد مشيراً له فجاه بغباء طاغي:

"هو حضرتك جبت اللبس ده منين؟، أصل حلم حياتي إني البس زي الفراعة وكده"

"فراعة!"

ردد محمد علي بذات التوقيت مع علي وأحمد اللذان إنفجروا ضحكًا مجددًا حتى أن علي جلس أرضًا من كثرة ضحكته.

من الواضح أن تلك العائلة هكذا، مهما بلغ ذكاؤهم فور أن يأتي موقف لا يحتمل سوى الجدية يذهب هذا الذكاء بعيدًا جدًا!

"زيكو حبيبي، انت الفالح اللي فينا في المذاكرة، عيب عليك، ولا انت حافظ مش فاهم!"

ردد أحمد بضحك ليبتسم زكريا ببلايه فور أن تفاجأ أحمد بلكمة مُباغته من محمد علي تفادها ببراعة!

نظر له أحمد بصدمة، ذاك البدين أكان حقًا على وشك أن يقتلع رأسه بتلك اللكمة القاتلة! كيف؟! وما كاد يفكر أكثر حتى تفاجأ بلكمة أخرى أطاحت به أرضًا تلك المرة!

"أنا لستُ غبي يا أبله، أين عثمان اعترفوا؟، من ليلي تلك التي تريدني وتجرات علي اختطافي!"

نظر الثلاثة لبعضهم البعض، قبل أن يردف علي وقد قام بتضخيم صوته بطريقة مضحكة:

"يمكننا أن نخبرك بهذا وقتما نشاء، ستندم على فعلتك ب أحمد، ولكن لا تقلق، الندم والألم قادمان قدامان لا مُحالة، لذا الآن دعنا نتخذ قرارنا، أسنقطعك إربًا إربًا ونرميك إلى الكلاب الضالة، أم سنعطف عليك ونأخذك للملكة ليلي، حتى تقر هي مصيرك بجلالته!"

حملك محمد علي به بغضب مرددًا:

"تلكم معي بـ إحترام يا قدر، أنا، أنا ملك مصر مُحمد علي، الذي لا يجرؤ أحد على مُجرد الإجابة عليه، تنظر لي بخفة و تتحدث معي بتلك الطريقة غير المهذبة، أقسم أنني سأكون أسوء كوابيسك!، أقسم أنني سأجعلك تندم على كل حرف خرج من فمك، بل سأجعلك تتمنى العفو ولا تناله يا حثالة!"

نجح مُحمد في بث الخوف في قلب علي وزكريا، على عكس أحمد الذي أزال بعض الدماء التي هبطت من أنفه بدون أن ينتبه إخوته، حملك به لثانية بتفكير، قبل أن يردف بهدوء:

"يلا يا زيكو، يلا يا علي، خلينا نمشي نروح مشوارنا عشان كده اتاخرنا على ليلي"
أوماً كلاهما و ما كادوا يتحركون خطوة حتى أردف مُحمد علي بعدم فهم:

"ما هذا؟، هل ستركوني حقًا!"

أوماً أحمد مؤكّدًا ليضيف:

"ألم تردف أن الملكة ليلي تُريديني؟، إذا كيف ستركني الآن وتذهب بكل بساطة!
ألستَ جسوسًا تابعًا لعثمان؟!"

طفح بأحمد الكيل ليصرخ به قائلاً:

"يا جدو بقي إبعد عني، انت عايش الدور كده ليه! حكم احنا في سنة 2022 يعني لو اللبس والميكب اللي عاملهم عشان تبقى محمد علي، و الكلمتين الي انت

حافظهم، مش هيمشوا على طفل لسه مولود حتى!، ولو زعلان عشان علي خبط فيك فحقك على راسي يا سيدي، سيبنا بقى نروح!"

"٢٠٢٢!"

ردد بهمس، قبل أن يصرخ فجاءه:

"هل أنا في عام ٢٠٢٢!!!"

نظروا له بضيق، ظننَّا مِنْهم أنه يخدعهم لا غير لكن الآخر أمسك وجهه بصدمة كبيرة مرددًا وكأنه أدرك حقيقة الأمر قليلاً:

"لا يُمكن، لا يُمكن!، ك.. كيف! مصر، مصر بحاجة اليّ، زوجتي، أولادي، يا الهي، تَبّا لخزنة مصر، وتَبّا لعثمان، وتَبّا لذلك الشئ الغريب الذي أتى بي لهذا!"

نظر له زكريا باهتمام، يُتابع رداً فعله الحقيقية جدًّا، ليردد محمد على حين غرة:
"لقد جنُّت من عام ١٨٠٧، إنه عامي الثاني بحكم مصر، مصر بحاجة اليّ في ذلك التوقيت، أترجاكم أرجعوني لزميني!"



"مين ده؟"

رددت ليلي وهي تضع يدها على خصرها بينما ترتدي عبائتها ذات اللون البنفسجي ليرد علي وهو يقلد وضعيتها ناظرًا إلى مُحمد علي الجالس على مقعد أمامهم بغباء:
"والله يا أختي ما أعرف، بس هو لزق فينا، وقولنا إنك عايزة شوية معلومات، ف علي حسب كلامه هو محمد علي، يعني جبنالك المصدر أهو وملناش بركه إلا انت"

في حين نظر محمد علي ل ليلي بصدمة كبيرة جدًا مرددًا:

"أَتَلِكْ هِي الْمَلِكَةُ الْمُبْجَلَةُ لَيْلَى الَّتِي تُرِيدَنِي؟!"

ضحك أحمد حتى كاد يسقط أرضًا فمحمد حقًا صدق تلك الأكذوبة ليردف زكريا وهو ينظر له:

" بقولك ايه، خلينا في المهم، هو حضرتك جيت إزاي؟، احكيلنا الي حصل قبل ما تيجي على طول، خلينا نعرف نرجعك مكان ما جيت! "

نظر له محمد بهدوء، قبل أن يسرد لهم كل ما حدث مُنذ سرقة خزنة مصر مع تحفظه على بعض أسرار الدولة في حالة كانوا جواسيس أو يستغفلوه!

نظرت ليلي له بابتسامة عريضة مردده بغباء يشع منها:

"يعني انت دلوقتي هتقعد معنا هنا في بيتنا، لا وكمان انت طلعت محمد علي الحقيقي!، ده كده فل الفل، كده بقى أخليك انت عملي البحث ب روقان وتكتب كل الي نفسك فيه، عشان المس تشيلني من دماغها بقى "

"ده كل اللي هامك!"

ردد زكريا بصدمة من غباء أخته ليردد علي بذات الغباء:

"صح يا ليلي لازم عقلك يبقى أكبر من كده، الواحد بقاله كثير ب يتدرب في الجيم ونفسه يلاقي حد يطلع عينه لحد ما يجيب نتيجة وكده، أهو الهدف وصل أهو "

لم تمر ثانية واحده حتى شعر بيد غليظة تدفعه بقوة مرددًا بصوت صارم:

"أيها الأبله، إعلم مع من تتكلم، أنا.. أنا مُحمد علي باشا، عزيز مُصر، لا أسمح لأحد بإهانتي، ولا بالسخرية مني، وإذا كنت تظن أنني ضعيف ما دمْتُ وحيداً، فسأُبهرك بمهارتي، وخبرتي برمي السهام و ركوب الأحصنة العربية الأصيلة، وغير ذلك من وسائل القتل والدفاع عن النفس، شكل جسدي يوحى بعدم قدرتي، ولكن يمكنني بكل سهوله إثبات العكس والفتك بك"

"شباب، انا خايفه، أكيد مش هيبات صح؟"

رددت ليلى بضحك، نظر الجميع لها بغرابة، لتُكمل ضاحكه:

"يا جماعة ده نفس الي قاله الولد اللي مش فاكهه اسمه ده في كرتون مش فاكهه اسمه برضو، بس هو كرتون حلو، بتاع قرصان كده وصحابه، بس حلو حلو، ما علينا، انت شبهه الي لابس برتقالي بقى، صحيح هو رفيع جداً، وحضرتك العكس تماماً، بس كلامكوا شبه بعض خالص، ايه رايك لو معرفناش نرجعك تشتغل في الدوبلاج؟، دانت هتجيب ذهب دهبيبي"

ضحك علي و ماكاد يتحدث حتى أردف أحمد بجديّة أخيراً:

"واضح إن الوضع مش هزار، الوضع جدّي، وأنا فكرت، وإتخذت قراري من ناحية الشخص ده!"

أكمل متجاهلاً نظرات محمد النارية:

"طبعا نظراً لانه قعد يترجانا، واحتمال بسيط يبقى من زمن تاني مش حرامي ولا قتال قتله زي ما أي حد طبييعي هيقول، وملوش بيت كمان ولا فاهم حاجه، فإحنا

هنستضيفه انهارده، انهارده بس، لحد ما نشوف اخرتها ايه، عشان كمان الوقت
تأخر، وليلى عندها مدرسه الصبح"

دببت ليلي بقدمها على الأرض عندما انتبهت لإشارات أحمد لها بعينه أن تذهب
للنوم لتردف بتذمر:

"يووه يا أحمد انا مش عايزه أنام لاء، أنا هقعد مع ملكنا شوية"

"ملكنا!"

ردد أحمد بغیظ بينما نظر محمد علي لها بابتسامه غريبة، قبل أن يحول نظاره
لكلاً من زكريا وأحمد وعلي، والبيت ونظامه الغريب حوله، حتى ملابسهم المريبه
جدًا، قبل أن يصرخ على حين غرة مرددًا:

"أرجعوني الى زمني"



كانت تتأمل تلك القلادة، وتتأمل اسم صديقتها عليها.. لحظه أقات صديقتها؟،
ابتسمت فجاه ببراءة، شعور جيد أن يهديك أحدهم شيئًا، تحديداً لو أحد.. لطيف!
إرتدت القلادة بهدوء، تشعر بمشاعر غريبة، للمرة الأولى تشعر بها، من أحد غير
إخوتها..

راقبت القلادة على رقبتها في مرآتها، لتبتسم برضا، قبل أن تُطفأ الأنوار وتختبئ تحت
غطائها، والإبتسامه تشق وجهها.

مر بعض الوقت، قبل أن تشعر بالعطش الشديد، لتقفز من على فراشها، مرتديه عبائه وحيجاب تحسبًا لاستيقاظ محمد ذاك في أي لحظة، يبدو مُختل على ما تظن، ولكنها تشعر بالأمان التام نظرًا لوجود إخوتها، وزاد شعورها بالأمان بعد ما قاله أحمد لها قبل أن تذهب لغرفتها

flash back

"أحمد... تعالى نام عندي في الأوضه، أنا خايفه، يعني، شكله مجنون!"

ضحك أحمد على حديثها، قبل أن يمسكها من يديها مرددًا بهدوء:

"لو أنا شاكك فيه بمقدار ذره عمره ما هيفضل هنا، وكمان انا هعلق عليكى أكثر لو سيبتك تباتي تحت في شقه تيتا لوحداك، فانتِ نامي واقفلي بابك بالمفتاح، وعمومًا أنا هسيب باب أوضتي مفتوح، لو حسيتي بس إنك خايفه، نادي عليا هتلاقيني في ثانية قدام عينيكى الحلوين دول"

ابتسمت بهدوء قبل أن تومأ له باطمئنان.

end flash back

فتحت باب غرفتها بهدوء.. المنزل يسوده الظلام، هي فقط تشعر بالعطش الشديد، ستذهب سريعًا لأخذ زجاجة ماء من الثلاجة، وتعود بخفة إلى غرفتها مُستلقية حتى تنام.

انتبهت لباب غرفة أحمد مفتوح لتبتسم بهدوء، مُعتمده على شعورها بالمكان حولها حتى لا تفتح الأنوار وتُقلقه، مُتجهه الي المطبخ بهدوء شديد...

دخلت المطبخ قبل أن تتوجه إلى الثلاجة ولكن فور أن فتحتها وإتضححت الرؤية حولها من النور الداخلي للثلاجة حتى شهقت بفرع شديد صارخه:

"أحمد!"

صدعت صرختها بكل انحاء المنزل، ليقفز كلاً من علي وزكريا من على فراشهم مُتجهين لمكان صوت ليلى، في حين أحمد كان في عالم آخر، أي أنه لا حياة لمن تُنادي..

ركض الإثنين باتجاه المطبخ، وفتحا نوره، ليصرخ زكريا بفرع فور رؤية ذاك المشهد، وعلي وقف متجمداً ينظر أيضاً بلا أدنى تعبير، ف ليلى الآن تقف أمامه في المطبخ فزعه كثيراً، في حين أن محمد علي يمسك بسكين حاد ويصوبه باتجاهها!



كانت تسير بخطوات ثابتة نحو الثلاجة، غير مُكرثه لذلك الرجل مفتول العضلات ورائها الذي يُردد بسخرية:

"ريا... يا له من اسم رائع، يا ريا"

تجاهلته وهي تقوم بفتح باب الثلاجة ليُكمل:

"يا ريا"

وهنا أردفت بهدوء:

"لا أحب الحديث الكثير صباحاً، أتمني أن تصمت قليلاً أطلس"

بهدوء شديد أخذت إحدى زجاجات الماء لتشرب منها في حين كان الآخر يردد بعند:

"ريا، يا ريا، ريا، ريا، ريا"

تجاهلته، حتى انتهت من الشرب، قبل أن تستند على باب الثلجة في هدوء مُردده:

"هادئه أنا، على الرغم من كم البشاعة التي بداخلي، انت لا تعلم كيف بإزعاجك لي تجلب بعض الأحاسيس القاتله بداخلي، التي أجيد التحكم بها إن قلّت، ولكن إن كُثرت.."

لا يمكنني أن أعدك بأن ما سيصدرُ مني سيعجبك كثيرًا، فأنا لم أستطع التحكم بتلك المشاعر من قبل، وانت تعرف أي قبر دُفِن به من كان السبب. "

أمسكت برأس الرُجاجة في يديها، قبل أن تغلق باب الثلجة لتستدير راحله وما كادت تخطو خطوتين حتى ردد الرجل من ورائها باستهزاء:

"ها قد جاء الوقت لأراكي قد أضحيتي قوية بعد طول ضعف يا ريا"

وما كاد يُكمل جملته، حتى أحكمت الاخرى إمساكها برأس الرُجاجة، لتتحطم وتتناثر شظايا الزجاج فور ان إرتطمت بالحائط خلف راس الرجل الضخم الذي تفادها بمهارة مرددًا بضحك:

"تبًا لكي ريا!، أحيانًا أنسى أنني أخيكى يا فتاة!"



"انت بتهزر ولا ايه؟، إرعى السكينة دي يا محمد باشا، يا... يا عزيز مصر، يا ملك مصر والشام والدولة العثمانية!"

ردد زكريا بخوف ولكن الآخر سقطت السكينة من يده فجاه مُرددًا:

"الدولة العثمانية!، الـ. الملك العثماني!، يا الهي يجب أن أذهب له بعد غد، إن لم أذهب سيعزلني من حكم مصر بكل تأكيد!!!"

"انت كنت هتقتلني!"

رددت ليلى بذهول غير مهتمه بما يقول ليُردف بعدم إكتراث وهو يخرج من المطبخ:

"لماذا أقتلك يا غبية، أنا ظننْتُكِ سارقة، تَسيرين مُتسلله و الأنوار مُطفئه، لقد جعلتيني أقسم على قتلك إن كنتِ سارقة!"

خرجت مُتجاهله إخوتها مُردده بعند وضيق:

"وهو فيه حرامي هيجي يسرق التلاجه؟"

"إذًا هل هُناك شخص طبيعي يقوم بالسير مُتسلل على أطراف أقدامه في ظلام مُنتصف الليل ويقوم بفتح المِبرد ذاك؟"

"قصدك يعني إني مش طبيعية!"

وقفت فجاه مُردده بحده وقد وضعت يدها على خصرها بتحدي ليقف مُحمد و قد نظر لها مرددًا بتحدي أكبر:

"نعم أقصد يا.. طفلة!"

شهقه صغيرة صدرت من ليلى قبل أن تردف بسخرية:

"فعلاً، أنا طفلة أوي بالنسبالك يا... جدو"

"لا تتعطيني هكذا، أنا لستُ جدك، أنا عزيزُ مصر!"

"وأنا يا جدو مش طفلة، أنا ليلي!"

"أنا لستُ جدك، وانتِ لستِ سوا طفلة تعترض طريقي الآن"

"وانتِ لستِ إلا جدو من خمستلاف سنة كان هيققلني في بيتي دلوقتي!"

"انتِ مُزعجة كثيرًا!"

"وانتِ مُزعج أكث"

قاطعها صُراخ أحمد الذي خرج تَوًا من غرفته مرددًا بحده:

"بس!"

"إيه شغل الأطفال ده!"

نظر كلاهما له قبل أن يعطي الإثنان ظهرهما لبعض عابسين مثل الأطفال! حدق بهم علي مستمتعًا جدًا بما يحدث، في حين زكريا كان مذهولًا من كثرة الأحداث التي تحدث دفعة واحدة!، بينما كان أحمد يراقبهم بحده وقد دار بخلده، أن محمد علي أسطورة الزمان، ليس إلا مجرد رجل كبير، بعقل طفل صغير أحيانًا..!



كانت تسير بهدوء صباحًا، مُتجهه إلى مدرستها بابتسامة مُشرقه كعادتها، وقد كانت تشعر بقلادتها تتحرك على ملابسها، وهي سعيدة بها كثيرًا!

مرت بأحد الشوارع الضيقة، التي كانت مُنيره بضوء ربها الجميل صباحًا، وبينما كانت تسير شعرت بشئ يصطدم بقدمها لتنظر أرضًا فتتفاجأ بساعة ذهبية تلمع كثيرًا ، شكلها رائع حقًا!

أمسكت بها بفضول تستكشفها، قبل أن تردد فجاه بمرح:

"ده موديل جديد ده ولا إيه؟، أظن إن الشكل واللون الذهبي الي بيلمع أوي ده مشفتوش قبل كده، ولا تكون ذهب!"

ضحكت على اثر الفكرة الأخيرة مدركه أن هذا درب من الخيال لا أكثر، ناظره حولها في محاوله لإعادتها إن كان صاحبها أسقطها الآن، ولكن الطريق كان فارغ تمامًا من حولها.. وضعتها مكانها أرضًا، وسارت عدت خطوات مُبتعده غير مكترئه لها، قبل أن تقف على حين غره، لتعود مجددًا مُمسكه إياها، وقد إرتسمت ابتسامة غريبة على وجهها!.

الفصل الخامس

"مدللة"

"مالك بتبصيلي ومُبتسمه كده ليه؟"

رددت ليلي بغرابة لبسمة التي تجلس بجانبها والتي أردفت دفاعًا عن نفسها:

"وانت مالك سرحانه وقاعدة تشتمني في محمد علي أكنه أكل أكلك كده ليه؟"

حدق الإثنين ببعضهما لثانية بدون إجابة، قبل أن يلتفت كلاً منهما للجهة الأخرى ناظرًا للأستاذ بتفكير..

إنتهى اليوم الدراسي لتركض ليلي مردده:

"معلش يا بسمة، مستعجله ف همشي بسرعة"

ولم تسمع حتى إجابتها، مُتبخرة من أمامها!، نظرت بسمة في أثرها ببعض الحزن، وقد كانت تضع يدها في حقيبتها.. وما كادت تُخرجها وقد لمع ضوء ذهبي، حتى أعادت ما بيدها مجددًا في الحقيبة بحزن..

ركضت ليلي لتجد علي بانتظارها لتُردف بدهشة:

"مروحتش المدرسة؟، مش انت كنت لبست اللبس الصبح!"

ليبتسم لها مرددًا:

"بصراحه حسيت فجاه إني عايز أنام، فرجعت"

نظرت له بشك ليضحك بشده مرددًا:

"تمام، عارف إني مش بعرف أكذب قد كده عليكي، أنا كنت هروح وبعدين جه في بالي فكره، فرجعت البيت وهتفهني الباقي لما نروح البيت بقي!"

وصلوا للمنزل، لتدخل هي ببعض الإرهاق، وماكادت تدخل غرفتها، حتى صرخت بفرح وهي ترى محمد علي يخرج من غرفة أحمد!

لم تصرخ لأنها لم تنتبه له، بل صرخت لذلك المظهر الذي بدا عليه فجاءه!!!

وهنا اقترب علي من محمد ليرد بفرحة عارمة:

"إيه رأيك بقي؟، ده هنسميه ديجيتال محمد علي، أو ممكن محمد علي الفين اتنين وعشرين!"

لم تكترث له ليلي، مازالت فقط تحرق بمحمد بصدمة، فقد تم حلاقة ذقنه البيضاء تمامًا، والقيام بقصة شعر له عصرية، غير أنه ارتدى ملابس أخرى عصرية عوضًا عن تلك البذلة الغربية، ليبدو كأى رجل في بلدها!

"يا أخي حرام عليك، راحت هيبته!"

رددت وقد ضحكت فجاءه وكأنها الآن فقط افاقت من صدمتها ليرد محمد بتذمر كبير:

"هذا ما أقوله، أقسم لكم أني لو عُدت لعالمي بتلك الهيئة سأقتلكم جميعًا!"

وهنا تسائلت ليلي بفضول:

"صحيح، انت عملتله كده ليه! ما جازي يرجع في أي لحظه!"

ظهر أحمد فجاه مُرددًا بسخرية:

"اه، ما هو شكله هيقم هنا خلاص"

نظر له محمد بأعين تطلق الشرر ولكن الآخر لم يهتم له مقتربًا من ليلى التي جلست على الأريكة مردده بعدم فهم:

"ازاي يعني مش فاهمه؟، طب والبتاعه الي جابته دي؟"

نظر لها علي مصححًا:

"الساعة.. كل وصف محمد بيقول انها ساعة"

قلبت عينيها بضجر مردده:

" ساعة، الساعة يا جماعة الساعة! "

ردد أحمد الذي جلس مواجهًا لها:

"هو ده بالضبط الي عملناه انهارده، بعد مانيت مشيتي، علي رجع وقال ما جايز تبقي الساعة دي جت معاه هنا وهو بيتنقل عبر الزمن، وساعتها يبقي فيه أمل يرجع، وفعلاً رحنا قلبنا الشارع ملقناش حاجه، وسألنا الناس ووصفنا الساعة ومفيش إجابته برضو، و دورنا الصبح و الضهر جايز حد يكون خدها ورجعها، بس واضح انها مجتش معاه، أو إنها اتسرقت"

"كلام منطقي"

رددت بتفكير ولكنها على حين غره تظرت لمحمد مردده بابتسامة بلهاء:

"بس ده اوعى يديك نظره وحشه عن بلدنا، احنا بلدنا غنية أوي، أوي أوي يعني لو مكنتش عارف، وتتسم بالأمانة والصدق قبل كل شيء، طبعًا باستثناء الغيبة والنميمة والمُقارنة بابن العم وابن الجيران، بس على العموم، هتلاقي عيل من الشارع خدها ولا حاجة، يعني متقلقش، لو فعلاً كده، عمرك عمرك في حياتك ما هتلاقيها تاني"

ضحك علي في حين ردد محمد وهو يحرك عينيه بيأس:

"يبدو أنني مُضطرب أن أكبح غضبي هذه الفترة، ولكن حقًا حقًا، إنكِ فتاة.."

رمقه أحمد بتحدٍ ليُكمل بتنهيده مُتراجعًا عما كان سيقول:

"رائعة... فتاة رائعة، أتشعر بالراحة الآن أحمد؟، يبدو أنه بعد قليل من الوقت وسأقول لك سيدي ولها سيدي، أكرهك عثمان، تبا لك وللجيش ولمصر، تبا للقصر الملكي وللخزنة، أريد العودة إلى مدينتي، أريد العودة إلى قولاً*(البلد التي نشأ بها محمد علي)!"

مر الوقت، لتجلس ليلى مساءً برفقة علي ومحمد في غرفة المعيشة، وهي تُمسك بورقة وقلم وبجانبتها كتاب الدراسات الإجتماعية الخاص بها، نظرت له كالمحققين مُردد:

"أمممم، بدأت تظهر أيام ثورة مارس ١٨٠٤ .."

نظر لها ببعض الملل لتسأل على حين غُره:

"بالمناسبة إيه سبب موقفك الإيجابي من الثورة مع إنك مش مصري ولا حاجة؟"

كانت لديها إجابة هذا السؤال في الكتاب بالفعل ولكنها أرادت أن تتأكد من صحة حديثه لتجده يفكر قليلاً قبل أن يردف ببساطة

"أنا لستُ بغبى حتى أنضم للوالي العثماني وأنا في ساحة أعداءه وحيداً، لقد خشيت على ذاتي، إن حدث نُقصان في عدد جيشي لن أستطيع أن أخرج من مصر، مارست خدعت أنني مُتعاطف معهم في البداية حتى أكسب ودهم وأظهر كرجل لا مثيل له حتى يثنوا على وأنا كنت عاشق لذلك".

ابتسامة صغيرة ظهرت على شفيتها، إنه صادق، بل إنه مُمتع!، يقص عليها تفاصيل لا يُمكن لأي مؤرخ الوصول إليها، بالتأكيد وجود مُحمد علي هنا الآن نتيجة لدعوات والدتها لها بالسعادة، لأنها الآن تشعر بغاية المُتعة والسعادة.

"طب وبالنسبة لخورشيد، ليه اقترحت إنه يتعين والي، حاجه غريبة يعني!"

"خورشيد كان شحص ساذج فاسق، سطحي جداً، لقد اقترحت تعيينه بعد دراستي لمصر وموقعها وغيره من مميزات، ومُنذ إنضمامي للثورة، وقد بدأت مصر تظهر في أحلامي، و بدأت في التخطيط للحصول عليها، وكان كبش الفداء هُنا هو خورشيد"

"وانت ليه مرشحتش نفسك من الأول مدام نفسك تيمسك الحكم؟"

"عزيزتي ليلي، في البداية، الشعب حينها كان مُهان، أن يقوم بإختيار والٍ كان فكرة مُستحيلة، غير أنهم لو لاحظوا من البداية ارادتي ل الحكم لشعروا بخدعتي، وفهموا لماذا إنضممت لهم في الثورة، هذه الأمور ليست لعب أطفال يا صغيرة، إنها تُدعى تقنيات ذكية!"

حركت عينيها بسخرية منه وما كادت تردف السؤال الآخر حتى سأل هو باستغراب شديد وقد أدرك فجاه ما يحدث:

"من أين لك بكل تلك المعلومات؟، ألسنا في عام ٢٠٢٢؟، إذا كيف يُمكنني معرفة كل ذلك!"

نظرت له، بالتأكيد لن تقول أنها تدرسه، ليس لشيء سوا لأنه لو كان صادق، فهو أتى من عام ١٨٠٧، وهي تعلم ما حدث حتى السنة الماضية حتى في البلاد، إذا فهي تملك المستقبل بالنسبة لمحمد علي، وتلك فرصة، لا يمكنها الإفراط بها أبدًا!

"ملكش دعوه، سحر خاص، السحر اللي جابك هنا هو نفسه اللي عرفني الحاجات دي"

"أريد أن أخبركي بشئ مهم جدًا جدًا ليلي، أظن أنني سأكون أول من يُخبرك به، حتى كتاب السحر الخاص بك لن يقوله لك"

نظرت له باهتمام كبير ليُفاجأها برده:

"أنتِ أكثر فتاة مُزعجة رأتها عيني!"

أثناء مُشاجرة الإثنان كان يجلس زكريا وأحمد يُراقبان الوضع من بعيد، ليُردف زكريا بتفكير:

"أنا مش فاهم حاجه لحد دلوقتي!"

نظر له أحمد ليردد بضيق:

"مهو ده اللي قاعد جنبك عشانه، الراجل ده لو بيعرف يمثل كان استغرب من كل حاجه هنا وقعد يستفسر، إنما اللي يخوف إنه مُكتفي بإنه يبص ويراقب من بعيد بس!"

"نفس تفكيرى، مش بحسه مذهول أو حاجه، وهو أصلاً جاي من قرون فاتت!"

قاطع حديثهم صوت ليلى التي رددت بصوت مُرتفع:

"أنا مش غيبية، ومش مُنلله ولا غيره، انت اللي منك لله، ايه منلله دي!، مفكر إني مش هفهم إنها إختصار لكلمة منك لله!"

نظر محمد علي لها باشمئزاز مرددًا:

"ماذا!!، هذا أكبر دليل على توارث الغباء في عائلتك، أنقذي هذا الحُثالة، إنه يكاد يموت أرضًا من كثرة الضحك على غباؤك، يا غيبية!"

نظرت لأخيها الذي ينام أرضًا ويضحك بشدة ليُكمل بهدوء:

"ثانيًا، مُدللّه تعني أن كل متطلباتك مُتاحة، فهذا يجعلك تظنين أن الجميع سيوفر لكي متطلباتك تلك، وتجبريهم على ذلك، فتجعلهم ينعثوك بالمُدللّه، ومن مُراقبتي لكم كعائلة مُنذ يومين، أنتِ غايه في الدلال، وهذا خطأ، خطأ كبير، لأنك لن تستطيعي مُواجه الحياة بمفردك أبدًا، وهذا يزيد من نقاط ضعفك، ويزيد من فرصة استغلالك سريعًا وتدميرك بسهولة!"

نظر زكريا لأحمد الذي كان يشد على يديه بقوة في حين أن الدموع تجمعت بأعين ليلى وكف علي عن الضحك رامقًا محمد بصمت تام!

"أنا.. لحظة، أنا اي؟!، حضرتك متعرفش حاجة، حضرتك مفكر نفسك فاهم وعارف كل حاجة، ومفكر إن زمنك ده، متغيرش ولسه زي ما هو، بس لأ، اتغير، وكل اللي حضرتك شايفه ده، ميجيش ذرة من اللي بيحصل لأي حد تاني، حضرتك بتقول مدللة، وغيرك بينظري بشفقة، حضرتك نظرتك سطحية على فكرة!"

تنهد الآخر، قبل أن يتفاجأ الجميع به يعتدل في جلسته وينظر لليلي، مرددًا بنضج:

"عزيزتي ليلي، إنني أحترمك، وأحترم زمينك، والفروقات، وكل ذلك، لكن لاحظي، إنني في زميني، كنت حاكم مصر، أعلم أنها مجرد سنة قضيتها لا أكثر، لكني أؤكد لكي أنني أملك طموحات لا حد لها، وأستطيع تحقيقها بمرور الوقت، أنا لستُ غبي عزيزتي، إنني مررت بألف وألف موقف، لقد تمت خيانتني من أعز أصدقائي مرارًا وتكرارًا، لقد كنت يتيمًا لمدة طويلة جدًا، بدون أبوين، بدون حنان، بدون حتى طعام وشراب!، لقد كنت في الجيش لفترة طويلة، لقد عشت ذليل لفترة أطول، لولا عقلي لما وصلت لمنصبي ذاك، ولولا التجارب التي مررت بها لما أضحيت مُحمد علي، ذاك الرجل، الذي يبدو أنه سينجز أشياء لا مثيل لها، تجعلك وتجعل اخوتك يرمقوني بخوف وحذر شديدين الآن، أنا أذكى مما تظنون، وأظن أن هذا ما أثار شكوكم حولي، وحول صمتي وعدم سؤالي عن أي شيء، بطبيعة الحال لأنني أدرك أنني بعالم آخر غير عالمي، وأؤمن أنني أستطيع تعلم كل شيء وحدي، على سبيل المثال، لقد علمت أنكم تُسمون تلك المقاعد المُلتصقة ببعضها «كنبه»!"

ضحكت ليلي على الرغم من ملامحها العابسة، في حين ردد أحمد ببعض الحدة:

"انت عزيز مصر، وعلى الرغم من كل كلامك اللي قولته أنا مسمحكش تكلم ليلي بالطريقة دي!"

"أتعلم أحمد، أنت أكثر إخوتك غباءً!"

وقف أحمد بغضب واضح ليقف زكريا ورائه تحسبًا لأي شيء، في حين أكمل محمد بعدم اكتشاف لثورته الظاهرة تمامًا:

"دفاعك عن أختك بهذا الجنون لن يُشعرها بالأمان، أبسط شيء كان يُمكنني قتلها أمس، وانت كُنت نائم تمامًا، كان هذا من أسهل الأشياء، الأمور ليست هكذا يا فتى، نعم ولعلمك، لن أخاف حتى إن كنت تحمل سلاحًا خطيرًا الآن، على أي حال حياتي لن تعود ذات قيمة إن إختفيت تلك الآلة للأبد!"

هدأ أحمد فجاءه، الحُزن ظاهر في عينيّ محمد واضحًا، وهو معه حق، لا يوجد مكان لمحمد علي في ذلك العالم، مهما بلغ ذكائه، فلقد رأى بعينه تشوش محمد الكبير، من غرابة كل شيء حوله، واضطرابه الذي يظهر قليلًا ويلاحظه هو.. الوضع بالفعل مُخيف، له أكثر منهم، فهو إن تم الإبلاغ عنه من قبل أي أحد، سيكون محل تجارب وأبحاث في التاريخ لا أكثر، ولربما باختفائه تمامًا من عالمه قد يتغير التاريخ، ويصبح الأمر أسوأ وأسوأ!



"مالك يا بسملة، قاعده ساكته ليه انهارده؟!"

تسألت ليلى مستغربة من صمت بسملة الغريب، لتتجاهلها الأخرى مردده:

"مفيش"

نظرت لها ليلى مُردده بجدية:

" لا بجد قولي، في ايه؟ حد مزعلك أو حاجه؟ "

نظرت لها بسملة لترد بضحك شديد تراه لأول مره:

"اه، انتِ مزعلاني"

"أنا!"

رددت بدهشه لتُكمل بسملة:

" بصي يا ليلي، أنا عملت كل الطرق الممكنة عشان بس نبقي أصحاب، وفضلت أجري وراكي في كل مكان، اعتذرلتك على أي حاجه غبية عملتها حتى لو مش مستاهله، مهتمة بيكي وبتبقي قاعده ساكته ونايمه وبقعد اهزر معاكي وأضحكك، جبتلك سلسلة، وبعمل كل حاجه ممكن تتعمل عشان نبقي أصحاب، وانتِ في النهاية، مش بتفكري حتى لما تشوفيني الصبح تقولي ازيك يا بسملة، ولا حتى قبل ما تمشي تكلميني!"

"لو كل شويه هتقولي السلسلة خديها مش عايزاها على فكره"

رددت ليلي راميه بكل كلماتها عرض الحائط، لتنظر لها بسملة بصدمة تلاها حُزن شديد، قبل أن تقف بعنف ذاهبه لتجلس بجانب فتاة اخرى أمامًا!

نظرت ليلي في أثرها بضحك شديد أصابها هي الأخرى، قبل أن يذهب ضيقها فور أن دخلت معلمة الدراسات الاجتماعية، لتُردف بعد إلقاء التحية:

"البحث يا ليلي"

أمسكت هي بعدة وريقات بفوضى، وما كادت تتحرك من مكانها حتى رددت المعلمة:

"خليكي مكانك، سمعينا كلنا اللي جبتيه يا ليلي"

نظرت ليلي بحرج شديد حولها فكانوا جميعًا ينظرون لها، شعرت بتوتر شديد، وقد جف حلقها فجاءه، قبل أن تردف بصوت مُنخفض:

"بحثي بعنوان «مُحمد علي عزيزُ مصر»"

وهنا رددت سريعًا المعلمة معترضة:

" لأ صوتك يبقى أعلى شويه يا ليلي و قولي بثقه مش بصوت مهزوز خalina نسمعك
كويس"

نظرت ليلي حولها بتوتر شديد، مُمسكه بالورق بشدة تكاد تفسده، ولكنها حاولت تمالك نفسها، وأخذت عدة انفاس لثهدأ نفسها، بعد أن طال صمتها والجميع ينتظرها، رددت هي قارئه ما تم كتابته:

"مُحمد علي، مُجرد اسم يتردد على آذنا ونقوم بحفظ معلومات عنه لا أكثر، لا يعني لنا شيء، ولا نفكر حتى في أن يعني لنا شيء، محمد علي قام بنقلة حضارية واسعة في تاريخ مصر، ومع ذلك فهو لا يتلقى الإهتمام الذي يستحقه في دراس.."

توقفت هي عن القراءة فور إستماعها لصوت ضحكات زُملائها تدوي في الفصل، فهي للتو نظقت إحدى الكلمات بطريقة خاطئة، في حين أردفت المعلمة:

"كملي يا ليلي"

ولكن الأخرى إحمر وجهها، قبل أن تتجمع الدموع بعينها مُختنقة لتتنهد الأخرى مُردده:

"اقعدي يا ليلي، قدامك فرصة لبركه، تتدربي على قراءت بحثك، لإنك لو مش عارفه
تقرأي بحثك، يبقى مش انتِ اللي كتباه يا ليلي!"

نظرت لها الأخرى باحتجاج مردده:

"محصلش أنا اللي كتباه والله"

"لازم إثبات"

"اسالي أحمد أو زكريا أو علي، هما هيقولولوك"

رددت بغضب لتردفا الأخرى:

"ووائل؟"

"يووه، هو حضرتك هتفضلي تهدديني بيه، اساليه، بس هو أصلاً ميعرفش بكل ده"

نظرت لها المعلمة بحدة مردده:

"بنت، اتكلمي باحترام، دانتِ اتجاوزتي حدودك أوي بقي!"

شعرت ليلي بالندم لتردفا بصوت مُنخفض:

"مهو يا مس أنا.."

قاطعتها المعلمة مردده بصرامة:

"اقعدي يا ليلي ومسمعش صوتك"

لتجلس الأخرى بقلة حيلة، تفكر ماذا ستقول مُبرره لأخيها وائل امام إتهام المعلمة

الباطل لها!

انتهت الحصة، لتقوم بسملة سريعًا من مكانها مُتوجهه الى ليلي، لتردد سريعًا وهي تنظر للمعلمة:

"قومي، قومي اعتذري ليها قومي "

نظرت لها ليلي بضيق لتُكمل الاخرى:

"أنا برضو مدايقه منك جدًا، بس واضح إنك عايزة تعتذري، ومش قادره تستوعي إنك لما تعتذري وقت الغضب وتراضي صاحب الغضب أفضل من إنك تسببيه مدايق أوي كده!"

وقفت ليلي بتوتر، قبل أن تمسك ببحثها راکضة وراء معلمتها إلى غرفتها في المدرسة.

"أنا آسفه والله يا مس!"

نظرت لها المعلمة، قبل أن تتنهد، مُردده بقلة حيلة:

"تصرفك كان عيب جدًا يا ليلي "

"أنا بعذر من حضرتك جدًا والله يا مس، بس أنا فعلاً اللي كاتبه البحث وتعبانه فيه، عشان كده زعلت واتعصبت"

"مش عليا يا ليلي! فيه احترام للكبير قبل كل حاجه، مهما بلغت عصبيتك!"

نظرت الاخرى أرصًا وهي تشد على بحثها مُردده بندم:

"بعذر منك يا مس"

"خلاص يا ليلي محصلش حاجه، يلا هاتي بحثك ما أطلع عليه عشان أنا حلفت بالله بس إني هكلم اخوكي لو معملتهوش"

نظرت الأخرى لها بابتسامة، قبل أن تعطيهما البحث وهي تراقب تعبيرات وجه معلمتها بتحفظ..

توقعت أن تبتسم المعلمة، أو تلقي عليها سريعًا عبارات الثناء والإنبهار ببحثها، ولكن تعبيرات وجه المعلمة لم تعجبها تمامًا، حيث سريعًا ما ألقّت البحث على مكتبها بغضب شديد، صامته وهي تنظر أمامها متجاهله نظرات ليلي المصدومة!

"فيه حاجه يا مس؟"

حدقتها المعلمة بنظرة مُتَحَسِّرة قبل أن تنظر امامها صامته مجددًا.

"يا مس، في ايه؟، البحث معجبكيش؟"

"أنا دلوقتي فعلاً صدقت إنك اللي كتباه يا ليلي"

نظرت لها بنصف ابتسامة لتُكْمَل المعلمة بما صدمها تمامًا :

"كتبالي كان محمد علي يشعر بالخيبة، وكان تفكيره كذا وكذا، ومر بكذا وكذا، وما شاء الله عليكي مألغالي رواية عنه، مكنش ده توقعي فيكي أبدًا يا ليلي!"

"هو إيه يا مس، والله دي معلومات حقيقيه مش أنا اللي مألغ.."

قاطعتها المعلمو بحدة مردده:

"متحلفيش، فين مصادرك؟، طبعا مش هتردي لإنك مألغه كل ده، كل ده عشان متتعبيش نفسك بس و تريحيني.."

ليلي، إتفضلي روجي، متكمليش يومك الدراسي، هاخذلك أنا إذن من المديره، إتفضلي
إمشي يا ليلي".



"حسنًا حسنًا.... يا علي، انظر من يدق بتلك الوحشية!"

ركض علي سريعًا الى باب المنزل مرددًا بخوف:

"إجري إجري إستخبي في أي حته، شكلها الحكومه باين إعتبرتك من الآثار وجايه
تقبض علينا!"

حدجه محمد علي بنظرة قاتلة قبل أن يركض ليختبئ بغرفة ليلي!

فتح علي الباب ليشهق فور رؤيته لأخته شاحبة الوجه تبكي بشدة أمامه ليردف سريعًا
وهو ينظر للساعة المُعلقة على الحائط:

"مالك يا ليلي، وخرجتي بدري أوي كده ليه انهارد!"

دخلت الأخرى لتلقى بحقيبتها أرضًا بعنف، قبل أن تجلس وهي تبكي بشدة على
الأريكة مردده:

"مش هروح المدرسة تاني والله مش هروح تاني!"

جلس الآخر بجانبها يردف بعدم فهم:

"بطلي عياط بس وفهميني ايه اللي حصل لكل ده؟!"

في حين استمع مُحمد لصوت بكائها ليخرج من غرفتها مرددًا بعدم فهم:

"ماذا بك يا ليلي؟!"

وهنا قصت عليهم كل ما حدث معها وهي تبكي ليردد محمد بغضب شديد:

"تلك العجوزة ألا تصدق ما أردفته عن ذاتي! تَبَّ لكل كتب التاريخ، أنا المصدر هُنا!"

في حين حدجه علي بنظرة ضاحكة قبل أن يربت على ليلي مرددًا بضحك:

"مهو طبيبي يا حبيبتي، ما انتِ لو سمعتي كلامي وورتيه لذكريا قبل ما تسلميه كان ظبطلك الدنيا و قلفلك مصدرين وانتهيينا!"

في حين وقف محمد مرددًا بغضب شديد:

"أريني أين تلك العجوز يا ليلي وأنا سأثبت لها أن كل ذلك الحديث حقيقي وليس هراء، أريني أين هي فقط وأنا سأثبت لها كل ذلك!"

وقف علي سريعًا يُحاول منعه من الخروج مرددًا بصراخ:

"اقعد اقعد رايح فين هتفضحنا ياعم!، بالهوي يالهوي ده بيزقني وهينزل بجد!"

وقفت ليلي بعدم وعي مُرده:

"اه تعالى اثبتلها اني مش كذابة يا محمد!"

نظر علي لها بصدمه مرددًا وهو يكاد يقوم بالضرب على وجهه:

"يا عبيطه، يا عبيطه هي كده هتصدق، دي هتبلغ عنا يا عبيطه!، الراجل غيرنا شكله أصلًا، هتفكره مهرج ولا حاجه، دي كده هتحمي لوائل كل حاجه يا غبية، فوقي يا ليلي"

لم تستمع له ليلي وقامت بتثبيت حجابها ومحمد قام بارتداء حدائه ليصرخ علي مرددًا وهو يقف أمام باب المنزل:

"على جُثتي حد ينزل، ده أحمد وزكريا كانوا يخلوني في عِداد الموتى، هما مشوا وسابوكم أمانه عندي، فمحدث رجله هتلمس بره البيت ده حتى!"

جلست ليلي بغضب دفين، تنتظر أخيها أحمد ظننًا منها أنه سيوافق على ذهابها هي ومحمد الى منزل معلمتها لإقناعها أنها لا تختلق قصصًا خيالية وعلي يجلس أمامها وعينه على محمد علي بضيق شديد من غبائهما!

وقف الجميع فور أن سمعوا صوت مفتاح المنزل يدخل بالباب قبل أن يُفْتَح ويظهر من ورائه الإثنين مُتعبان كثيرًا وقد اتضح أنهما كانا يبحثان عن ساعة مُحمد علي كل ذلك الوقت!

"أحمد أنا همشي"

رددت بتحفز كبير بعد أن وقفت أمامه ليردده لعدم فهم:

"what؟، هو ايه!"

نظر له علي سريعًا مرددًا:

"خليه يدخل يقعد الأول يا ليلي، وبعدين نحكيه كل حاجه"

بعند شديد رددت:

"لأ، هحكيه دلوقتي، أحمد دلوقتي أنا قدمت بحثي والمس مصدقتش إني اللي كتباه وزعتلي وروحتي"

"ليه كده بس!"

ردد زكريا بضيق ليُردف أحمد بهدوء:

"يعني إنت يا ليلي عايزه تفهميني إن المس مشتك من المدرسة بدون سبب وهي مزعلاكي أصلاً؟!"

نظرت له ببعض التردد ليُردف زكريا:

"لا كده لازم نقعد الأول بقى وبعدين نتكلم، لإني معتش حاسس برجلي والموضوع شكله طويل."



"انت هتروحي فعلاً يا ليلي، بس هتروحي تعتذري من المس"

نظرت له بصدمة كبيرة ليُردف:

"يلا البسي الكوتشي، خليني اجي معاكي"

"أنا مش هعتذر لحد، دي طردتني على الرغم من إني اعتذرتلها قبل كده، وقاعدة بتهددني كل ثانيه بـ أبيه، خليها تقوله، أصلاً أنا كده كده معتش هبقى فارقه معاه"

"لو إنت معتيش هتبقى فارقه، او مال مين هيفرق معاه يا لي لي؟"

حاول امتصاص غضبها بتلك الكلمات لتُردف بحدة:

"هتكون مين يعني، اللي سرقته مذ"

قاطع حديثها ترديد أحمد بتحذير:

" ليلي.. الزمي حدك، مسمحكش لا تتكلمي عن وائل ولا أي حد بالطريقة دي، عيب اوي تتكلمي عن حد أكبر منك بالطريقة دي! "

نظرت له قليلاً بغضب ليرد زكريا:

"الحق يُقال، انتِ غلطانه يا ليلي، ملوش داعي ديقتك، المفروض تعتذري و"

صمت فور أن وقفت ليلي بعنف مردده بغضب:

"انتوا كلكوا عليا كده ليه، أصلاً محدش فيكو فاهمني، كلكوا في يوم هتعملوا زي وائل!"

ألقت كلماتها قبل أن تتركهم في غرفة المعيشة صافعة باب غرفتها بعنف شديد!

وقف أحمد وقد شعر بالدماء تفور داخله، ليلي.. فتاته المُدللّه.. ابنته التي لم ينجبها، تصفع الباب في وجهه!، لا، لا وألف لا، فمهما بلغ حُبه لها، ومهما قَرَّب المسافات بينهم و جعلها تشعر بأنه صديقها قبل كل شيء، لن يسمح لها أن تخرج عن السيطرة وتصبح سيئة السلوك!

وقف بغضب شديد متوجّهاً الى غرفة ليلي، قبل أن يقوم بالدق على الباب بعنف مرددًا بغضب شديد:

"بابك ده لو اتقفل بقوة في وشي تاني هكسرهولك، وإن متظبطيش يا ليلي في التعامل معايا انتِ اللي هتخسري مش أنا"

"كسره، مش فارق معايا"

كلمات خرجت منها في لحظة غضب، كادت تُصيب أحمد بالجنون ليقف زكريا سريعًا مرددًا وهو يحاول تهدئة أخيه:

"دي متخلفه يا أحمد اهدى، سيبك منها انت عمرك ما كنت بالعصبية دي اهدى!"
دفع أحمد زكريا عنه ببعض القوة، قبل أن يقوم بفتح باب الغرفة بقوة، رامقًا ليلي بنظرة لم تفهمها، وما كاد يقول شيئ حتى صمت، وهُنا أردف:

"ممکن أقول كلام يزعلك زي ما انت زعلتيني برضو دلوقتي، بس أنا أكثر واحد عارف إن الكلام اللي بيزعل ده مش بيتنسى، ومش حابب بصراحه إنك تفتكريلي حاجة وحشه، يكفي أقولك أنا أكبر حد في البيت يا ليلي، حتى لو فرق العمر بيني وبينك مش كبير، فأنا الواصي عليكموا للكوا دلوقتي، سماعك لكلمتي مش بإرادتك، سماعك لكلمتي غضب عنك يا ليلي، وإن مسمعتيش كلامي، ورديتي عليا وحش، معدش ليكي تعامل معايا، كفاية إني مش بفرض رأيي عليك دأنا بقنعك بيه، وده بسيط إليي بيعملوه، ويا ريته نافع ولا عاجب"

أغلق الباب مجددًا بنفس القوة، وما كاد يخرج من المنزل، حتى نظر لمحمد علي، لا يمكنه أبدًا أن يطمئن له، ولا أن يرتاح قلبه وهو يعلم أنه بنفس المنزل مع إخوته من دونه، لذا أغلق الباب مجددًا متوجهًا إلى غرفته بغضب شديد..

تمدد أحمد بتعب شديد على فراشه، يشعر بعدم الراحة، يشعر بأن هناك شيء سيء جدًا سيحدث.. وقرئياً!

مرت دقائق، قبل أن يستمع لصوت دقات عنيفة على باب غرفته، ليقتمح زكريا المكان مرددًا بفرع:

" ليلي ماتت، ليلي ماتت يا أحمد!"

الفصل السادس

"عقاب"

"مين؟، طيب طيب حاضر ياللي بتخبط!"

نظر له زكريا بسخرية مرددًا:

"انت متوحد يابني؟، إلكي خبط مخبطش غير خبطة واحده، انت بتكلم نفسك ولا إيه؟، ده غير إن الخبطه دي خبطت أنثى وانت هتتكسف الثانية دي"

نظر له علي بعدم اقتناع مرددًا:

"لأ ده أحمد، وهنشوف، وبعدين محدش متوحد غيرك أصلًا، اجري افتحلك كتاب غير الفيزيا بلاش قرف، الواحد بيحس بقرف أول لما يلحم الاسم على الكتاب"

لا يوجد أي دليل على سرقة خزنة مصر في هذا العام وانما هذا من مخض خيالي كخيوط وهمي لبدأ الحكاية. عندما ذكرت محمد علي، ذكرته عام ١٨٠٧ وهو تم تعيينه والي على مصر عام ١٨٠٥ وهذا له تفسير محدد سيظهر مع توالي الأحداث

نظر له الآخر باحتقار غير مكرثاً له بل انه ابتسم محاولاً كبت ضحكاته فور أن فتح علي الباب سريعاً ليردد بصوت مُرتفع:

"مس علياء!"



جلست بخفه على المقعد، مردده بهدوء:

"ليلي فين يا شباب؟"

نظر لها زكريا مطمئناً إياها:

"نايمه يا مس، خير في حابه ولا ايه؟"

نظرت إلى الأرض قليلاً قبل أن تردف بتردد:

"أنا بصراحة.. يعني حسيت بالندم، بعد الكلام اللي أحمد قاله، فبعد ما فهمني الوضع، كان لازم زي ما عاقبت ليلي، أعاقب نفسي على تسري، فأنا جيت اعتذرلها، وأشجعها كمان ترجع المدرسة تاني، نظرًا لإن قرار عدم اكمالها لدراستها قرار خطأ جدًا!"

"أحمد كلمك!"

ردد علي باندهاش شديد قبل أن يردف زكريا:

"أحمد طيب، وعمومًا يا مس حضرتك فوق دماغنا كلنا، وأكيد مش هنوقف دراسة ليلي، ده زي قرصة ودن بس ل ليلي، يعني بنحاول نخليها تفوق شويه"

أومات له الأخرى مقتنعه قائلة:

"أكيد وده حقكوا لإن انتوا المسئولين عن سلوكيتها حاليًا، بس رأيي تيجي المدرسة قريب وتحضر أفضل، أظن إن هي أخيرًا بدأت تعرف تكون صداقات، وكونت صداقه لطيفه مع بنت قمه في الأخلاق اسمها بسمله، أتمنى انكوا تساعدوها تقرب منها كمان وكمان، زي ماتتوا عارفين، يعني.. ليلي عنيفه شويه"

"ليلي عندها صديقه!"

ردد علي باندهاش شديد، قبل أن يضحكوا فقد كانت تعبيرات وجهه شديدة الصدمة..

"الحقيقه يا مس إن ليلي مجابتش سيرة الموضوع ده، بس إن شاء الله نسمع كلام حضرتك، أكيد مادام حضرتك قولتي انها بنت كويسه إذًا هي كويسه، وإن شاء الله هنشغل على تحت انها عنيفه معاها دي برضو"

"إن شاء الله، الشهاده لله انت كنت ونعم الطلاب اللي عندي، سواء علمًا أو دينًا أو خلقًا بارك الله فيك يا ابني"

ابتسامه خجوله زينت وجه زكريا قبل أن يردف علي بتذمر:

"وأنا يا مس، اشمعنا أنا يعني"

ضحكت المعلمة، فهي كانت تدرس ل علي في الصف الأول الإعدادي عندما كانت في الإعدادية بنين الخاصة بالمدينة، بل أن طوال حياتها كان عملها في الإعدادية بنين حتى تم نقلها الى الإعدادية بنات لتكون على ليلي في الصف الثاني الإعدادي، ولتكون أيضًا من المدرسين- كما أستاذ حاتم- الذين درسوا للست أخوات!

"والله يا علي، انت من أشقى العيال اللي شوفتها في حياتي، الحمد لله مكملتش معاك،
كان هيجرالي حاجه منك والله!"

ضحكوا بشدة في حين ردد علي بتذمر:

"يا مس مش كده دأنا غسل، غسل والله بس الدنيا جايه عليا، عارفه جايه عليا
ليه؟، عشان أنا غسل"

"وأقولك على حاجه كمان؟، أذ.. "

صمت فور أن فتح أحدهم باب غرفة أحمد ليردد علي صارخًا :

"صحيت ليه، ما انت كنت نايم!"

في حين وقف زكريا مفزوعًا ليقف أمام المعلمة مُحاولًا سد الرؤية عنها وهو يقوم
بحركات بلهاء لم يفهم منها محمد أي شئ!

"ماذا هناك يا رف... "

قاطعته وقوف علي السريع وقيامه بوضع يده علي فم محمد قبل أن يدفعه الى
الغرفة داخلًا ورائه وغالقًا الباب ورائهما، في حين ردد زكريا:

"سببني في وش المدفع يا ندل الأندال.."

وهنا ابتسامة صفراء ارتسمت على وجه زكريا قبل أن يجلس بمكانه مجددًا ناظرًا
لمعملته التي تتابع ما يحدث باندهاش شديد مرددًا:

" ها، كنا بنقول ايه يا مس؟ "



"آسف، مش هقدر أوفرلك شغل بليل يا أحمد، أنا قولتلك اللي عندي، يا تشتغل في وقت الصبح يا تشوفلك مكان رزق تاني"

نظر له الآخر بصدمة مرددًا:

"بقي كده يا حاج صبري؟، دانت أبويا يا حاج متقولش كده، أنا قولتلك إني هاجي الصبح عادي، بس فيه يومين مش هعرف فيهم عشان الكلية، لو مروحتش اليومين دول هسقط يا حاج، يرضيك أسقط؟"

نظر له الآخر بعدم مبالاه مرددًا:

"ده مش شغلي، وعمومًا لازم ترد عليا انهارده بليل، عشان لو كده أشوف حد غيرك" ابتسامه مُحبطة ظهرت على شفتيه، قبل أن يردف:

"وعلى ايه تستنى، شوفلك غيري يا حاج"

سائرًا بين الناس كان يفكر، من أين له بعمل آخر؟، لقد بحث مرارًا وتكرارًا على عمل حتى وجد ذاك بصعوبه، وتحمل كل شئ من أجل النقود، تحمل جنون ذاك الرجل العجوز، وقله زوقه، وغضبه، وتحمل سوء الزبائن، والفِصال المُستمر، وكان يحافظ بقدر الإمكان على ابتسامته البشوشة، حتى يجذب الزبائن، حتى يكون تاجرًا ناجحًا، حتى لا يكون فاشلًا في دراسته وحياته أيضًا!

بينما ينظر بعشوائية توجهت أنظاره الى رجل وفتاة يجلسان على إحدى المقاهي، كانت فتاة مُختمره على أي حال، ويبدو الرجل مُتديباً أيضاً، يظن أنه أحد المواظبين على الصلاة في الجامع القريب منه، لا يُهم، فهو يتمنى له السعادة لا أكثر.

تلك لم تكن المشكلة، فقد كانت المشكلة هي أنه ابتسم بسخرية فور أن تخيل ذاته يجلس نفس الجلسة مع فتاة يرتاح قلبه لها، لا يظن أن هناك أحد سيقبل به، ليس لديه شهادة، ولا عمل، ولا منزل حتى خاص به ليقوم بتجهيزه، يتيم وفوق ذاك وافي على فتاة صغيرة..

يقول الجميع أنه طيب القلب وهذا الأهم، ولكن بالنسبة له فلتذهب تلك الطيبة إلى الجحيم، وليأتي مكانها مال، ومنزل رائع، وسيارة أحدث طراز، بالطبع مع عمله الخاص في شركته الخاصة في العاصمة الإدارية الجديدة!

تَبَا لك أحمد، تحلم بالكثير والكثير انت!، تحلم بالمُستحيل انت!

كلمات ردها لذاته، قبل أن يجلس على إحدى المقاعد المقابلة للنيل واضعاً يديه على وجهه، أي غنى يتحدث عنه، بالفعل لولا مُساعدات وائل المالية كيف كانوا سيعيشون؟، ربما كانوا في دار الأيتام، أو مُتشردين..

أحلام كبيره تدور بخلده، تتبعتها مرارة الواقعية، تتبعتها علقم الحياة، يتبعتها حزن دفين..

مُقيد هو، مُقيد بإخوته، مُقيد بمسؤولياته، مُقيد بفسله، مُقيد حتى بأحلامه، أحلامه التي لا تُناسبه كما يرى!

ولكن هل كثير عليه حتى الحلم بالمُستحيل؟، أليس الله قادر على تحقيق المعجزات؟، أم أنه يحيط ذاته بأوهام لا مجال لواقعيتها، فالمعجزات كانت فقط للأنبياء!

قاطع أفكاره اهتزاز هاتفه، نظر ليجدها ليلى، وما كاد يجيب، حتى ترك الهاتف مجددًا بضيق شديد، يُمارس هو أسلوب التجاهل معها مُنذ أسبوع، يراها تتألم، ولكن الغيبة لا تعلم أنه يتألم أكثر منها، أن صدره يعتصر ألمًا عندما يراها ويمنع ذاته قصرًا من إحتضانها، لا تعلم أن عينيه تذرف الدموع مِرارًا على حالهم، وعلى كونها فتاة يتيمة، ضعيفه، في تلك الحياة، التي تُشبه الطاحونة، والتي لا يعيش بها سوى الأقوياء!، ولكن لشدة حبه لها، يُعاقبها، مُنذ أن فقدت وعيها يوم صرخت به، وهو فكر جيدًا، قبل أن يقرر أن يعاقبها ببعده، حتى تُقدر ما في يدها، وحتى تصبح أفضل، هذا فقط ما يريده.

إهتز الهاتف مجددًا، ولكن تلك المره وجده زكريا، شعر بشئ خاطئ، ليفتح المكالمة، وهُنا وجد زكريا يردف بارتباك:

"مس علياء كانت هنا، و شافت محمد، وشكلها كده هتبلغ وائل!"

تَبَّ لك زكريا، و تَبَّ لك محمد علي، فإن علم وائل بقصة محمد علي، لن يمر الأمر مرور الكرام، بل الأفضل أن نقول أنه لن يمر أبدًا!



"والله يا أحمد حاولت أتوّه، وقولتها إبراهيم وهورت، بس شكلها مش مصدقاني،
وكلامها بعد كده ل ليلي كان كله شك"

ردد زكريا بضيق ليرد علي:

"ما طبيعي تشك، راجل غريب في بيت فيه أربع رجاله و بنت، اكيد هتخاف علي
ليلى لإنها مش فاهمه الوضع، المشكلة إن ده هيبقى نفس تفكير وائل، و وائل بقي
هيكسرنا لو عرف ومش هيبستني نوضح حاجه"

نظر لهم أحمد بصمت في حين تفاجأ بليلى تُردد بابتسامه بلهاء كانت تُزين وجهها
مُنذ حضر:

"مس علياء إعتذرلتلي يا أحمد!، صدقت فعلاً إني اللي كاتبه!"

نظر لها، كان يريد الإبتسام، كان يريد أن يمدحها أو يردف أي شيء، ولكنه ظل صامتاً..
"انت قولتلها ايه؟"

نظر لها بدهشة شديدة مُعتدلاً في جلسته ليرد الأخرى بابتسامه:

"المس قالتلي إنك فهمتها كل حاجه، بس مردتش تقول انتوا قولتوا ايه!"

ردد الآخر بيسره:

"أوامال يعني كنت منتظر من مس علياء أقولها متقولش إني كلمتها ومتقولش فعلاً
ولا ايه؟!"

"بتقول حاجه؟"

رددت ليلى ليردف سريعًا:

" لأُبدًا، أنا بس شرحتلها إنك عندك رهبة من القراءه قدام مجموعة كبيرة أو الكلام بينهم أصلًا وإن دي حاجه من صغرك موجوده، ووضحتلها إني كنت متابعتك وانت بتكتبيه ومتأكد من إنك اللي كتبته، واتحججت إنك بحثتي في روايات عن محمد علي من على النت عشان كده كاتبه معلومات مش مذكوره أوي في التاريخ وكده، وهي يعني الى حدٍ ما صدقت، بس بصراحه متوقعتش أبدًا إنها تيجي! "

"مازالت لا أفهم، لِمَا لم تخبروني أن تلك المرأة ستأتي؟"

ردد محمد علي وقد دخل عليهم ببعض الضيق ليردف علي:

" عشان احنا مطمئنين إنك نايم، وبعدين خُدينا، دانت مكنش بقالك نص ساعه نايم، انت لحت؟، دانت مش بتنام ساعتين على بعضهم من ساعت ما جيت هنا، انت فضائي ولا اي! "

تجاهله مرددًا ببعض الحزن:

"لا يمكنني النوم سوى على فراشي، ولكن نظرًا لحاجتي الضرورية للنوم فقط أحاول التحمل والنوم.."

"بجد بجد حسبي الله ونعم الوكيل بجد يعني!"

ردد أحمد فجاه بصُراخ لينظر له الجميع وقد كان يُمسك بهاتفه ليكمل بغضب شديد:

"مس علياء ملحققتش تروح بيتها أصلاً عشان توصل الكلام لوائل ويكلمنا لأول مره
في الوقت ده، آه بجد آه"

تلجلج الجميع مُرتبكين، ليردف أحمد سريعًا بحزم:

"محمد على الأوضة واوعى تطلع نفس، واحنا هنكلمه وخلي بالكوا تكونوا طبيعيين!
"



"ازيك يا لي لي"

نظر لها بابتسامه لُتردف الاخرى بهدوء:

"بخير يا أبيه، أخبار حضرتك ايه؟"

حول أنظاره على كل إخوته مرددًا بنبرة غريبة:

"والله يا لي لي أنا كويس، المهم انتوا تبقوا كويسين بس وكده"

ابتسم علي فجاءه في حين كان زكريا ينظر الى الأرض مُنذ بدأت المكالمه فهو فاشل في
الكذب وأحمد ينظر لإخوته ويشعر بأنه سيموت بسكتة قلبية بسببهم، فطبيعتهم
التي نبههم عليها ليست مُثيرة للشكوك هكذا، لحظة!، وذاك الأبله لماذا يبتسم بتلك
الطريقة!

"خير يا علي، انت كويس؟"

ردد وائل فجاه لينفجر الآخر بالضحك قبل أن يُردف:

"هحكيلك يا وائل كل حاجه"

وهنا وضع أحمد يده على قلبه، في حين ردد زكريا الشهادة ولىلى امتلئت أعينها بالدموع ولكنهم صُدموا حقًا فور أن قال علي:

"امبارح كنت في الجيم المهم زميلك اللي هو علاء الرخم ده كان موجود وبيقولي اومال مش بنشوف وائل ليه دايمًا زيكوا قولت هقصفوا بقى وكده فرحت قايل أصله مش فاشل زينا"

انفجر علي ضحكًا مُكَمَلًا:

"وربنا كنت أقصد اقوله زيك بس معرفش طلعت زينا ازاي والولد أصلًا نام على الأرض من كتر الضحك"

حدجوه بنظرات ناريه، قبل أن يضحكوا بصوت مرتفع غير مصدقين تفاهت أخيهم في موقف مثل ذاك، في حين ضحك وائل، وتحدث معهم بعشوائية عن عدة مواضيع، قبل أن يختتم حديثه بقنبلته مرددًا:

"إن شاء الله أنا هاجي على آخر الأسبوع يا شباب، متتخيلوش أنا سعيد قد ايه بده"
أغلق الخط، قبل أن يردف علي:

"يا غلب الغلب، هيجي فين!"

نظر له أحمد بشر قبل أن يقف مرددًا:

"خُد هنا يا تافه"

ولكن الآخر سريعًا ما ابتسم ابتسامه بلهاء قبل أن يركض غالبًا باب غرفته بالمفتاح من خلفه ليصيح زكريا:

"يا عم أنا عايز أ أدخل اذاكر يا عممم، عندي شامل عربي بكره!"

ليدفعه أحمد بضيق مرددًا:

" قرفتنا يا زكريا كل شويه شامل شامل صدعتنا".



رزين مُزعج أيقظه بأفضل لحظه مر بها في حلمه، جعله ينظر لذلك الجهاز بغضب شديد بعدما كاد يلقيه أرضًا مُحطّمًا إياه!

الحقيقة أن ما منعه من تحطيم هاتفه الآن ليس حبه له ولكن ما منعه هو ظهور اسم معلمته «علياء» يُضئ على الشاشة!

"السلام عليكم ازيك يا أحمد "

ردد سريعًا ببعض التوتر:

"ال.. الحمد لله، ازي حضرتك عامله ايه؟، خير في حاجه ولا ايه؟"

صمتت الأخرى ثانية كان أحمد يُفكر بها في كل الاجابات التي يمكن أن تُصمت المعلمة إن سألته عن محمد علي ولكنها صدمته تمامًا فور قولها:

"والله يا أحمد أنا بتصل بيك، عشان أكذلك تاني إن ليلي وجودها في المدرسة مهم، وفاتها حاجات كتير مهمه، بلاش تعند قصادها في ضررها!"

صمت هو بعد أن تنفس الصُعداء براحه، إذًا هي تحدّثه لذلك الموضوع، لا بأس، يجب فقط أن يهدأ، ويتحدّث معها باحترام..

"والله يا مس انا كنت مُتحمّض اوي إني احكي حاجه تخص البيت لحد، بس أنا فعلاً محتار، وحضرتك أم، وأكيد فاهمه البنات محتاجين اي عني وعن الكل، لإني معدّتش عارفه أفهم ليلي خالص بصراحه"

صمت لوهله، أيتراجع؟، أم ذلك أفضل ل ليلي؟، لا يعلم، ولكنه حقًا تائه!

"اللي حصل يا مس، إن من حوالي اسبوع، ليلي رجعت من المدرسه لما حضرتك استأذنتي ليها، وكانت متعصبه جدًا والخ، واتعصبت عليا و ردت عليا وحش، وكانت ردودها الوحشه دي اتركرت كذا مره قبل كده، فأنا اتعصبت، وقولت كلام برضو زعلها، ومفيش حاجه يا دوب دخلت انام، لقيت زكريا جاي يقولي ليلي ماتت، في حين انها بس اغمى عليها بس زكريا اتخض وخضنا كئنا، ولما جبنلها دكتور قال إن ده بسبب انها مكالتش حاجه من كذا يوم، واتفاجئنا فعلاً إنها مش بتاكل، واكتشفنا إن كل ساندوتشتها بترميها في المدرسه، والبنت فعلاً وزنها بيقل بشكل واضح، ف بصراحه ده كان السبب الأكبر إني اقرر أقعدها من المدرسه، في الحقيقه مش عشان أعاقبها أبدًا، لأ، عشان بس مجهدهاش، وتبقى قدام عنيا أخليها تاكل غصب عنها، بس يعني عشان أنا كنت مدايق منها اوي، فقولت انه عقاب وغيره، و مثلت إني مش مهتم باللي حصلها وكده"

صمت يأخذ أنفاسه قبل أن يكمل:

"حضرتك شوفتي أنا قلبي عليها قد ايه؟، في حين إن بقالها فترة عصبية وأساليبيها وحشه، وتصرفاتها، معدّتش بفهم تفكيرها و لا هي قادره تعبر عن نفسها صح، و

خايف بس نوصل مع بعض لحيطه سد، صحيح أنا بعتبرها بنتي وأكثر، بس مقدرش استحمل أو أعدي تصرف مش لطيف يصدر منها ناحيتي!"

صمت هو يستمع لرد المعلمة، والتي رددت بحنان شديد:

"فاهمه يا أحمد إن قلبك عليها، كفايه إنك اتصلت وشرحتلي سوء الفهم اللي خلاني أزعلها، بس ليلي عمومًا في فترة مراهقه وانت عارف، يعني عمومًا حاجه طبيعية انها في الأغلب متعصبه وحالتها النفسية مش أحسن حاجه، وطبيعي برضو انها مش عارفه تعبر عن نفسها، عمومًا الفترة دي في حياتها محتاجه منك ومن أخواتها صبر وطولت بال، صبر يا أحمد مش إهمال، عشان لو تم إهمال ليلي هتضيع خالص، وهتبقوا السبب في ده!، بس طبعًا الصبر ده ميمنعش إنك توقفها عند اللزوم سواء صدر سلوك او تصرف يستحق وقفه، وانت متخليش عقابك يطول، لإن صاحبتها بتسال عليها، وطلبت مني رقمها، ونفسها تشوفها، وانت عارف يعني ليلي محتاجه أصحاب"

ابتسم بهدوء وقد شعر براحه تغمره بعد حديث معلمته، ليُردد:

"عارف، بشكر حضرتك جدًا يا مس"

"ولا يهملك، دي بنتي، وانتوا ولادي، ولو احتجت أي حاجه قولي، وإن شاء الله مش هتاخر أبدًا"

أغلق المكالمة، قبل أن يخرج من غرفته متوجهًا الى غرفة ليلي، ليُردد ببعض البرود الاصطناعي:

"بكرة هتروحي المدرسة"

نظرت له بعدم تصديق ولكن الآخر دخل الى الغرفة بعدما كاد يرحل، لينظر لها
بطرف عينه فاتحًا زراعيه وهو يردد:

"ايه.. مفيش حزن ولا ايه؟"

لتنظر له بعدم تصديق قبل أن تهب قافزه بين أحضانه وهي تضحك مردده:

"كنت عارفه انك مش هتقدر تزعل مني كتير أوي كده"

ليدفعها برفق مرددًا:

"صحيح أنا مقدرش، بس ده في حالة انك تكوني متقدريش تزعليني ولا تكذبي عليا
يا ليلي"

لتبتسم مردده:

"اتفقنا، والله مش هزعلك وإن شاء الله هاكل كل سندوتشاتي ومش هرميها"

ليضحك لأول مره منذ أسبوع بوجهها حاضنًا إياها بحنان، وقد كانت هي مشتاقه
جدًا لذاك الحضن الحنون!



بعد يومين

نظرت له مُردده وهي تراه يكاد يموت فرحًا:

"مش عارفه انت هتردلي الجمال دي ازاي والله"

نظر لها بفرحة عارمة مرددًا:

" وأنا أيضًا لا أعلم كيف، ولكن ثقي، لن أنساكي أبدًا ليلي "

ضحكت بهدوء و هي تراه تأمل تلك الساعة الذهبية ولكن فجاه خطرت لها فكره
لثُردد:

"هات كده، بيتهيقلي عرفت هنرجعك لزمك ازاي! "

نظر لها بعدم فهم، لتجلس هي بإعتدال على سريرها وقد كان نور الشرفة يُضئ
المكان، في حين كان زكريا يُمسك بـ الصَّيْنِيَّة عليها ثلاثة كؤوس بها عصير، وقد شعر
فجاه أنه يريد أن يشرب عصير، فأحب أن يذوقه لكلاهما، وبينما هو يدخل كانت
ليلى تمسك بالساعة وتُطالع عقاربها الواقفة بتركيز شديد، في حين أمسك محمد
بطرف الساعة بتحفضي مرددًا باستهتار:

"ماذا تفعلي بحق الجحيم يا ليلي؟"

"استنى بس سيب الساعة كده متشدهاش "

نظر لها بضيق وهو يُحاول أن يأخذها منها مرددًا:

"لا أنا أريدها، أعطيتها لي "

لتنظر له بعند بينما تمسك بالطرف الآخر للساعة وتسحبها جهتها بعنف مُماثل
لمحمد مردده:

" لا قولتلك اصبر هعمل حاجه واديه.. "

وما كادت تُكمل جملتها وزكريا يدخل الغرفة حتى وقعت الصَّيْنِيَّة من يدي زكريا الذي
شهق بفرع فور أن أختفى مُحمد علي.. ولكن ليس وحيدًا!

"لیلی!"

الفصل السابع

" ١٨٠٧ مُجددًا! "

" عزيزُ مصر! "

شهقة قوية خرجت من فاه أحد الرجال، قبل أن يصرخ بتلك الكلمات، وهو يرى محمد علي أرضًا بعد أن ظهر في الهواء من العدم، ساقطًا على أحد الجنود! فتح عينيه لتُقابله قُبة القاعة، تلك القُبة التي يعرفها عن ظهر قلب.. إبتسامة قوية ظهرت على محياه، قبل أن يقف سريعًا غير مُصدقًا، وهو يطالع القاعة من حوله بفرحة عارمة!

" ما هذا؟، أين كنت يا عزيزُ مصر وما سر تغير هيئتك الغريب!! "

ردد هذا الجندي الذي لم يكن إلا عُثمان ليطالعه مُحمد علي بشر كبير مرددًا:
"لا تنتبه لأمرى الآن، لا تعرف كم الوعود التي وعدتها لذاتي والتي قررت تنفيذها فور رؤية وجهك القدر يا عثمان!"

أضحى وجه الرجل مُصفرًا، قبل أن يقاطع ذلك الحوار صوت صرخة مكتومة، تبعها صوت يئن مرددًا:

"إبعدي هموت"

شعر محمد علي بالدوار، فور أن نظر بجانبه ليجد ليلى أرضًا وقد كانت الدماء تتساقط من حجاب رأسها وفوقها إحدى الخادמות وقد إمتزجت الدماء بالأواني المُتكسرة على الأرض!

شهق مُحمد علي بقلق واضح، قبل أن يركض باتجاه ليلى بخوف لم يفهمه الجميع دافعًا الخادمة عنها سريعًا قبل أن يجلس على ركبته أمامها مرددًا بخوف كبير:

"ليلى.. ليلى أنتِ بخير؟، كيف جئتي إلى هنا بحق الجحيم!، لما تلك الساعة القذرة لا تعمل أبدًا بشكل صحيح!"

نظر لها، كانت مُغمضة العينين وعندما لم يتلقى منها إجابة سقط قلبه حقًا وهو يرى تلك الدماء الغزيرة تتدفق من رأسها!

"عزيزُ مصر!، أين كنت!، أنت بخير؟... لحظه ماذا تفعل؟!"

ظهرت امرأة ذات شعر أسود طويل، يُصاحبه بشرة بيضاء، مع عينيها الضيقتان وفمها الصغير الحاد الذي ترك أثرًا مُهيبًا لوجهها المُستدير مع فستانها الأزرق المُنتفخ من الأسفل مُردده تلك الأسئلة بتعالي ولكن الآخر تجاهلها تمامًا مرددًا لإحدى الخادמות التي كانت تتبعها:

"افتري يا ميسيليا سريعًا خذي ليلى لأفضل غرفة بالقصر، وانتِ يا ريجانه اذهبي واحضري طبيبًا ما بسرعة.."

نظر للدماء التي وصلت لأسفل قدميه قبل أن يصرخ بنبرة أرعبت كل من يقف:

"لماذا مازلتم تقفون بحق الجحيم!، هيا تحركوا ليلى تحتضر!"

سريعًا ما أتت ميسيليا وجاء جندي آخر ليحملها ولكن محمد علي أشار له ليبتعد،
تاركًا المجال للخادمتين فقط حتى يقوموا بإسناد ليلي التي وقفت في حين رمقها
الجميع بدهشة شديدة من ملابسها الغريبة وقلق ملك مصر الذي لم يروه عليه من
قبل!!

كانت تشعر هي بدوار شديد، ولكن على الرغم من ذلك نظرت حولها سريعًا، قبل أن
تعاود النظر لمحمد علي مُرده بضحكة ضعيفة:

"انتَ ورانا ورانا يا جدو!"

لتظهر ابتسامة صغيرة قلقة على محياه، مرددًا بينه وبين ذاته بخوف حقًا تلك المرة:
"يبدو أنك من ورائي ورائي ليلي... على كل حال، أمل أن تعود ليديارك فقط سالمة.."



"توصل بالسلامة يا هيما، خلاص يا حبيبي مستنينك"

ردد أحمد بهدوء، قبل أن يُغلق المكالمة لينظر حوله ببعض القلق يُفكر ماذا سيفعل
في مُحمد علي ذاك، فهذا هو إبراهيم على وشك العودة، و وائل ورائه بعد يومين لا
أكثر..

قرر أن يُحدث زكريا، حتى يُلمم أشياء محمد علي، ليجثوا معًا عن مكان إقامه آخر
له مؤقت، أو أي شئ يُخرجه من منزلهم قبل عودة إبراهيم الذي لن يُقنعه أحد في
العالم من عدم قول ذاك لوائل، إن كان لن يُرسَل عن طريق وائل بالفعل.

قام بالرنين على زكريا، الذي سرعان ما فتح، ليستمع إلى صوت بكاء الآخر على الجهة الأخرى مرددًا بفرع شديد:

"الساعة، الساعة يا أحمد، ليلى، ليلى ومحمد اختفوا، أحمد اختفوا فجاه يا أحمد دلوقتي!، أحمد الحقني، أحمد أختي يا أحمد!"

شعر أحمد سريعًا بالدوار، قبل أن يسقط هاتفه من يده، راکضًا باتجاه منزله، غير مباليًا بهاتفه ولا بمكان عمله الجديد الذي وجده بصعوبة، فكان كل ما يدور برأسه الآن فقط هي ليلى!

وصل لمنزله ليجد زكريا يجلس وهو يبكي، في حين آثار تحطم الزجاج تملأ الأرض أمام غرفة ليلى حيث يجلس زكريا، ليردف سريعًا بصراخ:

"ليلى مالها يا زكريا، ليلى فين؟!"

ولكن الآخر كان يبكي ولا يجيبه ليردف أحمد بصراخ:

"فوق يا زكريا فوق، إبراهيم قدامه ساعتين ويجي، فين ليلى يا زكريا!"

وبعد قليل هدا الآخر، ليردف أن ليلى ذهبت كالعادة للمدرسة ولكن اليوم خرج الجميع من المدرسة مبكرًا، ليجدها قد عادت فرحة، وتُمسك بساعة ذهبية!

"قالتلي: بسملة صاحبتني كانت ماشيه من نفس المكان إلي محمد علي ظهر فيه علي حسب وصفكوا، ولقت الساعة دي، فخذتها، وورتهاني انهارده، حتى هيا لقيها تاني يوم محمد علي كان موجود فيه، بس مورتها نيش لأننا كُنَّا متخانقين، وبعدين لما شوفتها وحكتلي اتأكدت إنها بتاعت محمد علي، فطلبته منها انهارده بس قالتلي لا خليها ليكي!"

وبعدين محمد علي سمع الكلام، وفضلوا قاعدين هما الاتنين مستنيينك، وأنا قوت
هعمل عصير وأرجعلهم، مفيش خمس دقائق والله، لسه برجع بالعصير كانوا
ببشدها من بعض، راحوا اختفوا هما الاتنين فجاه من قدامي!"

نظر له أحمد بعدم تصديق، وفي تلك اللحظة انتبهوا لدموع علي، الذي عاد من
مدرسته ليستمع الى كل ذلك، قبل أن يصرخ مرددًا:

"انت غبي!، ازاي مخدتهاش منها أول لما جيت!، ما هو محمد علي نفسه أول لما
لمسها هناك راح جاي هنا!!!"

لم يجيبه زكريا مكملًا بكائه، في حين أمسك أحمد شعيراته بقوة، مُحاولًا أن يهدأ،
ولكنه شعر بقلبه يتحطم تمامًا فور أن خرج علي من الغرفة التي كانت بها ليلي
ومحمد علي مرددًا بصدمة:

".. الساعة.. الساعة.. لسه هنا، الساعة.. الساعة مراحتش معاهم يا أحمد!"



"من هذه يا مُحمد؟، وأين كنت؟، ولماذا هيئتك تغيرت للغاية؟، وما تلك الملابس
البالية!، حتى أنك أضحيت هزيلًا للغاية!، لقد غبت أسبوع أو اثنين فقط، كيف
يمكن أن تتغير بتلك الطريقة؟!، لقد ظننتك رحلت عنا للأبد!"

"اهدئي يا أمينة، إنني هنا الآن وهذا المُهم، غير أنني مُتعب، ألا يمكنكني فقط تركي
استريح قليلاً في فراشي الجميل، في غرفتي الأجلل الواسعة المُريحة!"

نظرت له بدهشة كبيرة، من هذا الذي يُحدثها؟، أهذا محمد علي زوجها الذي يحدث
الجميع بكبر و حده؟، بدأت تشعر الآن حقًا أنه شحص آخر تمامًا!

"مُنذ أن اختفيت مع تلك الآلة المشؤمة ونحن إدعينا أنك مريض لا أكثر وستمتنع عن الظهور لفترة، وبالمناسبة استطعنا أن نجد اللصوص والمال، في حين سارت أمور الدولة على ما هي عليه، لم أجرؤ على إصدار أي أمر في غيابك يا ملك"

نظر لها قليلاً.. قبل أن تتفاجأ بإبتسامة صغيرة تُزين وجهه ليردد:

"يبدو أنني ولأول مره أشتاق إليك حقًا يا أمينة!.."

نظرت له بصدمة، هو لم يردف لها أي كلمة حسنة مُنذ أضحى ملگًا، بل يُمكننا القول مُنذ تزوجها، هو لا يُجيد ذلك حتى!، حسنًا، الآن هي تأكدت من شكوكها، إختفاء ذاك الرجل كل هذا الوقت كان لُعبه، مُحمد علي كان مُختطفًا من قِبل الوالي العثماني!، ويبدو أن الوالي زوجه عليها تلك الفتاة الغربية هُناك!

"أأنت مريض؟"

سؤال خرج من فمها على حين غره، ليتذكر سريعًا ليلي، قبل أن يحرك رأسه بمعنى لا فائدة من الحديث مع تلك المرأة، قبل أن يتجاوزها مُتجهًا إلى غرفة ليلي!



"إزيك يا جدو"

رددت ليلي بضحك فور رؤيته، كانت لا تزال بملابس مدرستها، حتى أن حجابها الكحلي كان عليه آثار الدماء، والتي إتضح أن تلك الدماء خرجت إثر جرح رأسها الصغير من إحدى الزجاجات المكسورة!..

"لوراكي أحمد لقتلني في الحال!"

ردد هو بمزاح لُتُردف بضحك:

"أووهِ شكلك بدأت تخاف"

حرك عينيه بعدم رضا قبل أن تُردف هي فجاءه:

"فين الساعة؟، عايزة أروح، أحمد وزكريا وعلي هيقلقوا عليا، روح خلي الخدامين بتوعك يجيبوها عشان أروح بقا أصلي زهقت من لبسي ده "

نظر لها بتشوش، قبل أن يردف سريعًا مُحاولًا عدم إثارة انتباهها:

"لا تظني أنكِ في أي مكان، انتِ الآن أضحيتي في قصر الملك محمد علي، عزيزُ مصر، انتبهي، فانتِ في مكان، الجميع يحلم ان يراه حتى من بعيد!"

ضحكت لِتُردف على حين غُره:

"بالمُناسبة، أنا مُحمد علي، ذا الهيبة والفخامة، لا يجروُ أحد على النظر لي وهو يُحدثني حتى، يجب أن تتبعي انتِ أيضًا ذاك الأسلوب أمام الجميع!"

نظرت له بسخرية مُردده:

"عايزني كمان أقولك يا مولاي ولا اي؟، بس يا جدو، دي أبعد حاجه ممكن اعملها"

ردد بصوت مُنخفض وهو ينظر لباب الغرفة بريبة كبيرة:

"تَبًا لكِ، صوتك مُرتفع!، أجزم أن أمينة تستمع لنا الآن!، انظري يا ليلي، أنا لا أمزح معكِ، أنا لن أقص على الجميع هنا ما حدث لي في ذاك الأسبوع، سأقول فقط باختصار ظهرتُ في مكان غريب ووجدني إخوتك واعتنوا بي في منزلهم حتى استطعت

العودة، وصدفتًا جئني معي، لن نقول أكثر من ذلك ولا أقل، أسمعيني؟، لن نقول،
لن نقول.. انتبهي لتلك النون جيدًا!"

نظر لها مُنتظرًا تأكيدها لحديثه لترد الأخرى بمشاغبه:

"ربنا يسهل"

"تبًا لك مرة أخرى يا ليلي، أقسم أنني لو ظللت لدقيقة أخرى سأجن!، حمدًا لله
أنني جئتُ إلى عصري مُجددًا قبل أن أجن!"

رحل في حين أنها ظلت تضحك، قبل أن تتوقف عن الضحك فور خروجه وهي تتذكر
بخوف ما قالته مُنذ قليل للخادمة التي ضمدتها، فهي قد قصت عليها بالفعل كل
شئ!



"أطلس، أطلس، إستيقظ إستيقظ!"

هب الآخر من على فراشه مرددًا بقلق:

"ماذا هناك يا ربا!"

"إنها تُضئ، إنها تُضئ يا أطلس!"

نظر لها بعدم تصديق، قبل أن يركض خارج غرفته، وفور أن رأى ذلك النور الساطع
يُضئ المكان بهت وجهه وزاد بهتانه فور أن سمع كلمات الأخرى التي تقف خلفه
بفرحة:

"هناك أحد من عالمها قد جاء، أو الأمر الأكثر تشويقًا، يُمكن أن تكون هي من جاءت بالفعل!"

"لقد نجحتُ، لقد نجحنا يا أطلس!"

رددت الأخيرة بفرحة عارمة، قبل أن ترتدي سريعًا عبائه سوداء لها قلسونة واسعة، فور أن وضعتها قامت بتغطية وجهها، لئلا تُمسك بذلك الشئ الذي لم يتضح ماهيته نظرًا لسطوعه الشديد، واضعه إياه في جيب عبائتها بحذر، قبل أن تنظر لذاك الذي يقف مُتصنمًا مُردده باستغراب:

"هي بنا يا أخي، لماذا تقف مثل الأصنام بمكانك!"

"إلى أين ريا.."

ردد بصوت مُنخفض وهو ينظر إليها بتمعن، لئلا تُجيبه هي بابتسامة مُرية:

"إلى قصر عزيزُ مصر بالطبع!"



"إبحث عن تلك الآلة في كل مكان عثمان، انت من تعرف شكلها جيدًا، أقسم أنه لولا ذلك لقطع رأسك، وإن لم تجدها سأستغل الفرصة وأقوم بقطع رأسك أيضًا!"

"أمرُك عزيزُ مصر"

ردد هو بهدوء بعد أن إنحنى له، ليرحل بعد إشارة من مُحمد علي، ذاهبًا إلى قاعة القصر ليأمر الجنود بالبحث في كل مكان في ذلك القصر، واصبًا شكلها لهم بفضول

شديد لمعرفة أين كان ذاك الملك كل تلك الفترة؟، وكيف ظهر فجاء هكذا ومعه فتاة جميلة هكذا!..!

تساؤلات لا تدور بخلد عثمان فقط، بل تدور بخلد كل من علم بحادثة إختفائه، سواء زوجته أمينة هانم أو أولادها الخمس « الأمير إبراهيم والأمير أحمد طوسون، والأمير إسماعيل كامل والأميرة توحيدة والأميرة نازلي»

أو حتى جاريائه السبعة وعشرون وأولادهم!

أو حتى بذهن أقرب المقربين إليه كحسن باشا أو صالح قوش أو حتى كتخدا محمد لاطوغلي الذين كانوا على دراية تامة بما حدث لمحمد علي منذ إختفائه حتى ظهوره مُجددًا!!

في حين أن الآخر كان كتومًا، هادئًا، يُتابع كل ما يحدث بعينين كالصقر، فهو على الرغم من كل ما بدر منه وما مر به، سيظل محمد علي الذي لا تُخفى عليه خافية!

علم هو أن لحظة إختفائه كان أحد أتباعه المُخلصين وهو حسن باشا يدخل إلى القاعة مع أمينة هانم، وحينها حدث إرتباك شديد وأخذ الجميع يُلقي اللوم على عثمان بل كاد يدور صراعًا، لولا أن حسن باشا قام بتهدئة الأوضاع خاصة أمينة هانم، قبل أن يتفق مع الجميع على حفظ ذاك السر حتى ظهور أي إشعار آخر عن ما حدث لمحمد علي أو سر إختفائه.

وبالفعل، سارت مصر بعدها لمدة أسبوع على أساس أن محمد مريض و لا يظهر بسبب ذلك، في حين أي أمور تحتاج له يتولاها حسن باشا و تقوم أمينة هانم

بالموافقة عليها أولاً، حتى أن حسن قام بتصفية عدت جنود علم أنهم كثيري الكلام
خشيتاً من تسرب تلك الأخبار إلى أعدائهم الأخطر... المماليك!

"مولاي العظيم، مُحمد علي باشا، أيمكنني رغم تضائل شأني مُقاطعة أفكارك
للحظة؟"

نظر له محمد علي، ليبتسم على حين غُره وهو يتذكر معاملة ليلي وأخواتها له على
مدار الأسبوع الذي قضاه معهم، وحينها ردد حسن بغرابة:

"أكان لي الشرف بإضحاك مولاي يا عزيزُ مصر؟"

إنتهبه هو على ضحكته الواسعة تلك، قبل أن يُخفيها مُجدداً، ليردد بجفاف كعادته
السابقة:

"ماذا تُريد يا حسن، أ يوجد جديد بشأن مصر؟، أو بشأن مُقابلتي بالوالي العثماني التي
تم تأجيلها؟"

"لا يا مولاي، فقط كنت أريد الإطمئنان على صحتك وأحوالك"

علم هو ما يريد أن يصل إليه حسن ليُردد بهدوء:

"ليس الآن حسن، مازالتُ أطمئن على شئون دولتي"

ردد الآخر فجاه ببعض الحذر:

"... تلك الفتاة.. أعني، مولاي، تلك الفتاة التي حضرت معك، أقصد لبي.."

قاطعته وقوف مُحمد علي بقوة قبل أن يُمسكه من تلايبب ملابسه مردداً بصراخ أفرع
الحُراس الواقفين حوله:

"أتحمل فضولك اللفظ نظرًا لإخلاصك حسن، ولكن أقسم، إن مسَّ فضولك ذاك
تلك الفتاة سأمحيك من الوجود أفهمت!"

ردد الآخر سريعًا يحاول أن يوضح للآخر ما أراد قوله:

"حاشا لله يا مولاي، لا أقصد شيئًا، هُنَاك فقط فتاة غريبة تُشبه مولاتي التي حضرت
معك وقد وضعناها في السجن، ولكنني فور أن سمعت حديث مولاتي لك ولهجتها
وأيضًا إسمها، تأكدت أن تلك الفتاة تعرفها، لأنها ترتدي نفس ملابسها، وتتحدث
مثلها، حتى أنها رددت إسمها عدت مرات!"

هدأ محمد علي قليلًا غير مُصدق ما يسمعه مُرددًا:

"مُنذ متى؟"

"بعد ظهورك بدقائق"

وهنا ترك حسن ببعض العنف مُرددًا:

"ولماذا لم تُقل لي منذ حينها أيها الغبي!، هيا أركض وأحضرها إلي"

"أمرك مولاي"

ركض الآخر خارج القاعة سريعًا، في حين جلس محمد على عرشه بتعب، يُحاول
تكذيب ما يُفكر به، يُحاول تكذيب وجود مشكلة أخرى غير ليلي في عصره!



"هشد في شعري، هشد في شعري يا نااس"

ردد أحمد بصراخ وهو يحاول أن يقوم بأي شئ في تلك الساعة القذرة ولكن الساعة
أضحت كالخردة لا أكثر الآن!

"أنا كلمت إبراهيم يا أحمد، المكروباص عطل بيه في المنصورة، لسه قدامه يجي
ساعة وشوية"

نظر أحمد لزكريا مرددًا:

"ولو قدامه عشر ساعات، هيجي يا زكريا، وهنروح كلنا في داهيه"

امتلت عيني زكريا الخضراء بالدموع مُجددًا ليرد علي بتذمر:

"اقعد عيط انت من غير هدف، روح ذاكر يا زكريا انت مش فالج غير في كده أصلًا!"

نظر له أحمد بحده مرددًا:

"احترم نفسك يا علي، احترم نفسك عشان مزعلكش"

صمت الآخر بعدم رضا، قبل أن يتركهم داخلًا غرفة ليلي، ليجلس بها بحزن شديد.
أضحت الساعة الحادية عشر والآخر يجلس بتوتر كبير يقوم بقرض أظافره، في حين
زكريا يجلس أمامه شاردًا في ملكوت آخر، وعلي لم يخرج من غرفة ليلي طوال النهار.
صوت إشعار لرسالة صدر بصخب من هاتف أحمد بعد أن أعاده له أحد أصدقاءه
فور أنا وجدته، ليمسكه سريعًا بيد وفي الأخرى كان يتمسك بالساعة كأنها طوق نجاته،
ليجد رسالة من إبراهيم بها

"الطريق مقفول عشان فيه إصلاحات، فهضطر أركب لبلد تانية وهلف لفه ملهاش لازمه، هرجع سكاني تاني في الجامعة وهستنى يومين عقبال ما الطريق يتفتح، قوت أفولك عشان متقلقش"

تنفس الآخر الصُعداء، قبل أن يُردد بهدوء:

"الحمد لله رب العالمين، انت المُنقذ، انت المُنقذ،

أنقذني من مصيبتني يا رب"

نظر لزكريا ببعض الشفقة قبل أن يردد بهدوء:

"قوم يا زكريا، قوم نام وسيبها على ربنا، الحمد لله إبراهيم مش هيحي غير بعد يومين عشان الطريق مقفول، قوم نام يا زكريا وشوف مذاكرتك عشان امتحاناتك قربت، وادعي، مش قدامنا غير الدعاء بس دلوقتي.."

وقف زكريا وكأنه يحمل ثقل العالم على كتفيه، قبل أن يدخل غرفته بدون ولا كلمة، وشعوره بالذنب يكاد يأكله..

في حين سمع الآخر رنين هاتفه مُجددًا، ليجده رقم غريب، أجاب وما كاد يتحدث حتى سمع صوتًا يُردد بدهشة شديدة:

"أحمد محمد يا قوت معايا؟"

"اه افضل، مين؟"

وهنا شعر بقلبه يكاد يتوقف فور أن ردد الآخر:

"جدتك، جدتك أسماء المُعترز فاقت يا أحمد، تعالى بسرعة!"



"من انت؟"

ردد مُحمد علي بهدوء بعد أن أمر الجميع بالرحيل لُتردد هي برعب حقيقي وهي ترتجف ولا تجرؤ على النظر في وجه محمد علي وقد أحست بمدى هيئته:

"أ.. أنا بسملة خالد.. والله والله ما عملت حاجه!"

شعر مُحمد علي بغصة ما بقلبه، قبل أن يُردف بحذر:

"أتعرفين ليلى مُحمد ياقوت؟"

نظرت له بلهفة مُردده:

"اه اه أعرفها، أنا في فصل ليلى في المدرسة، وكنت معها الصبح وإدتها حتى ساعة لقتها زمان، وفجاه وأنا قاعدة في أوضتي لقتني هنا في المكان ده، ولقيت ناس غريبة كلهم بيتكلموا زيك و" صمتت فجاه.. قبل أن تشهق بقوة ساقطة أرضًا وهي تُردد:

"مش معقول،.. محمد علي!"

فيما يخص زوجة محمد علي وجواريه وأولاده هذا حقيقي، وأتباعه المُخلصين حقيقي وتستطيعون البحث في أي كتاب أو على جوجل. ونهايتًا أعزائي، اعلّموا بل تاكدوا أن شخصية محمد علي من أكثر الشخصيات صعوبة في التاريخ، ومن الشخصيات الغير مفهومه أيضًا من المُحللين التاريخيين، غير أن حياته الأسرية غير معروف عنها شيء يُذكر لذا سيتطلب مني مُخيلة واسعة أرجو أن تكون شبه واقعيه لكم حتى تندمجوا كفاية بالأحداث القادمة فهي للعلم شيقه جدًا جدًا وغير متوقعة بالمره، وإن شاء الله أي معلومات حقيقية ليست من مخيلتي هذكرها لكم في نهاية الفصل.

الفصل الثامن

"خوف"

صوت دقات على باب غرفتها أوقظتها بعد أن كانت في سُبات عميق نظرًا لألم جُرحها..

فتحت عينيها قبل أن تردف:

"إدخل"

وهنا تفاجأت بمُحمد علي يفتح الباب مرددًا بتنهيده:

"يبدو أنه سيكون لكِ رفيقة في ذلك العصر أيتها المخطوبة"

لم تفهم الاخرى شئ ولكنها قفزت من على سريرها بصدمة فور دخول بسملة راكضة وقد أمتلئت الدموع بعينيها!

إحتنضتها ليلي سريعًا بعدم فهم وهي ترمق محمد علي بدهشة، لئيشير بنظره على بسملة بمعنى أن الشرح الحقيقي سيأتي منها هي، لا منه!

تركهم وأغلق باب الغرفة ورائه مُجددًا، قبل أن يصعد هو إلى غرفته، ليُغلق بابها ورائه بالمفتاح، ليجلس أرضًا لأول مره، مرددًا بحزن:

"يبدو أن هاتان الفتاتان ستعلقان هُنا إلى الأبد، فلا يوجد طريقة أخرى غير الساعة القذرة تلك، لعنة الله على صانعها، يبدو أنه ساحر استخدم السحر الأسود لا أكثر، لا أحزن الآن سوى على عائلات الفتاتين، يبدو أن المتاعب لن تأتي لي وحدي!"

في حين على الجانب الآخر في غرفة ليلى، كانت بسملة بملابس مدرستها ولكن شعيراتها السوداء الناعمة كانت هائجة قليلاً، وكان أول ما رددته بسملة وهي تشير لشعرها ببكاء:

"الكل شاف شعري، أنا والله ما أعرف ايه اللي حصل!، أنا يا دوب قلعت طرحتي ولسه بمسك فوني أقلب فيه في أوضتي لقتني اختفيت وظهرت هنا، والكل شاف شعري، ربنا هيعاقبني يا ليلى صح!"
نظرت ليلى لها بنفي سريعاً مردده:

"متقوليش كده يا هبله، انتِ قولتي أهو، كان غصب عنك، مكنش قدامك طرحه وسبتيها، متلقيش هتلاقي أصلاً كل اللي في الزمن ده بشعرهم، يعني محدش هياخد باله من شعرك"
نظرت لها قبل ان تردف بمُشاغبة:

"وبعدين خدي هنا، مش كفايه شعرك منكوش عامله زي العفاريت، ده ادعي ان اللي شافك ميكونش دعي عليكِ بس!"

ضحكت هي من بين دموعها، لتجد ليلى تقوم بخلع حجابها مُردده:

"وعموماً يا ستي أنا حجابي كبير، هنقسمه بالنص ليا وليكي، عقبال ما نشوف هنمشي من هنا إمتي!"

"أنا مش فاهمه حاجه يا ليلى، أنا حاسه إني في حلم!، وبعدين منتيش شايفه القصر ده ولا الأوضة دي!، دي زي أوضه أميرات ديزني، أو أميرات العصر الفيكتوري لو سمعتي عنه!، ومشوفتيش الناس اللي هنا، أنا حاسه إننا رجعنا ميت سنة ورا!"

ابتسمت لها ليلي بغباء مردده:

"هو لو احنا فعلاً في سنة ١٨٠٧، إداً احنا رجعنا بالزمن ٢١٦ سنة يا بوسي مش ميه بس"

نظرت لها الاخرى بعدم استيعاب، لتردف ليلي بهدوء:

"هحكيلك كل حاجه، هحكيلك يا بسملة، بس الفكره، إن زي مانتِ جيتي تفتكري حد من اخواتي جه؟، أو تفتكري اي اللي جابك أصلاً!"

"ليلي.. ازاي محمد علي عارفك!، وماما وبابا يا ليلي... ماما وبابا هيبلغوا البوليس، ومش بعيد يقولوا على أخواتك، لاني حكيت لمامتي عنك إنتِ واخواتك، وإن ملقتكيش يبقى أخواتك راحوا في داهيه!"

نظرت لها ليلي بعدم استيعاب لدقيقة قبل ان تردف بابتسامة صفراء:

"الله يظمنك، الله يظمنك!"



"حاضر، حاضر"

ردد علي بضيق شديد من الدق المتواصل ذاك، فاتحاً باب المنزل ليجد أمامه رجل أربعيني وإمرأه ثلاثينية على ما يبدو، وعلى ما يبدو أيضاً من ملابسهم، أنهم ذوي مكانة راقية!

"مين حضارتكوا؟"

"ده بيت ليلي ياقوت؟"

رددت المرأة بتوتر يُردف هو بلؤم وقد شعر بالقلق يتغلغل بين أضلعه:

"ليه؟"

وهنا تفاجأ بالرجل يمسكه من تلايبب ملابسه مُرددًا بعنف:

"انت ترد على قد السؤال، ده بيت ليلي ياقوت"

نظر له علي بصدمة كبيرة وما كاد يتحدث حتى ردد أحمد من ورائه بغضب شديد:

"في بيتنا وبتطاول علينا، أنا أقدر أبلغ عنك على فكره"

وهنا أسقط الرجل علي بعنف لئُمسك المرأة بيد زوجها مُردده وقد إغرورقت عينيها بالدموع:

"بسملة...مش عايزه غيرها، إهدى يا خالد!"

ولكن الآخر نظر لأحمد بغرابة مُرددًا:

"دلوقتي بنتي مختفية من امبارح، وبلغنا البوليس، ومفيش أي حاجه ولا أي دليل لإختفائها المُفاجأ ده، غير إن آخر حد كانت معاه قبل ما تختفي كانت ليلي ياقوت!"
كلماتٍ كان أثرها كالصاعقة على الفتيان، قبل أن يبتلع أحمد ريقه مُرددًا بهدوء مصطنع:

"ليلي أختي في مشوار مع زكريا، لما ترجع هسألها وهتصل بحضرتك بنفسي لو فيه أي معلومة تقدر تفيدكوا، هي الحقيقة مجبتلناش سيره عن أي حاجه"

نظر له خالد بضع ثواني، قبل أن يردد بنصف إبتسامة غريبة:

"تمام، عمومًا احنا مش ورانا حاجة، ممكن نقعد هنا لحد ما ليلى ترجع"

نظر له أحمد وقد بهت وجهه مُرددًا بسرعة:

"أنا والله كنت أتمنى، بس للأسف رايح الشغل دلوقتي والله وحتى علي أخويا رايح المدرسة، انت جاي واحنا لسه بنصحى عشان نشوف مصالحننا.."

نظر له خالد قليلاً، وما كاد يتحدث حتى رددت زوجته وهي تقوم بالضغط على يده بألم شديد:

"خالد.. أنا تعبانه جدًا، تعالى نمشي يلا"

نظر لها الآخر بقلق شديد، وفي غضون ثانية كان خالد وزوجته يركبون سيارة فخمة، وقد قرر أخذ زوجته للطبيبة..

رمى علي أحمد الذي كان يُطالع مكان خالد بشرود، ليردف بخوف كبير:

"ليه يا أحمد، يا أحمد ليلى مُختفيه يا أحمد، كُنت قوله هي مُختفيه برضو، الراجل ده لو جه تاني وملقاش ليلى هيشك فينا أكثر وهيقتلنا يا أحمد!"

نظر له أحمد مرددًا بتوتر:

"ماهو برضو لو قولتله كده هيسالني مبلغتش ليه، وهيبليغ عن ليلى، وكده الحوار هيوصل لوائل يا علي، يا علي أنا معتش فاهم حاجة يا علي!"

ردد الأخير له تهبط دموع علي مرددًا بضياح:

"ما تقوله الحقيقة يا أحمد، جايز ده اللي يساعدنا.."

نظر له أحمد بسخريه مرددًا:

"انت مجنون؟، ده أنا لو قولتله حوار محمد علي ممكن يرفع عني قضية ويتهمي بالجنون!، ده شكله قتال قتله أقسم بالله!"



"ماذا تعني يا ميسيليا بأن محمد كان مُقيم في منزل تلك الطفلة!"

رددت بصدمة لتردد الأخرى مُطمئة إياها:

"لا يا أمينة هانم، ليس كما تظنين، إن ليلي تلك مجرد طفلة صغيرة، لا قلق منها ولا ضرر، غير أنك أجمل منها مئة، بل مليون مرة، لا يمكن لملكنا أن ينظر لغيرك فجمالك قد أعمى عينيه بالفعل!"

نظرت لذاتها في المرآة بغرور، لتُكمل الأخرى:

"غير أن تلك الفتاة لديها ثلاثة إخوه يبدو أنهم مُخيفون!"

نظرت لها أمينة بعدم فهم لتُكمل الأخرى بانفعال شديد:

"لقد طلبت منها وصفهم لي، وهي فتاة ثرثرة بالفعل، تقول أن لديها خمسة إخوه، أكبرهم يعيش في بلاد أوروبا، وتقول أنه ضخم البنية، يبدو كوحش كبير، ولديه أنياب تقريبًا!، من وجهت نظري أرى أنه مصاص دماء!!"

نظرت لها أمينة باستهزاء لتُكمل الأخرى:

"ولديه أخ أصغر لا أتذكر ماذا كان يُدعى، تقريبًا إبرهه، لا يُهم، إنه ذو أعين خضراء، رفيع، تقريبًا يُشبه الأفعى الخضراء تمامًا عدا شعيراته الصفراء كعينين بعض الثعابين!"

وهنا رددت أمينة هانم عند صمت ميسيليا خادمتها المُخلصة فجاء:

"أكملي يا ميسيليا، أكملي يا عزيزتي، أكملي فلقد شعرت بالجنون منك منذ زمن طويل، أكملي لا تخافي، لن أقتلك، لا تخافي" ابتسامة مُرتابة ظهرت على محيا ميسيليا، تلك الفتاة ذات الشعيرات البُرتقالية والنمش، كانت فتاة ذات خيال واسع، لكنها وبالرغم من مدى تفاهتها، كانت أكثر الأشخاص براءة وإخلاص في ذاك القصر المُريب، لذا أحببت أمينة هانم أن تستغلها كما يجب في نقل كل ما يدور بالقصر، وفي تنفيذ ما تريد بدون أن تطلب الأخرى حتى أن تفهم لِما..

"ولديها أخ أيضًا، ذاك يبدو أميرًا ذو فرس أبيض، إنني أتذكر اسمه، يُدعى أحمد، تتغنى هي في مدى طبيته وصفاته الحميدة، ومدى جمال هيئته، يُذكرني تمامًا بهؤلاء الأبطال الوسيمون الذين لطالما سمعت عنهم، وأتمنى رؤيتهم وهم ينقذون أحبائهم، يا الهي..!

كم هي محظوظه تلك الفتاه بامتلاكه أختًا، حمدًا لله أنه أخيها، هذا يُعطيني أملًا في إيجاد فارس أحلامي أخيرًا!"

ضحكات ملئت الغرفة كانت من الأميرة نازلي، ابنة مُحمد علي التي استمعت للمحادثة بدون قصد، لتُردد بضحك ساخر جدًّا:

"لا أصدق يا أمي أنك تستمعي لتلك البلهاء، أقسم أنها لا تبرع بشئ سوى الخيالات، إنها مجرد مريضة يا أمي!"

نظرت لها ميسيليا مُردده بحُزن:

"لستُ مريضه يا أميرة، المريض الحقيقي يعرف نفسه تمام العلم.."

شهقت نازلي بقوة، قبل أن تردد بصراخ:

"أمي تلك الحقيرة تقوم بسبي أمامك، أطريدها"

وهنا نظرت ميسيليا لأمينة هانم التي تطالعتها بغضب شديد مُردده بإعتذار:

"لا تؤاخذيني سيدتي، لم أقصد الإساءة حقًا"

ولكن الأخرى طالعتها بغضب شديد مُردده بقسوة مُفاجاه:

"ميسيليا، انتِ مجرد خادمة هنا لا أكثر، إذا تجرأتِ وطال لسانك على أحد أميرات ذاك القصر، سأترك التصرف لعزيز مصر، وانتِ أدرى بمدى طبيته مع من يتجرأ على إهانة أبنائه!"

نظرت لها ميسيليا لثانية قبل أن تنحني بإحترام مردده:

"حسنًا سيدتي"

"والآن اخرجي ولا تُريني وجهك اليوم"

إنحنت مره أخرى، قبل أن تستدير وقد ملأت عينيها الدموع، صحيح قد اعتادت ذلك، ولكن قلبها النقي لا يُمكنه تجاوزه، فهناك فرق بين الإعتياد والتجاوز، الإعتياد

هو أنك لا تندهش من ماهية مشاعرك في موقفٍ ما، بل تعتاد على تلك المشاعر
وتتقبل أنها ستظهر رغمًا عنك، في حين أن التجاوز، هو أنك تتجاوز تلك المشاعر
بالفعل، تمنعها من الظهور.. وحتى إن ظهرت، لا تُبالي بها، كأنها مجرد سخافات!

سارت هي بهدوء مُبتعدة، وما كادت تذهب إلى مطبخ القصر حتى تفاجأ بأحد
الجنود يُناديها، مُرددًا أن الملك يُريدها!

يبدو حقًا أنها وضعت في كارثة، بسبب تلك الكارثة الصغيرة التي تُدعى نازلي!



" ليلي، أنا بكلمك.. ردي عليا، انتِ ضحكتي عليا فعلاً! "

نظرت لها ليلي بإحراج مردده:

"ماهو يا بسملة، لو كنت قولتلك هاتي الساعه لإني شاكه انها بتاعت محمد علي،
كُنْتِ هتصدقيني يعني؟"

نظرت لها الأخرى بغضب هادر مردده:

"ما جازي لو كُنْتِ حكيتيلي كل ده يا ليلي كنت أصدقك!، أو على الأقل كُنْتِ قوليلي
لغرض مش هقدر أقولك عليه، مش دي شبه بتاعت بابا الله يرحمه وفكرتني بيها!،
ازاي جبتي الجُراه إنك تكذبي في حاجه زي دي!؟"

إمتلئت عيني الأخرى بالدموع لتردد:

"بسملة انتِ متعصبيش عليا كده!"

"قولتلك مكنش قدامي حل غير كده، وهو بابا هيبقى فاهمني وهيسامحني، وربنا هيبقى فاهمني برضو، ملكيش دعوه إنت!"

نظرت لها الأخرى بسخرية مردده:

"هنعتبر إنهم هيسامحوكي وده مستحيل بس هنعبر، أنا مش هسامحك يا ليلي، لإنك إستغليتي مشاعري وعطفي عشان تاخدي حته حديدة شوفي عملت فيكي وفيها إي كمان في النهاية!"

"عطفك؟!"

رددت ليلي وقد سقطت دموعها لُتُردد باختناق:

"أنا غلطانه فعلاً إني إستغليت عطفك وشفقتك على بنت يتيمة زي، بس سوري يا بسملة هانم، أنا أصلاً مكنتش راضيه أصحاب أي حد عشان محدش زي حضرتك يحس بشفقه ويعاملني عشان شفقتة إليلي حاسس بيها دي!"

نظرت لها بسملة بإعتراض مُردده:

"أنا مقولتش شفقة يا ليلي، أنا مقصدتش كده طبعاً!!"

وقفت ليلي بعنف مُردده ببيكاء:

"لا قصدتي كده طبعاً، وأنا يا بسملة آسفه إني خدعتك وإستغليت شفقتك عليا، أصلي مُثيره للشفقة أصلاً، وبقولك يا حبيبتي خلي شفقتك دي لنفسك بعد كده، أنا مش محتاجاها، وبالتالي لو الصداقة دي مبنية على شفقه خليها ليكي برضو، أنا الحمد لله مش محتاجه شفقت حد ولا صداقة حد، عارفه كمان؟، أنا مش محتاجه

الكلام معاكى حتى، عشان أنا ميهونش عليا تضيي وقتك مع حد انت مُشفقه عليه
اوي كده زي.."

نظرت بسملة لها بدموع ولكن الاخرى لم تمهلها لحظة لتتكلم وُندافع عن ذاتها،
قبل أن تقف سريعًا وقد إرتدت حجابها بعشوائية، لتخرج من غرفتها صافعة الباب
بقوة من خلفها!

خرجت الأخرى سريعًا لا ترى أمامها من كثرة الدموع التي تجمعت بعينيها، حتى أنها
إرتطمت بأحد كان يسير سريعًا مثلها ولكنها لم تكثرث أيضًا، بل أنها إعتدلت لتتكور
على ذاتها وقد إستندت على الجدار خلفها، مُجهشة في البكاء!

ظلت تبكي بحرقة، تبكي وقد شعرت بمدى حاجتها لتواجد أحمد، ولحضن أحمد،
ولعفو وطيبة أحمد، وحتى لضحكة أحمد!

وهنا تذكرت مدى سوئها معه مُنذ فترة، وكيف رآته يبكي ذات مره بعد شجارهم،
وكيف رآته يبكي عندما أفاق من فُقدان وعيها، وكيف أنها سببت له مشكلة كبيرة
الآن بإختفائها، وُربما إختفى أحد إخوتها معها أو أتى كما أتت بسملة وهذه ستكون
الطامة الكبرى!

أخذت تبكي بقوة، حتى شعرت بيدين متردده تُربت عليها، وهنا إنتفضت بقوة لتُنظر
حولها بخوف إختفى فور رؤيتها لتلك الخادمة التي كانت معها صباحًا بينما يُعالج
الطبيب جرح رأسها..

عادت لتبكي مُجددًا براحه، وأخذت الاخرى تربت عليها بعد أن جلست بجانبها، قبل
أن تتفاجأ بها تُردد:

"تبدين لطيفه جدًا يا فتاة، لماذا كل هذا البكاء؟، أظن أن حياتك بالأخير لن تكون أكثر قسوة من حياتي!"

وهنا نظرت لها ليلي بدموع لتُردد الاخرى بابتسامة هادئة:

"سُجن أبي وأنا بعمر صغير جدًا، في حين قُتلت أمي من أحد الرجال الذين سجنوا والدي وطالبوها بالأموال التي يدين بها لهم وعندما تستطع هي الدفع، قتلوها!

لم يكن لدينا أقارب، فقام بتربيته إحدى الجيران، كانت امرأة كبيرة طيبة تعيش وحيدة، ولكن سرعات ما ساءت الأمور فور ظهور أبي مُجددًا، ليأخذني.. ومن كثرة الديون عليه قام ببيعي كجارية لإحدى الرجال، وبالصدفة وأنا أسير الى سجنى رأني أحد رجال الملك، وأخذني مُرددًا أنني نفس المواصفات التي يبحث عنها الملك، لأعلم بعد ذلك أنه أحد أصدقاء أبي، أرسله أبي بعد شعوره بالندم الشديد لبيعي، ولكني رفضت العودة إلى أبي، متوسلة إليه ليجعلني أعمل أي شئ عند الملك كما يعمل هو، وقبل فقداني الأمل أخبرني أن الملكة تريد خادمة، ستكون مُهمه صعبة فهي قاسية وصعبة الإرضاء، ولكني وافقت، وأعيش هنا منذ خمسة سنوات تقريبًا"

شعرت ليلي بعدم قدرتها على الرد، فهي بالفعل لا تعرف كيف تُجيب تلك المسكينة!، وهنا ظهرت ملامح التقزز على وجهها، فربما تكون تلك «المسكينة» كلمة قد قيلت عليها من قبل بسملة.. وهنا رددت داخلها أن تلك الفتاة الجميلة ليست مسكينة، إنما هي فتاة قوية، قامت باختيار العمل والإعتماد على ذاتها ومقاومة مصاعب الحياة رغم كل ما عانتها، رافضه ظُلم أبيها الذي وقع عليها في الماضي، ومانعه إياه أن يتكرر!

"أتمنى أن أكون قد خففت عنك بطريقة ما، أنا لستُ جيدة جدًا بتلك الأمور، و
أعتذر لك فيبدو أنني ضايقتك ولهذا انتِ صامتة، على كل حال لن تريني هنا
مُجددًا!"

وهنا تحدثت ليلى سريعًا بتبرير:

"لا لا مضايقتنيش والله، بالعكس هونتي عليا كثير، بس أنا ليه معتش هشوفك تاني!"
نظرت أمامها بابتسامة صغيرة مُردده:

"حسناً لقد كان يُريدني الملك، وأنا في طريقي لتلبية نداءه رأيتك ولم أحب أن أتركك
وحيدة وحزينة هكذا، ولكن على أي حال كان سيوبخني لا أكثر وربما كنت سأطرد
أيضًا فلا يُهم"

نظرت لها ليلى بفضول وكادت تسألها عن السبب، ولكنها رأَت ملامح الحزن بادية
على وجه الاخرى، وقبل أن تمر ثانية كانت قد ظهرت ابتسامة غريبة على وجهها
الصغير، لتقف بانفعال مردده بخبث:

"تعالى تعالى متقلقيش، أنا هتصرف أنا"

نظرت لها الاخرى باندهاش، ولكنها كادت تموت خوفًا فور رؤيتها لما فعلت ليلى
لاحقًا!



"انتِ كويسة ياتيتا؟، طب انتِ حاسه بـاي طيب؟"

نظرت له الاخرى بتشتت وعينين زائغتين، ليتنهد الآخر قبل أن يردف الطبيب
بهدهوء:

"زي ما قولتلك يا أحمد، إحمد ربنا انها بس فتحت عينها، الكلام و الإدراك هيجوا
واحد واحد بعد كده"

نظر له الآخر بضيق، مُرددًا على حين غُره:

"الواحد بس بيعز عليه يشوف أكثر ناس بيحبهم كده، وبيحاول يخفف عنهم، بس
مفيش فائدة"

رمقه الطبيب بنظره ذات مغزى، قبل أن ينظر لجذته ليجدها تنظر له بهدهوء، وقد
بدا أنها استمعت لحديثه بالفعل، نظر هو لها، ظاهرًا على وجهه إيمارات الألم،
ليشعر الطبيب أنه حان وقت خروجه، وبالفعل صدق شعوره، ففور أن خرج هو
وأغلق باب الغرفة ورائه، حتى سقطت دموع أحمد بغزارة، ليُمسك يد جدته مُحْتَضِنًا
إياها وهو يردد:

"أنا محتاجك، محتاجك أوي يا موءه، ما هو يا تقومي يا تجبيلي بابا وماما، أنا
محتاجكوا، أنا تعبت بجدا!"

ظل على حالته تلك دقائق، قبل أن يقوم أحد بإقتحام المكان، وبالتأكيد لم يكن
سوى على و زكريا، اللذان علما بأمر جدتهما الآن فقط، فلقد أخفى أحمد ذلك علمًا
بأن حالتها امبارحه كانت سيئة ولا تحتمل تواجد أحد بجانبها، والآن الطبيب طمئننه
بتحسن حاله قليلاً!

لم تمر دقائق أخرى، حتى سمعوا دق رقيق على باب الغرفة، وهُنا فزع أحمد من صراخ علي المُفاجئ:

"ليلي، دي ليلي والله قلبي حاسس!"

و في ثانية كان علي يفتح الباب ليعود بوجه مُصفر، مُرددًا من تحت أسنانه:

"طنط أم بسملة، صاحبة ليلي"

وهُنا وقف أحمد ببعض الخوف منتظرًا دخول زوجها، ولكن لم يدخل، نظر لوالدة بسملة بعدم فهم مثل إخوته، التي رددت بهدوء وهي تُطالع جدتهم التي أغمضت أعينها:

"ألف سلامه عليها، ربنا يتم شفاها على خير"

"خير، جاية انتِ وجوزك تقتلينا ولا تتهمينا بخطف بنتك؟"

ردد علي بوقاحة و بنبرة مُرتفعة ليوبخه زكريا مُرددًا بضيق:

"عيب يا علي، إستنى نشوف عايزة اي ضروري خلاها تيجي لينا هنا!"

صمت علي بعدم رضا، في حين نظر أحمد لتلك المرأة بعدم فهم، التي رددت بهدوء:

"خالد ميعرفش إني جتلكوا هنا، بس أنا جيت عشان عارفه جوزي، هو شاكك فيكوا وأكيد انتوا فاهمين ده، بس الفكره مش في كده، الفكره انوا في إيده ياذيكوا جامد، حتى لو مكنش ليكوا ذنب!"

"اه، قولي بقى إنك جايه تهددينا!"

"علي"

ردد أحمد بتحذير، ليتأفف علي بضجر، في حين نظرت له المرأة ببعض الدموع مُرددة:

"علي، دي بنتي، مش عندي غيرها، يعني لو حصلي حاجه في يوم مش هيبقى عندها أخوات طيبين زيكووا يهتموا بيها، لازم تبقى مُدرك ده، بنتي لو فضلت مُختفيه أنا هموت، ولو مُت وهي طلعت عايشة مش هتقدر تكمل وحيدة!"

بدا زكريا متأثرًا في حين أن الأخرى أكملت:

"أنا جايلكووا هنا عشان حاجة واحدة بس، جايه أسالكوا سؤال وحيد... ليلى فين دلوقتي؟"

كانت إمراه ذكية على قدر طبيعتها، فهي إن سألتهم أين إبنتي، فسيجيئوها بلا نعلم، فهم بالفعل لا يعلمون، إنما الشك الصحيح أن بسملة برفقة ليلى، لذا كان سؤالها قمة في الدهاء، وهذا ما خطر ببال زكريا في تلك اللحظة!

نظر الإخوة لبعضهم بحيرة، لا يعلمون ماهية ما سيقولون تلك اللحظة، وما كاد ينطق أحمد بحرف، حتى لُجم لسانه تمامًا ومُجددًا وقد بدت ملامح الرعب على وجهه هو وإخوته.. ووالدة بسملة أيضًا!



"بعد إذن جلاله الملك المُبجل محمد علي، هُناك من يريد لقاء عظمتك"

نظر له محمد علي بحده مُرددًا:

"يبدو أنك قد نسيت قوانين عملك يا حسن، من ذاك الذي يتجرأ على طلب لقائي،
ومن ذاك الذي جعلك تتجرأ على طلب مثل ذاك الطلب!"

نظر له حسن أخيرًا ببعض الريبة، قبل أن يقترب خطوتين مُرددًا بصوت مُنخفض
وقد أراد أن يصل الحديث لمُحمد علي فقط دون الجنود المُحاطين به على الجانبين:

"يبدو، أنه أمر مُتعلق بإختفائك سيدي"

بدا الأمر من بعيد أن هناك أحد علم بإختفاء الملك، ولكن من نبرة حسن المُرتابة،
فهم محمد علي مقصد الآخر تمامًا، وهُنا أكمل حسن ببعض الريبة:

"إمرأه مُربية ومعها رجل "

نظر أمامه بتفكير لدقيقة، قبل أن يردد بهدوء:

"لا تدخلهم حسن، قم بسجنهم في الحال لجُرأتهم على القدوم"

"أمرك مول.."

قاطع كلماته دخول مُفاجئ لإمرأة مُبهمة الهيئة فقد إختفت جميع ملامحها بفعل
قلسونة عبائتها السوداء، وبجانبها رجل ضخم إلى حدٍ ما وهُناك آثار دماء طفيفة
على يديه ليفهم الجميع كيف دخلا إلى القاعة جاهلين كيف أتهم الجرأة لفعل ذلك
حقًا!!

إبتسامة صغيرة ظهرت على وجه مُحمد علي، بعد أن إنحنى كلاهُما مرددان التحية
عليه بأدب، مُتجاهلان طريقة دخولهما، وهُنا نظر حسن لمُحمد علي مُنتظرًا منه
أمرًا بقطع رأسيهما في الحال، ولكنه تفاجأ تمامًا بترديد محمد علي بنبرة غريبة:

"إذهب وأكمل عملك يا حسن، عندما أريدك سأرسل لك أحد الجنود"

وعلى الرغم من صدمته الشديدة إلا أنه إنحني مُوافقًا، ليُغادر القاعة وهو يكاد يموت غيظًا، فهكذا قد فاته الكثير والكثير من التشويق، خصوصًا مع عدم قدرته على تفسير موقف مُحمد علي الغريب!

"نعتمدُ عزيزُ مصر على قدومنا الغير لائق بجلالتك، ولكن ما نملك، كان بالأهمية التي ستجعلك تنغاضى عن ذلك"

كانت تلك الكلمات الجريئة تخرج منها بكل ثقة، مما جعل محمد علي يبتلع الإهانة مؤقتًا ليضحك بصوت مُرتفع جدًا مُثيرًا غيظ أطلس الغير راضي عن أي شئ من الأساس!

نظر لهم محمد علي بإستهانة شديدة مُرددًا بسخرية:

"تُعجبني ثقتك يا فتاة، ولكنها ستُفنى معك عند إستخدامها في غير محلها"

تقدمت الأخرى خطوة، قبل أن تنزع القلسونة عن رأسها، لتظهر شعيراتها البنية الفاتحة وعينيها الخضراء المُتسعة مع بشرتها القمحية اللامعة..

على الرغم من براءة عينيها إلا أن نظراتها لم تكن كذلك، كانت نظرات غريبة، تفاجأ محمد علي بعدم تفسيره لها على الرغم من خبرته الكبيرة على مدار سنين حياة!

"لا يُهمي، لا يُهمي أي شئ تقوله أو تعنيه بسخريتك تلك، ولن يهملك أيضًا وقاحي فور علمك بما أملك ويخص.. اللي جاي من سنة ٢٠٢٢"

جحظت عيني محمد علي بصدمة واضحة، إنها.. إنها ختمت حديثها باللغة التي تتحدث بها ليلى!، إنها.. إنها تعلم أن ليلى هُنا و جاءت من عصرٍ آخر!... من تلك!.. من تلك!، إنها ستكون كارثة إن كانت قادمة هي الأخرى معهم!!

"من.. أنتم!"

سؤال وحيد رده مُحمد علي باتزان وهو يرمق كلاهما بتحليل لتبتسم الأخرى ابتسامة صغيرة غير بريئة بالمرّة وهي تردد:

"في الحقيقة لن يهملك ذلك كثيرًا،.."

صمتمت وهي تضع يدها في جيبتها قبل أن تُكمل وهي تكاد تُخرج ما في حوزتها:

"بعد رؤيتك له"

"محمد، إنْت فين يا جدو بقالي نص ساعة بدور عليك!"

قاطع حديثها كلمات ليلى العفوية، قبل أن تنظر للمرأة وهُنا شهق الإثنين على حين غرة ليردد كلاً منها:

"الساعة!"

"أسماء!"

الفصل التاسع

"أين ليلى؟"

"إتفضلي على العربية تحت، عشان حابب أنكلم شوية مع أحمد"

نظرت له والدة بسملة بخوف مُردده:

"أنا والله أنا.."

قاطعها الآخر ناظرًا لها بنظرة ذات مغزى ليكمل:

"إستينتك تحت كثير وزهقت، قولت يبقى الكلام ملوش لازمه منك، هيبقى أفضل وأحسن مني، يلا إتفضلي تحت يا أم بسملة"

نظرت هي أرضًا بدموع مكتومة وهي تُدرك تمامًا أنه خشي فقط أن يُخرجها أمام الآخرين، قبل أن تخرج بهدوء و ما كادت تغلق الباب ورائها حتى تساقطت دموعها رغما عنها، وهي ترى ذلك الفتى صاحب النظارة يقف مرعوب، والآخر الضخم الذي يُدعى علي يتمسك بيد جدته بقوة، في حين أحمد يقف أمام الإثنان كحارس مرعى، رغم قلقه البادي عليه، إلا أنه مستعد أن يتلقى كل الأذى عن إخوته.. كم يعجبها تماسك تلك العائلة، ولكنها تمنّت أن تتعرف عليهم وبالأخص على ليلى التي بالتأكيد بنفس طباعهم الجيدة، ولكن في ظروف أفضل من تلك..

هناك جانب الآن بداخلها، يُخبرها أن هؤلاء الصغار ليس لهم يد فيما يحدث، و يخبرها أيضًا أن إبنتها لو كانت برفقة ليلى.. فهي بكل تأكيد في مأمن!

"أي كلام عايز تقوله مبيقاش هنا، ومبيقاش لحد غيري"

ردد أحمد بقوة مُصطنعه ليرمقه الآخر من أعلى لأسفل بنظرة غريبة، قبل أن يردف
بهدوء:

"تعالى"

وهو يسير خارج الغرفة..

سار أحمد وراء الآخر بدون أن يلتفت لإخوته، بل أنه أغلق باب الغرفة ورائه، ليتبع
خالد ذاك الذي قاده لسطح المشفى!، على غير المتوقع..

يبدو أنه سيقوم بإبراحه ضربًا، أو ربما يقوم بإلقائه من أعلى.. بالتأكيد لا لا فهو لا
يبدو مُجرمًا، إنه فقط يبدو قاتلاً مُتسلسلاً!

كاد أحمد حقًا يموت رُعبًا، ولكنه وبكل ذرة قوة به حاول أن يتماسك، ويُظهر عكس
ذلك، حتى يعرف ما هي نية ذلك الوحش الذي أمامه.. والذي وقف بجانب أحد
الأسوار ينظر للظلام الدامس أمامه، في حين أنه قام بالإستناد على ذلك السور بهدوء
مُرددًا:

"تعالى عايز أقولك كلمتين، متخفش"

الكلمة الأخيرة أزعجت أحمد أشد الإزعاج، لذا وبكل تكبر سار حتى وقف بجانبه وقد
مدد ظهره ورفع رأسه يحاول أن يبيث للآخر شعور أنه ليس خائفًا، ولكن الآخر ظهرت
على محياه إبتسامة جانبية عميقة، فور رؤيته لمشية ذلك الشاب باتجاهه..

"خير"

ردد أحمد بضيق فور أن طال صمت خالد، الذي إعتدل ليكون بمواجهة أحمد،
ليُردد بهدوء وهو ينظر له:

"انت عارف إن والد زوجتي عميد في القوات المسلحة في القاهرة؟"

نظر له أحمد بإرتعاب حقًا هذه المرة ليكمل خالد بإيجاز:

"بص يا أحمد، وزى ما عرفت إن جد بسملة ظابط، أكيد خمنت دلوقتي إنه قلب
الدنيا عليها، وإنه ممكن يسجنك انت وإخواتك، لو مش هامك مستقبلك، فأكيد
أخوك اللي في تالته ثانوي، والتاني اللي في أولى ثانوي، والتالت اللي في آخر سنة في
كلية زراعة، ميرضكش إن مستقبلهم يضيع ويبقوا رد سجون!"

نظر له أحمد بإحتقان، قبل أن يردد بعدم تصديق:

"إبراهيم!، انت مالك ومال إبراهيم!"

نظر له الآخر ببرود مُرددًا:

"والله يا غالي أنا مالي بس ببني، وعشان كده أقدر برضو أنزل أخوكوا وائل اللي في
إنجلترا، لإني لو معرفتش بنتي فين منك، هخليه هو يجي يعرف هيا فين، ولو معرفش،
للأسف هضطر أضيع مستقبله كدكتور برضو معاكوا"

"إنت بتهددني؟"

ردد أحمد بغضب وهو يرمقه بإحتقار لينظر له خالد و قد بدت أخيرًا عليه تعبيرات
الحُزن و أظهر أنه إنسان راميًا بتخيلات علي أنه روبرت عرض الحائط...

" أنا أب، أنا أب يا أحمد وأرجوا إنك تفهم ده، أنا كنت ابن وحيد، و عندي بنت وحيدة، ومراتي بنت وحيدة برضو، أنا أب و يكفي أقولك إني لو فقدت بنتي مش هفقدها لوحدها، أنا هفقد والدتها معاها! "

تفاجأ أحمد من نبرة خالد المُختنقة والذي قال والدموع تخنق عينيه:

" مامت بسملة عندها كانسريا أحمد "

نظر له أحمد بصدمة كبيرة و قد رأى دموع الآخر تتساقط رويدًا رويدًا مُرددًا:

"هي رافضه تاخذ علاجها الكيماوي غير لما نلاقي بسملة، ومن ساعتها وهي بتتبدل أكثر كل يوم عن اللي قبله، و بتطفي أمني إن مدام احنا إكتشفنا المرض في مرحله مُبكره إنها تروق!"

شعر أحمد بنبضات قلبه تتباطأ، وقد شحب وجهه شحوب الموتى وامتلأت عينيه هو الآخر بالدموع، وهُنا نظر له خالد مُترجياً:

"أرجوك، أرجوك قولي الحقيقة يا أحمد، أمني الوحيد فيك بعد ربنا إني مفقدش بنتي ومراتي، قولي، قولي يا أحمد بسملة فين!"

نظر له الآخر بدموع مُرددًا بقلة حيلة:

"أقسم بالله، أقسم بالله معرف!"

نظر الآخر أمامه و قد تكاثرت دموعه، ولكنه عاد ليرمق أحمد الذي ردد بحسم وهو يزيل دموعه:

"بس أنا عارف ليلي فين.."

مرت لحظة صمت عصبية قبل أن يُردد بجمود:

"ليلي رجعت بالزمن لسنة ١٨٠٧"



"الساعة!"

"أسماء!"

صرختان إمتزجتا ببعضهما البعض، الأولى كانت ل ليلي المُندهشة، والأخرى لصاحبة
الشعر البني التي شلت الصدمة عقلها في تلك اللحظة، قبل أن يردف مُحمد علي
سريعًا وقد إنتبه أيضًا لبريق الساعة الذهبية التي في يد الفتاة أمامه، و التي تأكد أنها
ليست إلا الساعة التي أنت به و بليلي هُنا!

"إبتعدي يا ليلي من هُنا"

وهُنا ظهرت ملامح التعجب على وجه الاخرى مُرده في سرها:

"ليلي!"

قبل أن يصرخ أحد مُرددًا:

"ريا، سريعًا، إنبطحي"

لتنبطح الأخرى بكل مهارة قبل أن تُقطع رأسها بسيف أحد الجنود، لُخرج الساعة
الذهبية من جيبيها ناظره الى شئ ما، لتقف بجانب أخيها أطلس وهُنا بدأ نور متوهج
أصفر يشع بقوة لُتردد ريا بصراخ:

" ستندم على غدرك ذاك يا عزيزُ مصر، ستندم أشد الندم "

و هنا زال التوهج، ليتبخر الإثتان وكأنهما لن يوجدنا من قبل، لتندفع ليلى بعدم تصديق مُرده و هو تطالع محمد علي بعدم فهم:

"دي.. دي إختفت!.. دي معاها الساعة!.. دي سرقتها يا محمد أنا كده همشي إزاي!"

صمت مُطبق حل على مُحمد علي، الذي عجز لسانه عن الرد، بل عجز لسانه عن إستيعاب ما حدث الآن على الرغم من ذكائه الحاد.. خرج من صمته فور أن إنتبه لدموع ليلى التي تطالعه وتبكي بصمت، لتردف بصراخ:

"انت إزاي تسبها تسرق الساعة و تمشي، أنا إخواني زمانهم هيتجننوا عليا، أنا لو حصل حاجه لإخواني مش مسمحاك"

وهنا التفت لترفض عائدة الى عُرفتها، وقد وقفت ميسيليا غير قادرة على الحراك، و هنا.. إنتبه لها محمد علي ليعض على شفتيه بغضب، وقد فهم الآن أنه إذا لم تمت ميسيليا بعد ما شاهدته، سيعرف كل من بالعالم ما حدث تلك اللحظات الماضية..!



"دانت عبيط بقا.. مهو انت يا عبيط يا بتستعبط!"

ردد خالد بإستنكار ظننا منه أن أحمد يسخر منه، وهو يُمسكه بشدة من تلايب ملابسه وقد إحمرت عيناه بنيران الغضب!

"أقسم بالله ما بهزر، ما هو أنا مردتش أقولك ولا أقول لوائل عشان كده، محدش هيصدقني، أقسم بالله وأقدر أثبتلك بالأدلة إن محمد علي باشا كان في بيتنا ومعايا الحاجه اللي جه بيها!"

نظر له الآخر بشك ليردد بتحذير:

"بص يبني، انا واضح إني صغرت نفسي لما اتعاملت مع عيل زُيك، بس على العموم، مش هخسر حاجه لو مشيت على قد عقلك لحد مشوف الخُلاصه، لإني بصراحه كده يا غسل، كلامك كله ميمشيش معايا، قال محمد علي كان عندكوا إسبوع ونص قال"

كان كُلاً من خالد ووالدت بسملة يقفان في منزل ليلي مع الإخوة الثلاثة فقد رفضت والدت بسملة رفضاً تاماً أن تذهب هي لبيتها، والآخر يخشى عليها البقاء وحدها لذا خضع على مضض لرغبتها.. علم كُلاً من علي وزكريا أن أحمد قصَّ على خالد القصة مُنذ البداية، وأن الآخر لن يصدق لهذا أحضره لهُنا.

"أيوه يعني لما تجبلي تحت ساعة أقدر أشتريها من أي حته هصدقك إزاي!"

نظر له زكريا مُردداً على حين غره:

"دهب؟"

"نعم؟"

ردد خالد بعدم فهم ليردف الآخر مُفجراً قُنبلته:

"الساعة دي مصنوعة من الذهب.. حتى العقارب، مفيش فيها ولا فراغ مش ذهب
عدا الوش الإزاز، إلي برجح إنه مش إزاز، دي مادة غريبة بس شفافة زي الإزاز مش
أكثر"

نظر له أحمد مُرددًا بدهشة:

"إزاي تاخد بالك من حاجه زي دي ومتقولش!"

نظر زكريا حوله ببعض الضيق مُرددًا:

"ايوه يعني وده هيفيدنا بـ إي!"

"ما هو عشان غبي مقلناش إكتشافه العظيم ده"

ردد علي بإحتجاج ليتفاجأ الجميع بإمسك زكريا لعلي من تلايب ملابسه مرددًا
بعنف غريب عليه:

"بقولك إي يبني.. إن ملمتش نفسك وإحترمت سني أنا هخليك تحترمه غصب
عنك، أنا ساكتلك من بدري بس خلاص معدتش قادر أستحملك!"

رفع علي قبضته وهو على وشك لكمه لكمة عنيفة، أوقفها يد خالد الذي أبعد الإثنان
عن بعضهما مُرددًا:

"مش بعمل كده حُبًا فيكوا.. بس عشان لو نسيتموا أفكركووا إن مراتي هنا"

في حين أحمد كان يقف مُذبهلاً مما كان على وشك الحدوث.. هل سينتهي بهم
المطاف يقتلون بعضهم أم ماذا؟!

قاطع تفكيره ترديد خالد بسخرية:

"برضو مش فارق معايا الساعة الذهب.. مثبتتليش أي حاجه"

هنا دخل أحمد لغرفته، قام بالعبث ببعض الأشياء قبل أن يعود بإبتسامة مُنتصرة، وهو يحمل بذلة محمد علي المزينة بقطع الذهب والألماس.. وقد كان من الواضح جدًا أنها غير مُزيفة.. بتصميمها الملكي والمُتمق جدًا لتردف والدت بسملة بدهشة كبيرة:

"انت بتهزر صح!.. ازاي؟. ازاي اللبس ده.. عندكوا؟!"

نظر خالد للبذلة ليتفحص كل إنش بها.. قبل أن يتفاجأ الإخوة به ينظر لهم ببرود كالثلج مُرددًا:

"لا تعني لي أي حاجه في أي حاجه.. إن كنتوا مفكرين إنني مُغفل وهصدق الهبل ده كله.. إذا هتبتلكوا العكس.. وأنا بتفرج عليكوا بتحاولوا تقنعوا البوليس بنفس الطريقة"

إرتعب علي، و نظر له أحمد بترجي وقد إتخذ وضعية الدفاع عن إخوته واقفًا أمامهم بدون وعي.. ليُردد بفقدان أمل:

"أرجوك.. أرجوك حرام عليك تضيع حياتي أنا وإخواتي.. حرام عليك تضيعها وفي الآخر منعرفش برضو بنتك فين!.. إحنا كل ده بنبتلك مش أكثر ليلى مُختفية ليه.. إنما في النهاية منعرفش أي حاجه عن بنتك ولا نعرف شكلها حتى.. أرجوك متخدناش ضحايا لإختفاء بنتك اللي محدش يعرفله سبب!"

"آسف يا أحمد.. بس حتى لو الموضوع معدش ليه علاقه ببنتي، أنا مستحيل أسكت عن إختفاء أختكوا.. بنت يتيمة عايشة مع تلت عيال، أكيد من واجبي كأب أدور

عليها زي الناس بعد ما أبلغ البوليس.. مش أصدق خُرافات ملهاش أي دليل من الصحة!"

وهُنا صرخ علي علي حين غره مُرددًا:

"لا في دليل!"

نظر له الجميع بعدم فهم، لِيُفجر قُنبلته وهو يفتح هاتفه على عجل، قبل أن يفتح صورة يظهر بها محمد علي بكل وضوح وهو يجلس على أريكتهم، بينما تجلس ليلي بعيدًا عنه بسنتيمترات، وتُمسك بقلم و ورقة وهي تضحك!

أمسك خالد الصورة بعدم تصديق.. وظل يكبر و يصغر بها حتى أتى بكل تفصييلة بها، في حين ردد علي للتوضيح:

"في اليوم ده حبيت منساش كلام محمد علي لينا عن ليلي، فقولت هصوره صورة كل أما أبصلها أفكره، عشان حتى لو مشى فجاه، ورجعت نسيت خالص موضوع الصورة ده."

نظر خالد لهم بعدم تصديق مُرددًا:

"أكيد فوتوشوب"

في حين رددت والدت بسملة:

"حرام عليك يا خالد، متخليش شكك فيهم يعميك عن حقيقة قدامك، انتَ خبره في الحاجات دي يا خالد عننا كُننا، بدمتك دي فوتوشوب؟!"

هدأت تعبيرات خالد فجاءه.. بل أن آثار الحُزن بدت عليه، قبل أن يعطي علي هاتفه بهدوء، ليُطالعهم جميعًا بنظرات غريبة لم يفهموها وهم يرتعون حَقًّا من فكرة إبلاغه للشرطة، و لكن خالد نظر لهم بحزن شديد مُرددًا:

"أنا آسف، أنا آسف إني مدتلكوش فرصة من بدري"

نظر له الجميع حتى والدت بسملة بعدم فهم ولكن علي شهق بقوة في حين وضع زكريا يديه على فمه بصدمة وشعر أحمد بوقوف كل شعرة برأسه فور أن سمعوا صوت دق قوي جدًّا، وصوت بشري يعرفونه تمام المعرفة يُردد بصراخ:

"أحمد، إفتح يا أحمد، هي دي الأمانة اللي سبتهالك يا أحمد"



"U"

صرخت ليلي بقوة بعد أن عادت لتسأل مُحمد علي مجددًا عن الساعة لتجد ميسيليا تقف أمامه وقد كان أحد الجنود يصوب سيفه أمام رقبتهَا بدقة مُنتظرًا إشارة فقط من ملكه!

ركضت الأخرى كالمجنونة لتدفع الجندي بقوة مُردده بدموع وغصه:

"لاا، ميسيليا لا، ميسيليا لا، هي متستاهلش كده لا، أنا.. أنا هتصرف مع الملك عدي، امشي انت واقف لي، قولتلك هتصرف مع الملك أنا، عدي، عدي وشيل.. السكينة دي عدي!"

لم يهتم الجندي وكأن ليلى شبح ليس له وجود، نظرت ليلى لميسيليا ذات الوجه
المُحتقن والدموع المحبوسة واليدين المُرتجفة، بينما حولت ناظريها لمُحمد علي
الذي يتابع ما يحدث بجمود لتركض جهته مُردده بصراخ:

"خليه يشيل السكينة، عشان خاطري متقتلهاش"

شعرت بنيران تجري بين دمائها فور أن لم يعطها محمد أدنى اهتمام ليشير الى
الجندي الذي أخذ أمره هكذا ليقتل ميسيليا وهُنا صرخت بفزع وقد خرجت عن
شعورها:

"محمد، متقتلهاش!"

إتسعت أعين الجندي ورفاقه الذين يقفون على الجانبين ليُطالعوا ليلى بعدم
تصديق، بينما نظر لها محمد علي وقد توردت وجنتاه من الصدمة، قبل أن يصرخ
فجاه:

"كل الجنود، الى الخارج!"

نظرت له ليلى بعدم فهم، قبل أن تركض باتجاه ميسيليا وهي تعطي ظهرها لمُحمد
علي ولكنها جفلت فور أن ردد الآخر بنبرة مُخيفة وقد كانت عينيه تطلق الشرر:

"ميسيليا... انتِ أَيْضًا الى الخارج.. أريد ليلى فقط هُنا بتلك القاعة!"



"يا ملكة، يا ملكتي أمينة ألم تسمعي ما يحدث!"

نظرت لها الأخرى بعدم فهم لتُكمل ميسيليا بصدمة:

"لقد أعلن عزيزُ مصر بأنه سيقتل ليلى، تلك الفتاة التي أتت من عصر آخر لأنها تجاوزت الحدود معه في الحديث!"

وقفت الأخرى بعدم تصديق، تكاد تضحك فهكذا كل شكوكها تم نفيها حمدًا لله، و لكن هلع الأخرى أمامها التي اخذت تقفز مُردده:

"أرجوكِ، أرجوكِ إنجديها، إنها فتاة صغيرة طائشة، ولا تعرف قوانيننا، كيف يمكن أن تُقتل هكذا!"

"وما شأنك انتِ ميسيليا!"

رددت الأخرى بنظرات باردة لتمتلاً أعين ميسيليا بالدموع مردده:

"إنني فقط أتعاطف معها كثيرًا.. الفتاة يتيمة في عالمها.. وستترك صديقتها وحيدة هنا، صحيح أنها مُشاغبة، و لكن لا تنسي أن تلك الفتاة هي السبيل الوحيد لتعرفي ما حدث لمُحمد علي في عالمها بالتفصيل.."

رددت الأخيرة وهي تنظر للأخرى ببعض الدهاء قبل أن تُكمل بتوسل:

"أترجأكِ ملكتي.."

في حين بدا على الأخرى أنها تُفكر.. وما كادت تتقدم خطوة حتى رددت:

"ولكن لو هذا كان قرار مُحمد حقًا.. لا يمكنني فعل شيء!"

شعرت ميسيليا بقلبها يتوقف لتُكمل سريعًا:

"كيف لا يُمكن لأُمينة هانم ملكة مصر أن تُراجع ملكنا في أمر كهذا يخص فتاة يتيمة،
لا يا ملكتي أنتِ لا تقفي أمام الصعاب.. حاولي حتى على الأقل ليُخفف حكمه عليها
قليلاً!"

فكرت أُمينة لبضع دقائق، قبل أن تسير بتفاخر مُتجاوزة ميسيليا، التي فور خروج
ملكته حتى تنفست الصُعداء مُردده في نفسها:

"حمدًا لله لم أفضل في المهمة!"



كان الجميع مُتيسب بالفعل، و الآن تزيد طرقاته على باب المنزل بجدة و قد بدا أنه
فقد عقله حقًا!، إنسحب خالد سريعًا ليُبادر هو فاتحًا الباب حتى لا يكسره الآخر من
قوة دقه!

دخل الآخر سريعًا حتى أنه لم ينتبه لخالد وزوجته.. بل أنه نظر لإخوته ليُردد بصراخ:
"ليلي.. ليلي.."

تجاوز الجميع ليفتح باب غرفة ليلي بعنف ولكنه وجد فراشها مُرتبًا جدًّا .. وقد تأكد
هنا أن ليلي مُتغيبه منذ فترة.. فأخته إذا تواجدت بغرفتها تجد سريرها دائمًا مُبعثر..
بل أنه نادرًا ما يجده مُرتبًا!

راقبه الجميع بإرتياب.. و قد كان يعطيهم ظهره و يرمق فراش ليلي بهدوء شديد
مُخيف.. لا يصدر له صوت..

ولكن على حين غرة إلتف الآخر، ليجده الجميع قد وقف أمام أحمد بسرعة البرق،
ليلكمه لكمة.. أطاحت به أرضًا، لينصدم الجميع فور رؤيتهم لأحمد.. يبصق سنتين
مُمتزجتان بالكثير من الدماء!

وفي ذات اللحظة التي لُكِمَ بها أحمد، كانت الأخرى تقف بانفعال، قبل أن تشعر بألم
شديد في قلبها لتصرُح بقوة ساقطة أرضًا!

الفصل العاشر

"فتاةٌ يتيمة"

وفي جوفِ الظلام ظهرُوا هم فجاء من العدم، بطريقة تحبس الأنفاس، فمن كثرة الضوء الذي كان يحيط بهم، من يراهم يظن أن الأنوار المفتوحة تُحيط بهم!

نظرت الأخرى حولها براحة غريبة، قبل أن تجلس على أريكة حمراء ذات طراز غريب بظهر رقيق، لتضع قدمًا على الأخرى متنهدة براحة لا مُنتهية!

في حين أن الآخر كان يقف مُتبيسًا، يُطالع أخته بنظرات كالصواعق بعد أن قام بإضاءة المكان فور زوال نور تلك الساعة، ليُردد بنبرة مُتفاجأة:

" قمتي بمغامرة في شدة الخطوره الآن، ولكنك تجلسين بكل أريحيه وتضعين قدمًا على الأخرى أيضًا!.. ماذا تفعلين من ورائي ريا! "

ضحكت الأخرى بسخرية مُردده:

"بدل ما تشكرني إني أنقذتك يا غبي!"

صمت هو لدقيقة.. ينظر بإتجاهها بطريقة مرعبة لأي أحد عداها، لا تأبه هي بنظراته تلك، بل أنها بدأت تتلاعب بأظافرها بغير إكترات..

جز الآخر على أسنانه بقوه مُرددًا بسخرية:

"أنتظنين أنني لا أفهم ما تفعلين ريا؟، أحقًا تظنين أنني صدقتُ كذبتك بأنك أخفيتي الساعة جيدًا في منزل والدي القديم و مصادفتًا عثر عليها الجندي؟"

نظرة الأخرى له بتحدي مُردده:

"هذا تمامًا ما حدث أطلس"

"لا أصدق أنك لم تعرفيني بالرغم من مرور كل تلك السنوات يا طفلة"

وقفت بعصبية مُردده:

"لستُ طفلة، لا تقوم بإستفزازي حسنًا أطلس؟"

ولكن الآخر هُنا أمسك بزراعها بأقل قوة يملكها مُرددًا بهمس مُرعب:

"أسير أنا معكي في طريق نهايته نجاتك وموتي، ولكنك مازلت لا تُقدرين ذلك، أعلم يا طفلة أنك تخططين لكل ذلك مُنذ زمن، و أنك كنتِ تدفعين صديقي للذهاب لمنزل والدي حتى يتعثر بالساعة ويذهب، ولكنك صُدمتي تمامًا فور وقوعها في يديّ مُحمد علي، على كل حال، يجب أن تفهمي الآن مع من وصلت اللعبة، لقد تضخمت بسبب غيابك يا... ريا!"

دمعت عينيّ الاخرى.. قبل أن تُردد بنبرة منخفضة وقد إختفت ملامحها الحادة والعنيفة لتظهر أخرى مُتألمة:

"تحب أن تضايقني انت.. أيجب أن تُذكرني بحقيقتي البشعة؟"

وهنا ترك الآخر يدها ليردد بلطف شديد ظهر فجاه:

"عن أي بشاعة تتحدثين.. أنتِ كُنتِ أمنية مُستحيلة يا فتاة.. ولكنها تحققت!"

ضحكت وقد سقطت دموعها مُردده:

"يا ليتها لم تتحقق.. يا ليتها يا أطلس"

"أحمد ربي كل يوم أنها تحققت يا أختي العزيزة، لولاكِ لظلمتُ وحيدًا أبد الدهر، أنتِ من اقتحمتي حياتي على حين غرة، لتزينيها بالبهجة، وتُضيفي عليها نهكة خاصة، جعلتني أحبها بعد طول سأم... ريا.. أنتِ أغلى ما أملك الآن، بل يجب القول أنني لا أملك غيرك.. أعلم برغبتكِ بالعودة لعالمكِ.. وأعلم أنكِ تحلمين بذلك منذ زمن طويل.. ولكني مازلتُ متمسكًا بأمل أن تقومي بإختياري أنا نيابة عن عالمكِ.. كما إخترتكِ أنا نيابةً عن عالمي أجمع.."

إمتلات عيني الأخرى بالدموع لُردف بصوت مُنخفض:

"وإذا قلت لك أنني لسْتُ قوية لأغامر بإختيارك وهناك إحتمال لعودتي لعالمي.. هل تندم على تضحيتك بعالمكِ من أجلي؟"

إبتعد أطلس هنا خطوة.. وقد لانت ملامحه الخشنة كثيرًا.. وتساقطت شعيراته الصفراء مغطيه عيناه التي إمتلات إحداهما بدمعتان، فهو جيد بأمر حبس دموعه ذاك.. فهذا مؤشر للضعف بالنسبة إليه، وهو قد اعتاد على الظهور قويًا.. حتى ولو كان ذلك مجرد تظاهر..

تخلص من تلك الدمعتان قبل أن يرفع رأسه لينظر لأخته مطولًا..

"لا أندم.. لا أندم حتى لو قتلتي ريا.. أنتِ كُنْتِ مُنقذتي كما كنتِ مُنقذكِ.. لقد إنتشلتيني من عالم الوحدة التي كنتُ بها.. أنتِ من جعل هناك حياةً لعالمي.. أنتِ من ملأيني بالحياة بعد طول إنطفاء.. أيًا كان قراركِ في النهاية.. انتِ تعلمين أنني سأدعمكِ بالكامل.. تعلمين أنني سأدعمكِ حتى وإن كان قراركِ هو غرز سكينًا في

قلبي.. سأدعمك بل وأشجعك لفعل ذلك يا صغيرة.. برأيك من أغلى منك لدي حتى لا أدعمك؟ "

صمتت الأخرى تنظر له بدموع ممتلئة لثُردف فجاه بشهقة تبعها سقوط دموعها بقوة أكبر:

"ولكنك تكبر يا أطلس.. انت تكبر وقد فُدر لك الموت في أي وقت.. ماذا سأفعل أنا حينها يا أطلس؟، يجب أن أتخلص من لعنتي تلك أطلس.. أنا أختك التوأم ولكن انظر ما آل إليه حالي وقد بديت أكبر مني بأعوام كثيرة!"

"أحب أن أنظر إليك، تُذكريني بأبي التي لم أراها، لهذا لست مُتضرراً أبداً من عدم تقدمك بالسن، بل إنه يُعجبني لأنني أشعر أنك إبنتي لست حتى أختي!"

ردد الأخيرة بمرح، ولكن الأخرى رددت بقسوه ألمته حقاً:

"إنه مُسلي بالنسبة لك، مُميت بالنسبة لي، أنا أريد أن أعود لعالمي أطلس قبل رؤيتك تموت وأنا هنا ما زلتُ شابة.. سأخلد بسبب خطأ بالساعة الحمقاء، لطالما رددت لسنوات، لماذا تم إختياري أنا لهذا العناء، لماذا لم تُختار أسماء، ولكن الآن أنا عازمة، إما سأصلح الخطأ وأعود لعالمي، أو سأحضر أسماء هنا لتعيش معي، يكفي هكذا!"

نظر لها الآخر بحزن مُرددًا بعصبية:

"أعلم، أعلم ربا بتلك الظلمات التي في قلبك وأدركها تمامًا، ولكن تلك الفتاة المسكينة ما ذنبها؟ ها؟، انت تعلمين جيداً أنها لو ظلت هي هنا كانت ستُعاني وسترى كل شيء سئ يمكن أن تراه، ربا انت هنا منذ سنوات برفقة والدك رحمه الله وأخيك،

ولكن تلك الفتاة مع من كانت ستبقى!، أنا حقًا لا أصدقك ريا، لا أصدقك ولا أصدق تفكيرك المريض ذاك!"

إبتسامه غير مُصدقة ظهرت على محيا الأخرى مُردده بسخرية شديدة:

"نعم.. نعم أنا مريضة يا سيد أطلس وأكثر شخص كامل بهذا الكون هو أنت، نعم أنا تفكيري مريض، وسأنفذ ما أخطط له، وإن لم تساعدني فلا يهم سأنفذ أيصًا ما برأسي"

فجاء إمتلئت عينيها بالدموع لتُردد على حين غرة :

"ليتك لم تُولد هنا.. ليت والدنا فعل ما يستطيع ليجمعنا منذ الصغر في عالم ثالث.. لا عالمي ولا عالمك.. بل في عالم ثالث يتسع لنا جميعًا أطلس.."

حاول ضبط ذاته ليُردد بهدوء قدر المُستطاع:

"ريا.. عزيزتي.. كل ما أردت قوله هو.."

قاطع حديثه صوت دق عنيف جدًّا على باب المنزل ليصرخ الآخر بريا:

"الى غرفتك حاليًا فيبدو أن جنود محمد علي قد استطاعوا الوصول إلينا أيتها الغبية"

وفور أن أغلقت الأخرى باب غرفتها عليها وفي يدها الساعة حتى فتح الآخر باب المنزل ليجد صديقه الوحيد بعد ريا يلهث من الركض مُرددًا بفزع شديد:

"في كل مكان.. إنهم في كل مكان يبحثون عنكم يا فتى، أقسم أنها ليست بشارة خير أبدًا، حتى إنهم يرفعون السلاح في رأس كل من يقابلهم حتى يعترفوا بمكانكم أطلس، إنهم يبحثون عن ريا وأطلس، ماذا فعلتم بحق الجحيم!"

ظهرت آثار الفزع الشديد على وجه أطلس، ولكن ليس من كلمات صديقه، وإنما كان من ذلك الصوت الذي يعرفه جيدًا والذي صرخه إنخلع لها قلبه! ليردد أطلس بفزع شديد:

"ر.. ربا!"



لم تشفع دماء أحمد لأخيه.. بل أن الآخر ثار أكثر مرددًا بصراخ صم آذان الجميع:

"فين ليلى؟؟؟"

و ما كاد يرفع يده ليلكم أحمد مُجددًا حتى أمسكها خالد سريعًا مُرددًا بصدمة من ثورته تلك التي لم يتوقعها:

"إهدى يا دكتور إهدى مش كده.. متقلقش هنلاقي ليلى إهدى انت بس"

أزال الآخر يد خالد بقوه مرددًا بأعين تطلق الشرر:

"مدام هتلاقوها أمان اتصلت عليا ليه وقولتلي ليلى مختفية ومعاها بنتي وهنسنجني في اخواتك والكلام الفاضي ده؟؟!"

شعر خالد بأعين الجميع تُسلط عليه بغضب وما كاد يتحدث حتى سقطت دموع وائل ليردد فجاء:

"انت اتصلت بيا وأنا في استراحة من عميلة طويلة.. دخلت بعدها غلظت في حاجه وكنت هموت المريض.. وخذت جزاء، ده لو مطردونيش من الشغل يعني عشان مشيت زي المجنون من غير ما أستاذن ولا أعمل أجازة"

صدمة حلت على الجميع، أكثرهم خالد الذي شعر بالذنب يأكله حيًا الآن.. نظر هو لإخوته بعشوائية قبل أن يردف بقهر لخالد:

"شغلي ده.. وغربتي دي.. وكل العناء اللي عنيته هناك.. كل الإهانة اللي اتحملتها وكل المذاكرة اللي ذاكرتها وكل التعب اللي تعبته.. مكنش عشاني.. كان عشانهم... كان عشان أبقي سند وضهر ليهم.. كان عشان لما ميلاقوش أب يلاقوني.. لما يحتاجوا فلوس يلاقوني.. نصيحة يلاقوني.. حنية يلاقوني.. ع.. عشان.. لما ليلى تكبر.. وتيجي تتجوز.. تلاقيني... والله كنت هنزل وأسيب شغلي ساعتها.. كنت هفضل جنبها.. وأهي ليلى ضاعت.. وأنا ضعت!! "

نظر وائل لأحمد ليُردد بوجع:

"عمرك شوفت مني حاجه وحشه يا أحمد.. حد عمره شاف؟.. عمرك شوفت مني غير الدعم؟.. سواء دعم معنوي أو مادي.. طلبتني مرة وملقنتنيش؟.. طلبتني مرة ومردتني عليك؟.. طلبت مني حاجه ومعملتهاش ليك؟.. أنا.. أنا بس سبتلك أمانة أبويا وأمي ليا.. سبتلك بنت صغيرة عاجزة.. شقية بس طيبة... شقية بس بتحبك.. صحيح انت ممكن تكون شلت المسؤولية بدري وانت لسه صغير عليها.. بس ماهو عشان كان فيه حد أناني.. باع الكل عشان جامعته وحياته.. وراح لجامعته وساب المسؤولية ليك... كان لازم تبقى قدها.. مكنش فيه حل غير ده!... أنا... أنا حتى ساعتها عرضت عليك.. آخذ ليلى معايا.. كنت هعرف أهتم بيها.. كنت هعرف.. كنت هاجي على نفسي زي ما بعمل على طول وهعرف.. بس انت مردتني، وعيظت، وقولتلي انك بتحبها عشان هي شبه ماما، و قولت إنك مش عايز تعيش لوحدهك .. انت يابني مش قولت كل ده؟.. مش وعدتني هتاخذ بالك منها؟.. مش كنت كل أما اسالك عليها تقولي بأفضل حال وبتعاملني أحسن معاملة وبتحبنى .. مش انت

قولتي كل ده؟.. كانت الصبح ليلي تقولي إنها ندامة انها زعلتك.. وآخر النهار اكلمك تقولي دي مزعلتنيش الإسبوع ده خالص.. كنت الصبح الاقي زكريا بقولي اتصل إظمن على احمد وانصح ليلي.. آخر النهار اتصل ألاقيك بتضحك وأنا شايف في عيونك الدموع.. وأنا شايف في عيونك الدموع وقلة الحيلة يا أحمد!. كنت ببقى شايفها وعارف إنك مخبيها.. كنت ببقى شايف وجعك و وحدتك.. كنت شايف كل ده يا أحمد.. كنت عارف إن عقبك الوحيدة في الحياة هي ليلي... بقيت تفضلها عن كليتك.. وسقطت سنة وبتعيدها عشان بس ليلي تعبت تلت أيام فغبت من تلت امتحانات وسقطت فيهم... "

نظر كلاً من زكريا وعلى بصدمة شديدة لأحمد ليُكمل وائل غير مكترثاً لهم:

"و وعدتك إني هخبي على أخواتنا الموضوع وخبيته وفهمتكم إنك في تانية وأنا ساكت ويريحك... أنا عارف إنك حاولت.. عارف إنك عافت زيي.. عارف إن أكثر اتنين عانوا كان أنا وانت.. بس.. ليلي يا أحمد فين دلوقتي؟... بعد كل ده هي فين!؟.. أحمد ليلي مش ولد.. ليلي بنت.. باء تاء نون.. بنت مهما بلغ عنادها و عصبيتها.. هتفضل بنت.. بيتخاف عليها أكثر من أي حد في العالم.. لإنها... بنت يتيمة.. يتيمة يا أحمد... وأديها راحت أهي عشان غباي!.."

صمت الآخر بُرهه.. ينظر الى البذلة التي كان يُمسكها علي بقوة ليردد هو بغصة:

" انت عديم المسؤولية، عشان تدخل راجل غريب البيت و ليلي فيه، و حتى لما اختفت مفكرتش تقولي، أنا بجد مصدوم فيك، كنت عايزني اعرف لما أقرأ خبر وفاتها على النت ولا إي؟"

نظر للآخر الصامت الذي يبكي بصمت وهو ينظر للدماء في يده وقد كانت دمائه قد أغرقت مساحة كبيرة منها ومازالت لا تتوقف وكأنها ليست تهبط بسبب جرح وائل لها.. وإنما كانت تهبط من جرح أحمد الداخلي.. ذلك الجرح الذي ظهر منذ عُلم وفاة والديه!



فُتِحَ الباب بقوة كبيرة جدًا قبل أن يقتحم أطلس المكان، ليجد أخته ريا تجلس أرضًا وتنتظر للساعة بصدمة تخللها ملامح الرعب، ردد أطلس سريعًا بقلق كبير:

"ماذا يحدث، أنتِ بخير؟، ماذا هناك يا ريا!"

لم تنظر له الأخرى بل أنها لم تنتبه حتى لوجوده وقد انتبه الآن فقط الى ظهور شاشة شبه زرقاء تصدر من ساعة يدها، والتي إختفت فور أن أزالته عينيها عنهما لتنتظر لأخيها بأنفاس تتصاعد بقوة!

"ر.. ريا؟!!"

ردد اسمها بطريقه ذات معاني كثيرة، ردها بمعنى أنتِ بخير مرة، وماذا يحدث مرة، وما تلك الشاشة الزرقاء مرة، فهكذا نحن أحيانًا نختصر كل ذلك في طريقة ذكرنا لاسم الآخر فقط!

"أتظن أن تلك الشاشة ظهرت لهم أيضًا؟"

سؤال وحيد رددته الأخرى، قبل أن ينتبه أطلس للكارثة الأخرى التي تنتظرهم، فور سماعه لدق غليظ على باب منزلهم، تبعه صُراخ يردد:

"افتح يا أطلس، الملك يُريدك"

وهنا، بدأت الاخرى تستعيد وعيها تدريجيًا، لتقفز فزعة من مكانها مُردده بصدمة:

"ماذا؟! "



أن تشعر بقرب لقاء حدفك حتى إذا كان مُجرد دور تُمثله لا أكثر وقد قمت بتصديقه رغماً عنك سيغير نظرتك لأشياء كثيرة، وهذا ما أراده مُحمد علي تحديداً من ذاك العقاب الذي قام بإختياره ل ليلي، مُقنعا إياها أنه يجب أن يحافظ على ماء وجهه أمام الجميع، ويجب أن يخمد تلك الشكوك المتأججة في صدر زوجته، ففي النهاية هي مجرد طفلة صغيرة مُشاغبة في عين محمد علي، ولن تكون أقل أو أكثر من ذلك مهما حدث.

دار حديث طويل بينهما، يثق أن ليلي ستُثرثر وتنقله لصديقتها تلك أو الخادمة في أي لحظة بعد مرور ذلك الحدث المُهيب، ولكن ما باليد حيلة!

سيحاول هو فعل ما بوسعه ليجعلها أفضل، وسيحاول هو إعادتها لعالمها بأي طريقة، متوقعا سوء الأحوال الآن عند أخواتها بدونها.

يتعجب هو كثيرًا، فكما يُقال «يوضع سيره في أضعف خلقه»، فها هي مُجرد فتاة صغيرة في الخامسة عشر ليس إلا، يتمحور حولها أربع أو خمس حيوات بتعلق غريب!

يرمقها هو من دون أن تلاحظ وقد إمتثلت أمامه تقف وقد طأطأت رأسها وأغمضت عينيها بقوة، وكأنها تتمنى أن تختفي الآن من كثرة الأنظار المُسلطة عليها، وقد شعرت

بالإحراج من أن تُخبر محمد علي بالقشعريرة التي تسري في جسدها مثل الكهرباء فور أن تكون هي محور النظر والحديث، داعية ربه أن لا يأتيها نوبة فزع مُفاجئة أو أن تقوم بأي فعل أحمق رغماً عنها..

تفاجأت هي بأحد يهمس في أذنها-التي لم تكن إلا ميسيليا- التي رددت في أذنها ما أملاه عليها محمد علي من لحظات:

"لا أعلم سبب توترك الشديد هذا، لا يجب أن تنسى أنه مُجرد دور تلعبه، بالإضافة أن الملك يأمرك بأن لا تُطأطي رأسك مُجددًا، مرددًا أن ليلي محمد ياقوت لا يجب أن تُطأطي رأسها لأحد أبدًا حتى ولو كان هو، قفي بشموخ، حتى وإن كان موتك بعد لحظات، موتك بكبرياء أفضل من موتك بضعف إذا كان مصيرك الحتمي في النهاية هو الموت!"

رغمًا عنها رفعت رأسها سريعًا لترمق مُحمد علي بدموع مكتومة ووجه محتقن، وما كادت تزعم على إخبار ميسيليا بمشاكلتها الأعظم الآن، حتى رحلت الأخرى سريعًا، واقفة مع الخدم، تُحاول بث الطمأنينة من نظراتها الى ليلي، التي شعرت بالحُزن الشديد عليها فور أن لاحظت رجفت يدها والدموع المكتومة بعينيها.

ميسيليا لم تكن إلا فتاة حمقاء، لا يمكننا القول سوى ذلك، رغم كل ما مرت به إلا أن عقلها أبدًا لم ينضج، تدرك هي جيدًا أن الفرد لا ينضج إلا بأشد الطرق قسوة، لا ينضج إلا بعد أن يمر بأصعب ما يُمكن المُرور به، لا ينضج إلا بعد تلقي صفعات عنيفة، وهي بالفعل تلقت كل ذلك، ولكنها أحيانًا تندهش من ذاتها، فهي لا تشعر أبدًا أنها ناضجة، تشعر دائمًا بأن روح الطفلة تتلبسها، تُضايقها كثيرًا ولا يوجد طريقة

للتخلص منها، ولكن في النهاية، النضج سيء، النضج مؤلم، تمقت هي نعمة، لا يشعر بها إلا من فقدوها إثر إحدى صفعات الحياة..

جاءت أمينة هانم وقد بدأ الجندي بالإقتراب وفي يده السيف من ليلى التي ترتجف وقد حاولت رفع رأسها ولكنها لم تستطع وظلت مطاوعة إياه رغمًا عنها، نظرت ميسيليا الى الملكة سريعًا، ولكنها صُدمت فور أن رأت الأخرى تبتسم بهدوء، وقد وقفت مثلها مثل الجميع تنظر ل ليلى بصمت جعل قلب الأخرى يهوى أرضًا، لم تكن تعرف هي أحقًا محمد علي جاد بقتل ليلى أم لا، هي فقط فعلت ما أمرها به حتى لا يقتلها، ولا يحق لها السؤال عن أي شيء، ولكن الآن الخطة تفشل، وهو قد أقسم بقتلها إن فشلت، يجب ان تتدخل بأسرع وقت!

تحركت ميسيليا بهدوء حتى وقفت بجانب أمينة هانم، لثُردد بصوت مُنخفض يكاد يصل لأذن أمينة:

"هي يا ملكتي، الفتاة ترتجف"

ولكن وجهها قد تحول للون الأصفر تمامًا فور أن قالت الأخرى ببسمة هادئة غريبة:
"لا بأس"

وفي تلك اللحظة لمحت الأخرى تلك النظرة التي أرسلها لها محمد علي بدون إنتباه أحد، لتفهم أن حياتها على المحك حقًا تلك المرة.!

"يا ملكة، كيف لا بأس بماذا قد تحدثنا في عُرفتك منذ دقائق!"

لم تعطها الأخرى أدنى اهتمام راقمة ليلى بشماتة لثُردد ميسيليا بنبرة باكية:

"أترجائي يا ملكتي، أترجائي أين الرحمة والعدل، إنها فتاة يتيمة يا ملكة، إنها لا تريد حتى البقاء هنا!، يا ملكتي أترجي كل ذرة رحمة بقلبك الأبيض!"

رمقتها الأخرى بطريقة غريبة قبل أن تُردد بنبرة تهديد:

"كلمة أخرى، وسأقول أنكي سرقتي عقدي، وسأجعلك بجانب تلك الساذجة لا تقلقي"

إبتلعت الأخرى لسانها، وقد شعرت بالدموع تملأ عينيها حقًا وبنغزة في قلبها، ليس لأنها ستلقى حدفها، بل لأنها الآن أصبحت سببًا كبيرًا فيما سيحدث ل ليلي الآن..

نظرت للملك تُحاول أن توضح له وضع زوجته عن طريق النظرات، وكان فطن كثيرًا ففهم من نظرة عابرة ألقاها على زوجته نيتها الخبيثة، وهذا ما جعله يشعر بنفور مفاجئ وشديد منها، فهو لم يتوقع أبدًا تلك القسوة والخباثة التي بها، يعلم أنها ليست امرأة طيبة، ولكنه لم يعرف أن إنعدام طبيبتها بلغ هذا الحد!

نظر ل ليلي وقد أضحى السيف على رقبتها تمامًا و فور أن إنتبه لتلك الدموع المكتومة بعينيها، والنظرة المتوسلة له ليوقف كل هذا الهراء، وإحمرار وجهها بالكامل الغريب ورعشة يدها التي لم بينته لها قبلاً، حتى قرر في لحظة أن يرمي بكل ذلك حرض الحائط، وما كاد يصرخ أن يتوقف الجميع حتى تفاجأ هو ب ليلي قد إنتهت طاقه تحملها لتسبقه مُردده فجاه وهي تضع يديها على رقبتها بصوت باكي:

"مش قادره، مش قادره أتنفس، النجدة، مش قادره، هموت"

وهنا إنهارت ليلي أرضًا فائدة للوعي ليقف محمد علي سريعًا وكأن ماسًا كهربائيًا مر بجسده قبل أن يركض باتجاه ليلي متناسيًا موقفه الآن وكل ما ومن حوله، فقط كل



ما يدور بخلده، أنه لم يستطع أن يحافظ على تلك الأمانة الصغيرة، وهذا عازٌ كبير
عليه...

الفصل الحادي عشر

"فأمطرت"

كان يستمع لصوت بُكائه من خارج عُرفته، يشعر بقلبه يؤلمه بشدة فها هو يجلس مُقيد اليدين لا يستطيع مساعدة أي أحد حتى ذاته.. أدمعت عيناه فجأه ليُخرج هاتفه وقد فتح برنامج «الواتس آب»، قام بفتح أول مُحادثة مُثبتة والتي كانت باسم لطيف وهو «أحمد أبو قلب كبير» لتهبط دمه من مقلتيه وقد ندم أشد الندم على رد فعله العنيف..

ولكن ماذا كان سيفعل،

إنه حقًا لم يشعر بذاته!، حقًا لم يشعر!

فتح المُحادثة وفكر لدقيقة، قبل أن يكتب:

"إفتكرت بيت شعر كنت قرأته بيقو.."

قام بمسح الكلمات مُجددًا ليعيد الكتابة..

"إن خدعتك الحياة،

فلا تحزن، ولا تغضب!

في اليوم الشجي اهدأ،

يوم الفرح، ثق، لا بد آت.

القلب يحيا في المستقبل،

فالحاضر كئيب!

كل شيءٍ عابر، كل شيءٍ سيمضي،

وما سيمضي-سيصبح أجمل "

أرسلها وأغلق هاتفه، ليجده في ذات اللحظة قد جائه إشعار يُنبه بإرسال احمد ردًا، فتحتها ليبتسم وقد إنهمرت دموعه وهو يجد أحمد قد أرسل له نفس الرساله مجددًا بدون ولا كلمة، فاهمًا مغزى أخيه..

لا أحد يُدرك قدر المصيبة التي وقعوا بها، لا أحد يدرك قدر المِحنة التي يمرون بها، لا أحد يُدرك جُنبات نفس الآخر، لا أحد يعُدُّ، لا أحد يتصرف بحكمة، لا أحد يفكر بعقل، كانوا جميعًا.. يحتاجون وفي تلك اللحظة تحديداً، أب.. وأم!



سقطت ليلي.. وسقط معها قلب مُحمد، وسقطت معها دموع ميسيليا، وسقط معها جمود الآخرين لتظهر الدهشة الشديدة الأشبه بالصدمة!

ليس من سقوط ليلي، بل من تخلي ملكهم عن هيبته تمامًا ليركض على غير العادة، جالسًا على ركبتيه وهو يردد بخوف شديد:

"ليلي، ليلي أمتسعيني؟، ليلي أجيبيني يا ليلي، ليلي أرجوكي لا ترحلي!، ليلي لن أتحمل ذنبك وذنب إخوتك أرجوك، ليلي تحدثي ليلي، ليلي أجيبيني يا ليلي!"

حديق الآخر بميسيليا التي كانت مُتجمدة، لتركض باتجاه ليلي قبل أن تحرك رأسها بركة مُردده بصوت منخفض:

"ليلي، فقط أجيبي إن كنتِ تسمعي"

ولكن الأخرى لم تنبس ببنت شفه، ليصرخ محمد علي في الجميع الذي يرمقونه بصدمة لا أكثر

"أحضروا طبيب، لماذا ما زلتُم تقفون يا حمقى؟!"

تحرك الجميع سريعًا ليحدث جلبة في القاعة، ولكن الوحيدة التي كانت تنظر بنظرات غريبه جدًا وتقف مُتجمدة حقًا كانت زوجته أمينة، تُتابع فقط رد فعله بصمت مُميت، سائرة ورائه فور أن تبع ميسيليا التي حملت ليلي لتأخذها إلى غرفة سريعة.

جاء الطبيب ومحمد علي قد بدا عليه الفزع أكثر فور أن صمت الآخر قليلاً يفكر بطريقة مُقلقة ليرُد بعد دقيقة:

"كان مجرد إغماء لا تقلق يا ملك، ولكني مُندهش حقًا، فلا يوجد بجسدها أي عرض يجعلها نُصاب بالإغماء!"

نظر هو ل ليلي مُتنفَسًا الصُعداء بعد قول الطبيب، قبل أن يردد بضيق منه لأنه كان يتلاعب بأعصابه:

"لا يهم أن تعرف، هيا اخرج واذهب، أكان يجب أن تصمت ساعتان حتى توهمني أنها قد توفت؟!"

وهنا سمع صوتًا ورائه يقول بسخرية:

"أكنت ستبكي إن توفاه الله أيها الملك؟، ألسنت تؤمن أنها مجرد أقدار بائسة؟"
نظر محمد علي لزوجته نظرة مُميتة، قبل أن ينسحب الطبيب راحلاً ليردف
باستنكار غاضب:

"أين حياؤك؟!، أتقولين مثل ذاك الحديث للملك أمام طبيب!"

وهنا تفاجأ بأمانة تُردد فجاء ولأول مره في حياتها بصوت مُرتفع:

"أأنت من يُحدثني عن المُناسب والغير مُناسب أمام العامة؟؟، ألسنت أنت من كاد
يبكي خوفاً على فتاة تافهة؟، ألسنت أنت من قام من على عرشه راکضاً ولأول مرة مُنذ
بداية حُكمه من أجل فتاة لا أقبل بها خادمة في هذا القصر!، بئس ما فعلت يا مُحمد،
لقد قمت بفضحننا حقاً تلك المرة، كيف سينظر العامة لك ولتلك الغبية بعد ذلك؟،
بالتأكيد سترادوهم شكوك سخيفة، وسينظرون لي بطريقة تقتلني يا محمد، نظراتهم
ستقتلني يا محمد!"

رمت تلك الكلمات وقد إمتلئت عينيها بالدموع من كثرة الإنفعال، قبل أن تسير بعنف
راحلة إتجاه غرفتها، في حين أن محمد نظر لميسيليا بصدمة تكتسيه مثلما تكتسيها،
قبل أن يُردد بصوت مُنخفض:

"إنتبهي لها جيداً"

راحلاً سريعاً خلف زوجته.

فتح باب غرفته بهدوء، دخل وأغلقه ورائه ليجد زوجته تقف في منتصف الغرفة
وتعطيه ظهرها، تنظر من النافذة بمعنى أدق.

"أمينة!"

ردد بطريقة مُندهشة لتُنظر له مُردده بغلظة:

"ماذا!"

إمتلئت تعبيراته بالدهشة أكثر، تلك التصرفات لم تُصدرها زوجته أبدًا مُنذ تزوجا! نظر لها وقرر أن يُخبرها بكل ما حدث معه في عالم ليلى، ويُخبرها أنه مدين لها ليس أكثر!

"أمينة، أنا سأخبرك ما حدث معي في عالم تلك الفتاة وستفهميني، ولكن لا تُقاطعي"

حدجته بنظرة غريبة، قبل أن يقص عليها هو كل ما حدث خاتمًا:

"الفتاة لا تُناديني إلا بـ"جدي"، لا يجب أن تُعطي لرأسك مجال كبير للخيال، أنتِ تعلمين أن ما يدور بخلدك من المُستحيلات!"

ضحكة ساخرة صدرت منها، صُدم هو منها كثيرًا، لتُردف هي ببسمة وهي تُحدق بعينيه بجرأة لم يراها بها من قبل:

"يا ليتك أظهرت حنين الجد ذاك لزوجتك أو لأولادك مرة واحدة، يا ليتك مارست معنا دور الجد الحنون جدًا الذي رأيته مُنذ قليل!"

"أنتِ تجاوزتي حدودك وكثيرًا!"

أردف بغضب ولكنه تفاجأ بالأخرى تُردد بعصبية شديدة:

"أنا لا يُهمني أبداً دينك السخيف لإخوتها، تَبّاً لدينك وتَبّاً لإخوتها، لقد طُفح الكيل، حقاً لقد طُفح الكيل، ولا يُهمني أيضاً أترك جدّها أم ملكها أم أي شيء لا يُهمني لا يُهمني أبداً!!

، لقد ظننتُ أنك لا تُتقن سوى دور الملك القاسي، ظننتُ فقط أنك لا تعرف أي دور سوى هذا ف صبرت، أقسم لك أنني لو مكان تلك الفتاة وفعلت ما فعلته لك أمام الجميع من إهانة لما ترددت وقتلتني دون أن ترف لك عين ولا تنبس ببنت شفة، ولكن هي.. هي غير.. هي غير، تلك الفتاة السخيفة غير الجميع!"

"أنتِ أفسى مما توقعت.. إنها يتيمة أمينة!"

ردد مُحاولاً تقبل تلك الإهانات المُتكررة مِنها حتى الآن ولكن الأخرى صاحت في وجهه:

"أنا يتيمة أيضاً!، أنتِ يتيم أيضاً، سُحِقاً لليتامى مُحمداً، سُحِقاً لها مُحمداً!، أتعلم لماذا أنا بهذه القسوة؟، لأنني تعلمتها منك، أنا أضحيتُ مثلك تماماً، قاسية كالجبال، لا يهزني يتم ولا دين، ولن يهزني

أتعرف ما يقهرني الآن؟

أنت فقط لو أجدت دور الأب لأولادك كما أجدت دور الجد لتلك الفتاة لما ثرنتُ هكذا، أنت فقط لو أتقنت دور الزوج الحنون لمرة واحدة في حياتك لما صُدمتُ هكذا، أنت فقط لو إستطعت أن تكون أب حنون، وزوج حنون، وجد حنون لما حزنْتُ هكذا..

أنت في يومين أعطيتها مشاعر طيبة وحنين جعلت إبتكك تبكي غيرة، أنت لا تفهم
أبدًا ما أريد إيصاله، ولكن يكفي أن أقول لك يا محمد..

أنا

أو تلك الفتاة

في ذلك القصر، وإفعل ما تُريده، إني حتى أظن أن تلك المقارنة خاسرة، الجميع
يعرف من ستختار بالطبع يا.. جدي! "

سارت مُغادرة عُرفته وقد أغلقت الباب ورائها بقوة شديدة، والآخر مُتصنم تمامًا
مكانه من هول ما سمع، لم يتوقع أبدًا أبدًا في حياته، أن تُوجه له إهانات بذلك الشكل
ومن هذا الشخص ولا يستطيع حتى النطق لأنها فقط.. صحيحة!



لم يجلس أحد مع وائل، كل شخص بمكان بعيد عن الآخر وكأنهم يُعاقبونه ببعدهم،
ف علي نائم في غرفة ليلي التي أخذها محل إقامته حتى تعود، وركريا يجلس بغرفته
يُذاكر على حسب ظن وائل، لم يعلم أنه لم يجرؤ على فتح كتاب مُنذ إختفاء أخته،
والآخر صمت صوت بكائه منذ نصف ساعه تقريبًا، يظن أنه نائم، وليلي.. ليلي لا
يستطيع حتى تحديد أين هي.. وها هو يجلس وحيدًا مُنذ عاد في صالة منزلهم يُحاول
أن يفكر بأي حل.. أو حتى أن يهدأ.

تفاجأ بزكريا يخرج سريعًا من غرفته مُرددًا :

"هيموفيليا!"

نظر له وائل بعدم فهم ليجد الآخر ينظر حوله سريعاً مُردداً:

"هيموفيليا، أحمد عنده هيموفيليا يا وائل أحمد فين؟!!"

وقف الآخر بفزع شديد مُردداً:

"إي!"

قبل أن يدق قلبه بسرعة، وهو يرى زكريا يفتح باب غرفة أحمد سريعاً، ليصرخ مُردداً أنه فاقد للوعي!

في أقل من الثانية كان أحمد في المشفى وقد نقل له دم كثير عوضاً عن ما فقده، ليخرج أحد الأطباء ناظرًا لزكريا غير مُنتبه لوائل:

"الحمد لله هو بخير بس.."

قاطع حديثه إنتباهه لوجود وائل، ليتفاجأ مُردداً:

"بتهزر، وائل!، أنت جيت؟!، إزاي يا أخي تيجي ومتقوليش، دأنا قولت إنك لسه مسافر!"

وهم ليحتضن وائل الذي كان مُنهك تمامًا ولكنه إحتضن صديقه على الرغم من ذلك، بدون أن يردف ببنت شفة..

وبعدها عاد الآخر ليُرحب بصديقه ولكن زكريا قاطعه بحده مُردداً:

"أخبار أخويا إي يا دكتور، أحمد عنده هيموفيليا وأي خبطه في دماغه ممكن تسببله نزيف في الدماغ زي ما انت عارف"

نظر له الآخر ليُردد بعملية:

"هو أحمد فعلاً نرف من جانب فمه ومن منطقة فمه، بس هو الحمد لله عنده هيموفيليا بنسبة فوق البسيط بشوية وأنا إدتله بس 'ديسمويريسين' وحقنته براحة في وريده وده حفز الجسم عشان يفزر ثاني من عامل التجلط والدم وقف الحمد لله، ورجعنا نقلنا ليه دم تعويضًا عن الكمية اللي فقدها، متقلقش يا زكريا هو بخير، أنا بس مستغرب حاجه بصراحة .."

نظر له الإثنان ليردد:

"إزاي لما أحمد اتعور كده أو إتصاب مجاليش على طول، هو جالي قبل كده وكان عنده نزيف خطير في دراعه وأنا فهمته إنه عنده هيموفيليا وقولتله أول لما يتجرح يجيلي عشان مُضاعفات الهيموفيليا على المدى الطويل بتبقى أخطر بالذات لو في منطقة الرأس، نزيف الدماغ بيسبب موت خمسين في المية من المرضى في خلال تلت أيام!"

".. نزيف خطير في دراعه؟!"

ردد زكريا بذهول، في حين ابتسامة مُتألّمة ظهرت على محيا وائل.. فمع الوقت يتضح أن أحمد كان يعيش معهم، ولا يعيش معهم بذات الوقت!

نظر لهم بعدم فهم مُرددًا:

"اه ده كان خطير جدًا، ولما سألته دي خناقة ولا اي قالي حجج غريبة، بس أنا فكرتكوا عارفين!"

"وكان في نظرك بسبب اي الجرح ده"

كاد الآخر يتحدث عندما ردد وائل بمقاطعة غريبة وكأنه يُريد التشويش على ذلك الموضوع:

"أصبر يا زكريا، انت مش فاهم احنا كل مدى بنغرق أكثر ازاي، أحمد طلع بيضيع، ادخل شوفه يا زكريا ومتجيش سيرة أكنك معرفتش، وأنا هنا أهو قاعد مع حاتم-الطبيب-"

خضع له زكريا متجهاً الى الغرفة التي يقبع بها أخيه، قبل أن ينظر وائل الى صديقه مرددًا سريعًا:

"من إي، دراعه كان فيه إي"

بدأ يستشعر الآخر أن هناك أمر غريب يحدث حوله، لذلك ردد بهدوء:

"طب تعالى معايا المكتب الأول بس"

...

"بص يا وائل هقولك بس متخضش عشان أنا وأنا بشوفه دلوقتي لقيت دراعه رجع طبيعي خالص الموضوع قديم أصلًا،

هي.. بصراحة.. ضرية سكيينة"

نظر له وائل بصدمة ليُكمل الآخر:

"هو أنا لما سألتته قالي حاجات غريبة زي ما قولتلك بس أنا فاكر إن بعدها بيومين تقريبًا إتمسك واحد من البلد وإتقال إنه بلطجي ويبيقى يثبت شباب و ياخذ منهم

فلوس، أظن إن أحمد عمره ما كان هيسمح إن حد يستقوى عليه، انت عارف عزة نفسه.."

قاطعته وائل مرددًا:

"فضريه بالسكينة في دراعه.."

"بالظبط، ده التفسير الوحيد، خصوصًا إنه في شابين إتصابوا نفس الإصابة دي بسبب الراجل ده قبل ما يتمسك، بس إزاي محدش خد باله، ده كان ببجيلي كل يوم يغير على الجرح، هو صحيح في دراعه من فوق أو تقريبًا في كتفه بس كانت ضربه مؤلمه جدًا يعني على أحمد، وائل.. في إي يا وائل؟، أنا قلبي معدش مطمئن، أحمد واخد بوكس في وشه موقعه سنة أو إثنين تقريبًا!، انت عارف طبعا لولا إنك زي أخويا مكنتش هتدخل، بس أنا بجد قلققت!"

تههد وائل مستندًا برأسه على ظهر الكرسي بألم شديد، أغمض عينيه حتى لا يبكي.. ليجدها تنفجر بشلالات من الدموع..

"وائل!"

ردد صديقه بخوف ليردف الآخر وهو يتنهد مُجددًا:

"أغمضتها كي لا تفيض فأمطرت.. أغمضتها كي لا تفيض فأمطرت يا حاتم.."

"متسبها تُمطر يا وائل.. قوس القزح مش بيطلع غير لما تُمطر والعواصف مش بتهدى غير لما تُمطر، المطر مش عيب، المطر خير.. ولا إي يا عم الشاعر؟"

نظر له الآخر بأعين حمراء كالدماء مرددًا بضعف:

"نسيت الطب أول لما شوفته فاقد الوعي قدامي.. نسيت إني دكتور يا حاتم،.. أنا نسيت الطب لما شوفته قدامي وكان هيضيع مني، بنقذ الناس الغريبة وأخويا.. أخويا كان هيضيع مني!"

"انت ضعفت يا وائل وده طبيعي"

"ده أخويا!"

ربت الآخر على كتف صديقه مرددًا:

" ده إنسان!،

انت بتتكلم في حاجه طبيعية يا وائل،وانت إنسان.. والإنسان بيغلط عادي وبينسى عادي ويبضعف عادي.. متجيش على نفسك أوي كده"

وضع الآخر يديه على وجهه مُرددًا:

"انت متعرفش إي اللي بيحصلي"

"ومش عايز أعرف، أنا بدعمك من غير ما عرف يا وائل، أنا صاحبك، وأخوك، وعشرة عمرك، احنا صحاب من أيام ثانوي، فاكر لما كنا بنذاكر مع بعض؟، فاكر لما كنا بنتسابق مين يلحق الإمام قبل ما يقيم في صلاة الفجر؟، فاكر لما خسينا مع بعض وعملنا فورمة في الجيم مع بعض؟، فاكر لما وقعت أنا وطلعت انت أوائل وجبتلك هديه وفرحنا مع بعض؟، فاكر لما السنة اللي بعديها طلعتنا أوائل مع بعض؟، طب فاكر لما وقفت صلاة ودخلت في حالة نفسية صعبة ويئست، فاكر لما وقفت جنبي؟، فاكر لما ولما ولما، طب فاكر لما جينا طب مع بعض، بقينا في نفس الكلية، جينا إمتياز مع بعض، فاكر يا وائل فاكر؟، طب فاكر أيام وفاة مامتك وباباك ولما

قعدت عندكوا؟، فاكرا يا وائل فاكرا، وائل أنا عارفك أكثر من أي حد، حتى لو السفر بعدنا عن بعض دي سنة الحياة، حتى لو بقا عندك صحاب وحياة وأنا بقى عندي صحاب وحياة..عمر السنين ما بتضيع هدر.."

نظر له الآخر بإبتسامة صغيرة ممتنة وعينيه مُمتلئة بالدموع..

الذكريات... الذكريات هي أخطر وأجمل سلاح.. هي رقيقة مثل الشعرة أحيان ومثل السيف أحيان أخرى...



"أقلق من صمتك ريا.."

نظرت له عبر القُضبان مُرددة:

"يُقلقني فهمك لي هكذا.."

تبسم الآخر بهدوء، قبل أن يردف:

"لا أملك غيرك، ماذا عساي أن أفعل سوى فهمك وحفظك مثل ذاتي؟ "

تنهدت بإبتسامة صغيرة جدًا.. قبل أن تعود لصمتها مُجددًا وهي تُردد:

"برأيك ماذا سيفعل بنا؟ "

فهم هو أنها تخشى الحديث بعد أن وضعهم جنود محمد علي في مكان أشبه بالسجن داخل القصر، يفصل بينه وبين أخته قضبان حديدية، تنهد وردد:

"سنرى.. لن ينفعنا التفكير أو التخمين بشئ"

"أنا معي سر خطير، لن يجرؤ على إيذائنا"

"اليوم معك، غدًا معه.. لا شيء مضمون بتلك الحياة يا صغيرة "

ضحكت بسخرية مُردده:

"سترى صغيرتك ريا ماذا ستفعل"

"لقد رأيت بالفعل ماذا تفعل صغيرتي ريا من أجل حقدتها فقط"

نظرت هي له بصمت، لينظر هو للناحية الأخرى مُتجاهلاً إياها..



#بعد خمسة أيام

"ما تكونيش جبانة، إي يعني جنود أجانب من حملة فريزر حوالينا ومحاصرنا في كل مكان؟!، عادي يعني ده إحنا بندرسهم في المنهج وعارفين إن مصيرهم الحتمي هو الخسارة، عيشي اللحظة وروحي إتفرجي يا بسملة جازي تقفلي دراسات مرة في حياتك!"

رددت ليلي بضحك شديد، قبل أن تتركها حاملة مُسدس صغير تعلم أن به عطل لذا قام عثمان بإلقائه بعد أن اكتشف بوجود تلك المصبيتان برفقته، كادت بسملة تموت من الخوف على صديقتها لذلك ظلت تنظر حولها تبحث عن عثمان حتى تُخبره بما تنوي ليلي فعله من مشاهدة وأشياء أخرى غبية خشيتًا أن تُصاب..

كان عثمان مُندمج في تأمين تلك المنطقة التي تقبع بها الفتاتان، وقام بإرسال عدة جنود وإرسال خبر للملك بما فعلته ليلي وقدموها إلى هُنا، ولكن بسملة لم تعلم

بذلك، ولم تعلم بأن أحدًا لن يسمح ل ليلي بالعبور إلى المعركة للمشاهدة، بل أن جنديًا قيدها من كثرة صُراخها به أنها تريد أن تُشاهد عن قُرب ، في حين أخذت تبحث حتى وجدت عثمان يقف بعيدًا، ذهبت له ركضًا وهي تخشى كثيرًا على ليلي، وفي حين أنها تقترب من المكان الذي يقف به لاحظها هو، إقترب منها مرددًا بقلق:

"ماذا يوجد سيدتي؟"

أخذت تلهث قبل أن تردف:

"ليلي، ليلي مسكت مسدس بايظ وبتقول هتروح تتفرج على الحرب وحاجات غريبة، أنا معرفتش أمنعها، و"

قاطع حديثها فجاء صُراخ عثمان:

"إحترسي!"

وُصدمت هي فور أن وجدت عثمان يدفعها ويتلقى هو طلقة نارية في مُنتصف صدره! صرخت بقوة وهي فزعة، لتتفاجأ بأخرى تُصيبها، وتكون آخر ما أستمعت إليه هو صوت صرخة ليلي..!

الفصل الثاني عشر

"كُره، مدفون!"

#قبل خمسة أيام

"ليلي!"

صرخة فزعة نابعة من خوف حقيقي خرجت من فم الأخرى فور أن رأت صديقتها مُمددة على الفراش مثل الموتى، مُنذ شجارهم وخروج ليلي من الغرفة لم تراها، يبدو هذا من سنين ولكنه فقط كان منذ ساعات طوال نامت هي فيهم مُرهقه جدًا غير مُدركة بما يحدث حولها من كوارث!

"إهدئي يا صغيرة هي بخير، لقد كنتُ فزعة أكثر منك!"

رددت ميسيليا بود لتنظر لها بسملة بفرع مُردده:

"في إي؟، ليلي مالها إي حصل هو في إي؟، أنا والله معرفش نمت كل ده إزاي بس غصب عني من كتر التعب!، في إي؟ قوليلي حصل إي؟"

سمعت صوت مُرهق آخر يردد:

"مفيش حاجه.. متقلقيش أنا بقيت بخير"

ركضت بسملة باتجاه الأخرى فور أن سمعت صوتها مُحترضه إياها وهي تردد بدموع:

"أنا إترعبت يكون حصلك حاجه واحنا متخاصمين، أنا أسفة يا ليلي، أنا والله بحبك أوي ومقصدش أزعلك، أنا بس معرفتش أوضحك قصدي بكلامي، أنت بنت مُمبزة،

مُميزة أوي في عيني يا ليلي، وحببتك فعلاً من كل قلبي مش عطف ولا حاجه، أنا والله العظيم بحبك وأتمنى تبقي صحبتي، بحبك أوي ونفسي نفضل صحاب العمر كله، أنا متأكد من ده من ناحيتي، بس من ناحيتك.. معرفش مشاعرك إي بصراحه، وأنا مش حابه أكون بتقل عليكي أو أنتِ مش راغبه بيا، بس أنا عايزاكي تعرفي إني بجد بحبك وبحب صداقتنا الغير مُتناسقه دي، أنا آسفة يا ليلي بجد!

إمتلئت عيني الأخرى بالدموع، لأول مره تشعر أنها قيمة هكذا، صحيح أن إخوتها أعطوها حُبًا لا يمكن لأحد أن يجده من أخيه في تلك الأيام، ولكن هذه غريزة طبيعية بكل إنسان، حاجته لصديق، كما يحتاج لوالدين، كما يحتاج لطعام وشراب، كل شخص وله دوره، لا يُمكن أن يأخذ الأبوان دور الأصدقاء، ولا يُمكن أن يأخذ الأصدقاء دور الأبوان، كما لا يُمكن أبدًا أن يأخذ الإخوة دور الأبوان أو الأصدقاء..

"بس انتِ مغلطتيش يا بسمله عشان تعتذري.."

نظرت لها بسمله مُبتعدة وقد إنسحبت ميسيليا تاركه لهم الغرفة حتى يتحدثوا براحة..

"أنا فاكرة كل كلمة إتقالت، أنا فعلاً إستغليتك عشان الساعة وأنا غلطانة جدًا، الكذب وحش مهما كان ليه من مبررات، انتِ بس خانك التعبير شوية على كلمة عطفك اللي قولتيتها دي، بس ميغراش حاجه أنا غلطت في حقك برضو وكفاية إن بسبي انتِ جيتي هنا بطريقة ما، انتِ من أول ما عرفتيني وانتِ بتحاولي تبقي صديقة كويسة وأنا بصدك وبزعلك، أنا آسفة بجد، أنا بس حساسة شوية، وعمري ما كان ليا صحاب، بالعكس بعد وفاة بابا وماما إتعرضت للتنمر لفترة طويلة، مستوايا الدراسي كان قل والمعيشي كمان، طبيعي الظروف تتغير بعد غياب الإثنين مره واحدة،

فاخترت إني أكون لوحدي على قد مقدر تجنبًا للأذى، لدرجة إني مبقتش أعرف أتكلم
وسط ناس كثير ولا أقف قدام ناس كثير وأنا محط الأنظار، ممكن دي مش حاجه
طبيعية بس أنا أغمى عليا دلوقتي عشان مقدرتش أستحمل إني أقف وسط كل الناس
دي فترة طويلة وأنا محط الأنظار، طول ما الناس بتبص عليا أنا أتوتر وجسمي
يترعش، لكن لو كل واحد مشغول خلاص، اخواتي محسوش بده قبل كده عشان
كده في الأغلب بيفكروني بتدلع، وأنا ما قولتش إن ده بيتكرر كثير جدًا عشان
مقلقهمش"

"ده كده مش حاجه طبيعية يا ليلي.. كده ده إضطراب أو حاجه بسبب الطفولة!"

صممت الأخرى بتنهد لتُغير بسملة الموضوع مُردده بمرح:

"يعني خلاص كده بقينا أصحاب؟"

ابتسمت ليلي لها مردده:

"على طول على طول"

ضحكت بسملة بدموع مُردده:

"على طول على طول"



صوت دق ملاً الغرفة الشاسعة فكان مُهيبًا، ظن هو أنها زوجته، ولكنه تفاجأ بحسن
باشا يقف باحترام، ليسمح له بالدخول والحديث.

"أحضرنا من طلبت يا مولاي"

نظر له محمد بمعنى أكمل ليردف:

"إنهم من سكان حي شعبي في بيت متوسط الأحوال، من المعلومات التي وصلت لنا أنهم أخوات، وأن أطلس ذاك يعمل في الأخشاب وغيره، وأنه ذا سمعة طيبة، ولكن الكثير من الأقاويل تدور حول أخته، بل أنه يُشاع أن تلك المرأة كلما مر الزمن تزداد جمالاً، ظننتُ أنها مجرد أقاويل نساء، حتى علمت من مصدر موثوق أن تلك الفتاة تماثل أخيها عمراً، وأن أخيها بعمر الثلاثين تقريباً!"

"ألا يوجد غير ذلك؟"

"لا يا مولاي، لم نستطع معرفة غير ذلك نظرًا لأنهم ليسوا من أبناء ذلك الحي بل جاؤ إليه منذ عدة سنوات، غير ذلك الإثنان مُعاملتهم مع الجميع طفيفه جدًّا، ليس لديهم أصدقاء ولا أحد يعرف شئ عن حياتهم"

"حسنًا.. أحضرهم في الأسفل، وأفرغ القاعة من أية جنود، وأنا قادم"

"أمرك مولاي"



"متأكد إنك بخير يا أحمد"

أومأ الآخر بدون ولا حرف، حاول علي أن يُخرج منه أي حرف ليطمئن ولكن الآخر لم يستجيب بل أنه تركه ودخل غرفته غالقًا الباب خلفه..

تفاجأ وائل بزكريا يجلس بجانبه، ومن الجهة الأخرى علي الذي أضحى ضخمًا عن آخر مرة رآه بها..

نظر لهم بعدم فهم، ليجد زكريا يردد:

"آسف لو اتجاهلتك أو مقعدتش معاك، أنت لسه راجع من السفر وتعبان وحتى
مكلتش حاجه، أنا آسف"

ربت وائل على ظهره بابتسامه صغيرة حنونة مرددًا:

"متعتذرش، أنا اللي دخلت زي اللي بقتحم وخوفتكوا"

ردد علي ببعض المرح:

"اه والله دانة دخلت ولا دخلت جون سينا كان ناقصك بس الطقم بتاعه"

ضحك وائل بهدوء، قبل أن يُردد بمداعبة:

"بس انت طولت وأعرضيت أهو ما شاء الله، دأنا لو سافرت بقي ورجعت تاني
هلاقيك أطول مني يابني، روح جيم وخذ بالك من نفسك وصحتك بس مش كده
يعني، انت لو زدت عن كده هخاف منك"

ضحك علي قبل أن يُردف بانطفاء:

"دأنا كده مش في كامل لياقتي يعني، منزلتش من البيت يعتبر من ساعت اختفاء
ليلي، ومظنش اني هنزل"

نظر لكليهما ليردد بهدوء وحكمة استطاع أن يستعيدهما بعد محادثته مع صديقه:

"هنلاقيها، هتروح فين يعني دي ليلي مش سهله وهطلع عين اللي هي عنده!، والله
سواء كانت مخطوفة هنلاقيها هي اللي بتتصل بأهل اللي خاطفها وبتساومهم على

فلوس، لو عند محمد علي فأكنها في رحلة، المهم الراجل ميشدش في لحيته بسببها
بس"

ضحك علي مرددًا:

"هو أنا مقولتلكش؟، معدش لحية خلاص، أنا كنت حلقتها له"

نظر له وائل بعدم فهم ليردد:

"مخدتش بالك في الصورة؟، أنا كنت عملته إعادة تهيئة، شيلت اللحية وظيفت
الشعر ولبسته لبس تاني، مكناش لاقيين الساعة فقولت بدل ما نلاقي حد من الآثار
جاي ياخده مننا وهو أصلاً شكله غلبان"

ضحك وائل حقًا من حديث أخيه، نظر له مرددًا بدهول:

"محمد علي باشا.. غلبان!"

ضحك الآخر وهُنا ردد وائل على حين غرة:

"مممكن بقى تفهموني اللي حصل بالتفصيل؟، كل التفاصيل متغفلوش عن حاجه"

نظر كلاً من علي وزكريا الشارد لبعضهما، قبل أن يردد زكريا:

"أنا تعبان، احكي انت يا علي"

وانسحب راحلاً، ليردف علي بتصميم:

"أنا هحكليك كل حاجه يا وائل بالتفصيل، عشان لازم نشوف الموقى اللي معانا دول"

بعد ساعة أو أكثر من الحديث، ختم الآخر حديثه:

"وزي ما انت شاييف، زكريا على حالته دي، وانا بصراحه خايف عليه أكثر من أحمد يا وائل، زكريا عنده امتحانات على الأبواب، ومن يومها مفتحش كتاب، دودة الكتب اللي حيلتنا، كل اللي هو حاسس بيه الذنب، وخالد ده بهدلنا وطلع عين أحمد!"

كانت ملامح اللين على وجه وائل، وكاد أن يقول شيئاً ولكن قاطعه دخول إبراهيم، ذاك الفتى ذا الشعر الأصفر والعيون الخضراء، بأنفه الحاد ونظراته الباردة الكارهة، رغم شعور من يراه بدون أن يعرفه أنه نسخة مكبرة من زكريا بغض النظر عن جسد زكريا الهزيل جداً، إلا أن من يعرفهما سيستطيع التفرقة بينهما، فالفرق حقاً كالشمس والأرض!

"أهلاً أهلاً بالبيه، ما تيجي السنة الجاية أحسن!"

ردد وائل وقد إمتلئت ملامحه بالغضب مُجدداً، ليردّف الآخر بملل وهو يتجاوزهُ:

"أنا مصدع، نأجل الكلام بعدين" ..

"إبراهيم!"

ردد وائل بحدة وهو يقف، لينظر له الآخر بحدة مُماثلة مُردداً: "نعم!"

فعادت الأجواء مشحونة مُجدداً..



"من أنت"

ردد بهدوء وهو يرمقها بنظرة كالصقر، ليردّف هي بابتسامة صغيرة:

"ألم تعرف بعد من جنودك؟، أم أنك لم تتذكر تعريفي لذاتي المرة السابقة؟"

"تعلمين أكثر مما يجب، تلعبين مع من لا يجروُ أحد على اللعب معه، مهما كبرتِ
فانتِ صغيرة أمامي"

"بل مهما كبرتِ فانتِ في حاجة لي"

كانت تلك أقصى درجات الإهانة التي تعرض لها محمد على مدار حياته كلها منذ
أمسك قيادة الجيش، ابتسامة صغيرة حادة ظهرت على محياه، وهُنا شعر أطلس
بمدى فداحة أسلوب ريا معه، ليُردف هو على حين غرة:

"انت عزيزُ مصر، نحن نحترمك قبل كل شيء ونحترم فضلك على مصر، فقط ما تريد
أختي إيضاحه أننا نملك مصالح مشتركة ويمكننا التعاون لا أكثر"

نظرت له ريا بحدة ليتجاهلها ناظرًا لمحمد علي، وهُنا نظر له محمد مرددًا:

"إذا كانت مجرد مصالح مشتركة كما تقول، لما لم تعرضوها بهدوء؟"

فطن أنه يرمي الى اقتحامهم المكان المرة الماضية، وهُنا ردد:

"لم يُسمح لنا، حاولنا ولكن أحدًا لم يُصدقنا"

"حسنًا، لندخل في صلب الموضوع، أريد إيضاح عن ماهية مصالحنا المشتركة"

كادت تتحدث ريا عندما قاطعها أطلس وهو يُردد:

"نعلم نحن عن سفرك الى عصر آخر، وعن وجود ضيوف من ذاك العصر"

أكمل مُحمد:

"وتملكون أنتم ما يعيد هؤلاء الضيوف.."

ردد الآخر:

"تمامًا "

وهنا ردد محمد علي بعد برهه:

"والمُقابل؟"

"هذا القصر"

رمت ريا الكلمتان كالسهام على الإثنان، فقد نظر لها كلاً من مُحمد وأطلس سريعاً
بصدمة، لتُكمل هي غير آبهة:

"يمكنك أن تبني قصرًا أفضل منه لذا.. سنبقى هنا، ولن يعود الضيوف قبل تركك
القصر لنا"

"انتي فتاة حاملة كثيرًا"

ردد الآخر بسخرية ليتفاجأ بها تُخرج تلك الساعة الذهبية التي شع نورها على الفور
مُرددة بخبث:

"حبذا أن أكون حالمًا وبحوذتي تلك.. وبحوذتي أيضًا سر آخر.. يجعلني أعرف على
الأقل أن وائل قد قام بضرب أحمد حين علم باختفاء أخته، وأن والد بسملة هو
السبب في إحضار وائل بعد أن فشل في العثور على ابنته وتأكد أن أحمد وإخوته هم
من أختطفوها"

إتسعت عيني أطلس بصدمة أكبر، في حين رمق مُحمد علي ريا بنظرة غريبة قبل أن
يشير لأحد بعينه فيأتي حسن باشا راكضًا، وهنا ردد بهدوء:

"غرفتان، الشرقية والغربية، الشرقية لها والغربية للآخر، هيا!"

ابتسمت ريا بنصر كبير، ثم نظرت لأخيها المصدوم لتغمز له بحيوية، قبل أن يرحلا خلف حسن باشا ويظل محمد علي وحيداً، وعلى حين غرة ابتسم بهدوء مُردداً بشر: "فتاة حمقاء، تظن حقاً أنها ربحت، إنها حقاً حمقاء، بدون أخيها هي ولا شيء، وسأعمل جيداً على جعلها ولا شيء.."



"المهم بقي، لما ميسيليا طلعت بره القاعة وسابتني لوحدي مع محمد علي، أنا كنت مرعوبه، هو بقي مرعب بالنسبالي بجد بعد ما شوفت كل الناس بتعمله حساب كده، وافتكرت بقي قد اي كنت بكرهه من شخصيته اللي في الكتاب بالذات بعد حوار مذبحه القلعه وكده، بس فعلاً، فعلاً يا بسبوسة، عمرك ما تعرفي حد غير لما تعاشره، وعمر المؤرخين ما كانوا هيعرفوا شخصية تاريخية من غير ما يعاشرها، طبعا ده درب من دروب الجنون ومستحيل، بس إنك تعرفي اللي قدامك هيديكي القدرة إنك تفسري تصرفاته أكثر وتشوفي أي حاجه بمنظور مُختلف"

•وقت خروج ميسيليا من القاعة بعد صراخ ليلى حتى لا يقتلها/

كانت تُعطيه ظهرها كما كانت تقف فور وقوفها حائلاً بينه وبين ميسيليا، أمسك هو أعصابه، وتنهّد، قبل أن تعود ملامحه لتميل فور أن لاحظ إرتجاف يدها الصغيرة، وهُنا ذكرته ب نازلي ابنته بطريقة ما، فهو لطالما راي تلك الرجة الصغيرة تسري في يدها فور أن يحدثها..

"انظري لي يا ليلى"

لم تلتف، بل أغمضت أعينها بقوة وبخوف جلل، فهي تشعر بأنها قد أخطأت جدًّا بحقه.

وقف هو والْتف ليكون مواجهًا لها، ليرد بعد طول صمت:

"انتِ صرختي بي أمام خدمي وجنودي أتدركين ذلك؟"

أومات وقد كانت لا تزال مغمضة العينين بقوة حتى أن دمة صغيرة فرت من عينيها..

"انتِ صرختي بي وأنا أكبركي بقرون أتدركين ذلك؟"

أومات مُجددًا، لتجده يُكمل:

"دعكِ مني، لو أنكِ صرختي هكذا في أي شخص كبير، بالتأكيد سيُسيئ لمن قام بتريبتك، سيُعيب على إخوتكِ للأسف يا ليلي وهم لا يستحقون ذلك منكِ بعد كل ذلك التعب والمجهود الذي يُبدل من أجلكِ!"

"ليلي.. لا تغمضي عينيكِ"

فتحتهما ببطء، ليُكمل الآخر بحدة طفيفة:

"لو أنكِ ابنتي لكنتُ قتلتكِ بعد موقف كهذا، ولكن احترامًا لإخوتكِ فقط لن أهينكِ ولن أحزنكِ، انتِ أمانة عندي حتى عودتكِ سالمة الى عالمكِ، ولكن نصيحة لكِ يا ليلي... بعد كل ذلك، لا تُسيئي لإخوتكِ، يجب أن تحترميهم وتقديرهم وتجعلي من يراكي يدعو لإخوتكِ، جميعهم، بمُختلف أعمارهم، هم تحملوا كثيرًا من أجلكِ و عملوا كثيرًا من أجلكِ، يجب أن تفكري بهم وتقديرهم، أعلم انكِ تُحبيهم، ولكن

الحب وحده لا يكفي يا صغيرة، الحب بدون مودة وإحترام ليس له معنى، يجب أن تفهمي ذلك جيدًا، وهذا ذاته ينطبق معي، أنا هنا أحاول بكل جهدي أن لا أشعرك بكارثة وجودك هنا، أبذل قصارى جهدي في البحث عن الآلة ولا أنكر أبدًا فضلك في العثور عليها من قبل، وضعتك في منزلة الأميرات وعاملتك بطريقة لم أعامل بها عائلي.. ولكن كل ذلك يمكن أن يتبخر عندما تقللي من إحترامي يا ليلي!، في أي وضع تقليلك من إحترامي سيجبرني أن أعقابك بتقليل أي شئ منحتك إياه، وأنت سيدة قارك "

"أنا آسفه، والله أنا بس خرجت عن شعوري عشان.."

قاطعها:

"كان يمكنني أن أصرخ بك وأهينك حتى أجعلك تكرهي ذاتك حفاظًا على ماء وجهي، أكنت ستسامحيني حين أعتذر لأنني 'خرجت عن شعوري'؟ كما تقولين

انظري ليلي، ربما ستسمعين ذلك الحديث لأول مرة، لقد مات والداي في سن مبكر أيضًا، وكنت فتى وحيد حينها، عانيت كثيرًا وتخبطت كثيرًا، وأعلم كيف يكون شعور اليتيم حينما يُلقى وحيدًا في ذاك العالم، ولهذا أنا أكن إحترام لا يمكنك تخيله لإخوتك من من قابلت ومن لم أقابل، إعتنائهم بك حتى لو بالسؤال فقط أو بإشعارك بالأمان يكفي، ليلي، وجود النعمة لا يعني دوامها، فكري في ذلك كثيرًا، وجودها لا يعني دوامها ليلي.."

"الآن تُفكري، كيف سأسامحك؟، قبل ذلك يجب أن تفهمي أن أساس الملك الخوف.. إذا لم يهابني شعبي، لن يُطيع أمرى، ولن أستطيع أن أحقق ما أريد أمام شعب لا يخاف ولا يضع لي إعتبار.. وهذا الشعب يبدأ من هذا القصر، المليء

بالجنود والخدم والمُساعدين وغيرهم، إن لم نطفئ الحريق الآن، فسرعان ما سينتشر في جميع أنحاء مصر ما حدث، وسرعان ما سيستخفون بي، لتحدث ثورة، وانت تعلمين النهاية!

حسنًا سيكون عقابًا قاسيًا قليلًا حتى تفهمي الدرس.."

نظرت له بعدم فهم ليُكمل:

"سأقول أنني سأقتلك، وميسيليا ستُشارك في تلك المسرحية بإقناعها لزوجتي أن تحاول إيقافي، حتى أستعيد ماء وجهي مُجددًا.."

.....

"ليلي.. سمعاني؟" رددت بسملة باندهاش، لتُخرج ليلي مُردده:

"لا والله مخدمتش بالي، معلش كنتِ بتقولي اي؟"

"كنت بقولك بمناسبة مذبحه القلعة، مش احنا دلوقتي في شهر تلاته أهو، مش ده معناه إن المذبحه لسه محصلتش؟"

نظرت لها ليلي بتحفز مُردده:

"تصديقي، اه فعلاً معايي حق!، ده احنا حتى ممكن كده نمنع محمد إنه يعملها!"

فزعت بسملة مُردده:

"لا لا لا مقصدش كده خالص، أقصد بس هل احنا كده عارفين المستقبل، ولا المستقبل هيتغير مع وجودنا هنا؟"

نظرت لها ليلي بعدم فهم قليلاً لثُردف بسملة بعمق:

"احنا لو فضلنا هنا، القصة هتختلف يا ليلي، والمستقبل هيختلف، بس ده هيبقى معناه اي، هل هيبقى معناه إن ماما وبابا هينا برضو ولا مين أصلاً مامتي وبابايا.. فاهمة حاجة؟"

ابتسمت ليلي بغباء مُردده:

"بصراحة.. لأ"

تأففت بسملة بضجر لثُردف ليلي سريعًا وهي تقف:

"احنا بقالنا كثير هنا، بصي هروح بس هعمل حاجه وجاياك أهو"

وقفت ليلي سريعًا بعد أن استعادت صحتها كاملة، ووقفت خارجه بسرعة قبل أن تطرح عليها بسملة أي سؤال، وقد كان بذهنها فقط ما سمعته عندما كانت مُمددة على الفراش وما قالته أمينه حينذاك لمُحمد علي في حضور الطبيب، شعرت بأنها تحمل جميل كبير لمُحمد علي، وظنت أنه سيمدحها كثيرًا إذا ساعدته وآلنت أمينة هانم وجعلتها تُحبها، لذا أخذت تُفتش بحثًا عن أمينة هانم في كل مكان، حتى أنها تحمست كثيرًا لتفتح غرفة فتفاجأت بتلك الساحرة- كما أسميتها هي مُسبقًا- التي تملك الساعة تدخل من الشرفة!

ظنت ليلي أنها مُتسللة وجاءت لفعل شيء سيء وهُنا صرخت بقوة وهي تركض لتمسك بها قبل أن تهرب- كما تظن ليلي- مُردده:

"يا محمد الساحرة هنا، معاها الساعة، يا محمد يا..."

صمتت فور أن وضعت ريا كلتا يديها على فم ليلى بإبتسامة صغيرة غريبة، وتفاجأت
ليلى بها تتركها فور أن صمتت مُردده:

"إهدئي يا صغيرة، يبدو أن التسلية ستكثُر الآن"

نظرت ليلى لها بخوف فور أن أغلقت هي الباب وجاءت لتجلس على إحدى المقاعد
مشيرة ل ليلى بالجلوس أمامها.

جلست ليلى بخوف حاولت إخفائه، وشعرت أنها تورطت حقًا، ولكن الأخرى باغتتها
بسؤال أدهشها حقًا!

"سؤال واحد، تعرفي إي عن أسماء معتز؟"

"انتِ تعرفيها منين.. دي.. دي جدتي!"

"إي!"

رددت ريا بصدمه حقًا، ولكن ليلى سريعًا ما استفقت ل تُردف بصدمة أشد:

"انتِ.. انتِ بتتكلمي زي!، انتِ من العالم بتاعي برضوا، وبعدين تعرفي تيتا إزاي؟،
هو انتِ إسمك إي ولا انتِ مين؟!!"

صمتت ريا لبرهة مغمضة العينين، قبل أن تفتح عينيها على مصرعيها، وهُنا
إبتسمت بغرابة مُردده:

"انتِ بقي يا كتكوته عايزة ترجعي عصرك تاني لي؟"

نظرت لها ليلى بغرابة مُردده:

"هكون عايزة أرجع لي يعني!، عايزة أرجع بلدي، بيتي، لإخواتي.."

"طب ولو قولتلك إن اخواتك مش عايزينك ترجعي هتجبي ترجعي برضو؟"

"انت بتقولي اي!"

صرخت بها ليلى بعدم فهم وقد سئمت من ذاك الغموض، لتتفاجأ برياً تُخرج الساعة من جيبها و تُمسك بيد ليلى مُلبسه إياها الساعة، قبل أن تُمسك يدها مُثبته إياها على الطاولة التي أمامهم فظهرت فجاء شاشة زرقاء وظهر منها إبراهيم وهو يقف مواجهًا لوائل يطالعون بعضهم البعض بشكل غريب، بينما يقف علي خلفهما يُطالعهم بحزن، وما كادت ليلى تشهق حتى وضعت ريا يدها الأخرى على فم ليلى بقوة، لتهمس في أذنها:

"تؤتو... هتتفرجي وانتِ ساكتة، يا هاخذها دلوقتي أهو" ...

في حين على الجهة الأخرى..

"أنت تكلمي بإحترام، أوعى أبدًا تفكر إنك كبرت عليا، أو تنسى فرق السن الي ما بينا انت فاهم!"

تفاجأ هو بالآخر يُردد بوقاحة:

" لا هنسى، هنسى وانت مش في دماغك حاجه غير ليلى، ليلى ليلى ليلى ليلى ليلى، أنا زهقت وقرفت، بجد زهقت وقرفت، بنت عندها بتاع أربعناشر خمستاشر سنة قرفانا ومعيشانا في الجحيم ده كله!، يا ريتها كانت ماتت مع ماما وبابا!"

صفعة مُدوية، جعلت أحمد يقفز من مكانه بعد أن كان قد خرج من غرفته ليدخل دورة المياه تاركًا الساعة على يد المقعد المُقابل لَكُلًّا من إبراهيم ووائل ولكنه تيبس مكانه فور أن رأى إبراهيم يصرخ هكذا في وائل فوقف بجانب الساعة، في حين خرج زكريا مُسرِّعًا من غرفته ليظهر أمام الشاشة وقد إمتلئت عينيه بالدموع..

"يا خسارة تربية محمد ياقوت فيك، يا خسارة بجد، دي أختك يابني!، دي أختك ازاي تقول عنها كده؟!، أنا نفسي أفهم انت ازاي كده؟!، انت ازاي كده يا إبراهيم ازاي؟!، أبويا اللي ربانا نحب بعض، أبويا اللي ربانا نشيل بعض، ازاي انت كده ازاي؟!!!!"

"رباكوا انتوا على كده.. هو أصلًا مكنش فاضي يربيني يا وائل، هو أصلًا مكنش فاضيلي، هو نساني أصلًا بعد ما إتولدت الآنسة ليلي!"

نظر له وائل بدهشة، في حين أكمل إبراهيم وكأنه قد خرج عن صمته أخيرًا وباح بما يختلج في صدره مُنذ سنوات:

"انت عارف أنا بكره ليلي أوي كده لي؟!، أي عيلة طبيعية في العالم، أي عيلة طبيعية، تتمنى الولد، يببقى نفسهم وهيموتوا على الولد، إلا بابايا ومامتي، هيموتوا على البنت، قلبوا الدنيا، عايزين بنت، نفسهم في بنت، تعيسين عشان مجالهمش بنت، بيحسوك إنك مُذنب عشان جيت ولد مش البنت اللي نفسهم فيها، هما جابوك يا وائل خلاص ومكانوش عايزين غير بنت، الولاد اللي بعد كده كانوا عبي، كانوا هم، كانوا شيله وخلاص!.

طبعًا أنا اتولدت وانت كنت كبرت واتشغلت في دراستك ونجاحاتك اللي مبتخلصش، فانا كنت كبير بابا، قعد مُهتم بيا وشايلني في عينه، لحد ما ليلي إتولدت،

فجاه لقتي نزلت من عرش قلبه، مش نزلت درجة ولا إثنين، أنا إترميت خالص بره، بابايا اللي كان بيحي يصحيني بنفسه، بقى ينسى إني عايش، أصحى أقوله صباح الخير يقولي اندهلي ليلي، أقوله ينفع أخرج معاك زي زمان يقولي هاخذ ليلي خليك هنا، أقوله عايزة شوكلاتة يقولي روح هاتلك وهات ل ليلي، طب عايز كوره هات ل ليلي، عايز شنطة أجيب ل ليلي، وليلى أصلاً طفلة!، طفلة إتحققلها وجالها اللي متحققش ومجاش لأي طفل فينا!!

بقيت أموت وأنا بشوف حبه ليها بيكبر كل يوم، ويبقل ليا كل يوم، كل ما تكبر، كل ما تنطق كلمة، كل ما تتصرف تصرف حلو، بقيت أشوفه يحتفل ويعملها اللي ميتعملش على أقل حاجه، وأنا اتنسيت، لا أنا الكبير ولا أنا الصغير ولا أنا الوسطاني ولا أنا أي حاجه!، انا من يوم ولادت ليلي وأنا اتمسحت من المعادلة نهائي، إختفيت من الحياة، وجودي إتحمي، بقيت حاضر غائب دايمًا، مهما حاولت، مهما عملت، أنا كده كده مش متشاف...

كرهي ل ليلي ظهر في قلبي من أول لحظة عرفت فيها إن ليلي اتولدت..

لما عرفت إن ماما حامل في بنت، وشوفت لمعة فرحة في عيونهم مشوفتهاش قبل كده، كنت مبسوط، حسيت اللي هو أخيرًا حلمهم إتحقق وهيبقى ليا أخت بنت صغيرة وحاجه لطيفة وإلخ، بس لما هي اتولدت كل ده انتهى، لما لقيت هي الكل في الكل وأنا مغيث، بقا ليها أوضة لوحدها وأنا كنت هموت ويبقى ليا أوضة لوحدي من قبل ما تتولد وبابا رافض، لما يتعملها فرح عشان نطقت كلمة وأنا طالع الأول ومحدث مهمت، كل ده، كل ده خلاني أكرهها أكثر وأكثر، خلاني أحس إنها حرامية...

”

اختنقت عيناه بالدموع فجاء وهو يُردد:

"حرامية سرقت عمري مع بابايا!"

مسح دموعه سريعًا ليُردد بجحود جبار وهو يرمق أخيه وائل بقوة:

"أنا بكرهها.. بكرهها... بكرهها.. وأتمنى لو تفضل مُختفية ومعدتش أشوفها تاني في حياتنا!"

صفعة أخرى تلقاها من أخيه وائل الذي شعر بقلبه يبكي وهو يستمع لتلك الكلمات من إبراهيم، أول اخوته وأكثر من لعب معه ورافقه في صغره!

"انت... انت مريض يا إبراهيم!"

كلمات خرجت من فم أحمد المصدوم حقًا من تفكير أخيه، نظر له الآخر ليُكمل:

"دي يتيمة... دي بنت يتيمة يا إبراهيم!"

ردد الآخر بصراخ ناقم:

" ما كلنا يتامي، ما كلنا يتامي يا أحمد!، يتامي وفُقرا كمان!، انت فكرك إحنا كدا عايشين؟، ده حتى أبوك وأمك لما ماتوا مسابوش لا بيت حلو ولا فلوس نعيش ولا أي حاجه، لولا وائل كان زما موتنا من الجوع..."

غير كده انت تسكت خالص، مش انت اللي دلعتها لحد ما بقت تهزقك وانت ساكت؟!، شوف.. شوف جالك اي من وراها!، بقك اللي اتعور ده بسببها، تعبك النفسي والبدني بسببها، سقوطك السنة اللي فاتت ما كان عشان مرضها، حزنك ده دايماً بسببها، فشلك في حياتك بسببها، كل حاجه بسببها، كل حاجه وحشه بسببها،

عذوبية وائل لحد انها رده حتى بسببها، كتت عايزني أنا كمان أضيع حياتي عشانها؟،
لي يعني؟؟، طفلة أنا نينة متدلعه تلت رجاله يضيعوا حياتهم عشانها لي؟؟، إي
يخليني أعمل كده؟، عملت إي هيا في حياتها عشان تستاهل كل ده؟! "

كاد يتحدث أحمد، ولكن دموعه ملئت عينيه فور أن سمع صوت نحيب يعرفه
جيداً، في أقل من الثانية كان الجميع يحدق بالساعة التي يصدر منها ضوء أزرق
شفاف به ليلي أعينها حمراء كالدماء من كثرة البكاء، وصوت نحيبها بدأ يرتفع وكأن
شيئاً كان يكتمه ويعزله وهي ترمق إبراهيم ، قبل أن يختفي الضوء فجاء عن الأنظار!
فور إختفاء الضوء عادت الأنظار لإبراهيم مُجدداً، الذي شعر بقلبه يسقط من بين
أضلعه فور رؤيته ل ليلي هكذا فقد تلاقت أعينهما في تلك الثواني القليلة، لتحكي
الكثير والكثير، ويتأكد تمامًا أنها سمعت كل ذلك السواد...



"من؟"

رددت بحدة ليُردف هو برفق على غير العادة:

"أيمكنني الدخول؟"

صممت هي برهه، قبل أن تُردف:

"وإذا قلت لا هل سترحل؟"

إتسعت عينيها بدهشه فور أن ردد:

"بكل تأكيد"

صمتت.. قبل أن تردف بصوت مُنخفض:

"تفضل.."

دخل هو برفق مُغلَقًا الباب ورائه.. كانت تجلس على المقعد المُقابل للنافذة الكبيرة جدًا والتي كانت تطل على حديقة مُمتلئة بالزهور بكل أشكالها وأنواعها ووقت الغروب جعل حقًا المنظر مُهيِّبًا وبيدعًا..

قام بإحضار مقعد ليجلس بجانبها ناظرًا إلى ذاك المشهد.. ظل صامتًا لعدة دقائق يتأمل معها المنظر، قبل أن يُردف بصوت أجش:

"أتعلمين أن زهرة التوليب تُسمى الزهرة المعمّرة؛ لأن جمالها يزداد كلما إزداد عُمرها؟"

نظرت له بدهشة مُردده:

"بالطبع أعلم، من أين علمت أنت؟!"

"أنتِ أخبرتيني بهذا عندما رأيي الحديقة لأول مرة فور مجيئنا لهذا"

نظرت له وقد إمتلئت عينيها بالدموع مُردده:

"أمازلت تتذكر؟"

نظر لها بابتسامة صغيرة مُرددًا:

"أنا أحبك يا أمينة، وإذا علمتي كم أخشى فُقدانك كما فقدتُ عائلتي من قبل لُصدمتي، أنتِ أول صديقة لي بحياتي، أنتِ زوجتي ووالدة أبنائي، أنتِ ملكة ذلك القصر وملكة مصر بعدي، لُزبما تكون تلك المرة الأولى التي أقول لكي بها تلك الكلمات وربما هي

الأخيرة أيضًا، أنا صلب من الخارج أعلم ذلك ولكن تلك الصلابة جاءت لتحميني وتحميمكم أقسم!، إنها كانت بهدف الحماية، ربما أضحت كثيرة قليلًا عن ما أحتاج، ولكنها من أجلكم حقًا، أرجوك، أرجوك لا تقسي كما قسيت، مهما قسيتُ أنا لا تقسي أنتِ، فأنا لا أملك أحدًا غيرك أتكأ عليه سواك، أنا لا أملك أحدًا يُزهرني سواك، لا أحد يوقف بناي لتلك الصلابة سواك، لا يوجد أحد بقلبي سواك، لا يوجد أحد بمقدرته مُساعدتي سواك، أرجوك، أرجوك يا أمينة لا تقسي عليّ، حاولي، حاولي بقدر ما يمكنك أن تُحسني علاقتي بابنتي وبعائلتي، تلك النقص حاولي مُساعدتي في إكمالها، ولكن لا تقسي عليّ، فأنا الجميع الجميع قسا عليّ، لذا لا تقسي أنتِ عليّ، أرجوك يجب أن تفهمي ذلك يا أمينة"

إنفجرت عينيها بالدموع، كانت تلك المرة الأولى في حياتها كلها التي يُعبر بها أحد عن مشاعره تجاهها بتلك الطريقة، خصيصًا مُحمد، ذلك القائد الذي أحبته من كل قلبها و شعرت بنشوة الإنتصار فور أن تزوجته، وأنجبت منه البنين والبنات، شعرت في تلك اللحظة أن قلبها الذابل أضاء به النور، ليحيا مُجددًا، شعرت أنها تريد أن تبكي ذاك الجفاف الذي عاشت به سنوات وسنوات، أرادت أن تبكي.. تبكي ظننها لسنوات عدة بعدم حب مُحمد لها، أرادت أن تبكي ألمًا عاشت به سنوات، أرادت أن تبكي سوادًا ملأ قلبها، أرادت أن تبكي وتبكي وتبكي حتى تُنقي ذاتها، وتبدأ في تلك الحياة من جديد، كشخص جديد!

نحب نحن كثيرًا من حولنا، نحبهم ربما أكثر من ذاتنا، نحبهم وندعو لهم ونحاول أن نساعدهم، نحبهم ونحيك معهم خيوط الذكريات، ولكن لا بأس من حين لآخر أن نُعبر لهم عن مدى حُبنا، أن نذكرهم بمدى تعلقنا بهم وكم أنهم ثمينين جدًا لنا،

نُذكرهم بكم أنهم من جعلونا نُنير بعد كل إنطفائه، نفرح بعد كل حزن، نضحك بعد كل دموعه، نحيا بعد موت روحنا مرات ومرات، يجب أن نذكرهم بكل ذلك.

قاطع كل تلك المشاعر الفياضة دق على باب الغرفة، رد مُحمد بضجر شديد أضحك أمينة:

"ماذا يا حسن، ماذا بك أضحيت تتردد على غرفتي كثيرًا!"

إندهش حسن من نبرة مُحمد المازحة نادرة الظهور قبل أن يردد ببعض الخوف:

"أعتذر يا مولاي، إنه شأن مُهم كان يجب إخبارك به"

"أسمعك"

ردد ليُردف حسن باشا من وراء الباب فهو لم يدخل إحترامًا لأمينة هانم:

"لقد ذهب الجندي الذي أمام باب السيدة ريا إلى دورة المياه، وعندما عاد وجد السيدة ليلي تخرج من عندها وهي تبكي بشدة، ولم يمر ثانية حتى سمع صوت ضجيج مُهيب من غرفة السيدة ريا وصوت السيد أطلس يصرخ بشدة وهناك أشياء تتحطم يا سيدي.."

«عن حديث أنس- أن رجلاً كان عند النبي ﷺ فمر رجل به فقال: يا رسول الله، إني لأحب هذا، فقال له النبي ﷺ: أعلمته؟ قال: لا، قال: أعلمه، فلقه فقال: إني أحبك في الله، فقال: أحبك الله الذي أحببتي له، رواه أبو داود بإسناد صحيح.»

الفصل الثالث عشر

"سر الانتقال"

كانت ليلي تُشاهد إخوتها وتسمع حديثهم حتى ظنت أن صُراخ إبراهيم بتلك الكلمات السامة قد صم أذناها فأعمت أعينها طبقة كثيفة من الدموع، لم تستطع منع ذاتها أبدًا من البكاء، بل أنها كانت تشهق وتنوح ولكن الأخرى كانت تطبق كفها الناعم على فم ليلي بقوة كانت تؤلم ليلي في البداية ولكنها فور سماعها لكلمات إبراهيم لم تعد تشعر بأي ألم حقًا سوى في ذلك الصغير بين أضلعها...

قاطع كل ذلك تحديق ريا المصدوم بأخيها الذي فتح باب دورة المياه الموجودة بالغرفة بعنف شديد، وهُنا أزالته يدها من على فم ليلي بفرع من دخوله المُفاجئ ليظهر صوت نحيب ليلي الذي يقطع أنياط القلب.. على الرغم من إشتياقها الغير محدود لإخوتها إلا أنها لم تستطع أن تُزيل عينيها من على أخيها إبراهيم، لم تستطع أبدًا حتى عندما إنتبه لها ونظر لها، رأت في عينيهِ الدموع والندم القاتل، ولكنها كانت في عمق النار كما تظن، كانت في عمق الصدمة والحزن والكره، كانت في عمق كل المشاعر السيئة، حدجته بنظرة متحطمة تمامًا، لُتصبح كأنها سهام تُصيب قلبه مُباشرتًا، قبل أن تتفاجأ بيد كبيرة تُمسك الساعة مانعة ظهور الشاشة الزرقاء الشفافة فقد أطبق عليها بيده قبل أن يدفع يد ريا التي تثبت يد ليلي على الطاولة ويأخذ الساعة صارخًا:

"ريـا، ريـا!"

لم تأبه ليلي لكل ذلك، ولا حتى لعدم معرفتها بوجود ذلك الرجل الضخم-أطلس-
مُسبِّقًا، هي فقط كانت تُحقد في مكان الساعة بأعين حمراء كالدماء ووجه مُصفر
كالليمون..

تماسك الآخر للحظة فور رؤيته ل ليلي بتلك الحالة، وهُنا دفع الطاولة بشئ من القوة
من أمامهما، قبل أن يركع على ركبتيه أمام ليلي ناظرًا لها بعطف، صمت يجمع رباط
جأشِه قبل أن يردد بأكثر نبرة حنونة يملكها في العالم أجمع:

"أكبر دليل أن ذلك الحديث مُجرد حديث غاضب أنه لم يجرؤ على البوح به أمامك.

ليلى، لا يوجد أخ يكره أخته ليلي، لا يوجد أخ لا يُحب أخته بل ويعشقها.."

لم تنظر له، نظراتها ثابتة أمامها وكأن الزمن توقف بها ودموعها تأبى الوقوف بينما
ترتجف شفاتها في منظر مُفزع حقًا ليردد الآخر بهدوء مُحاولًا التماسك أمام هيئة
الفتاة المُنهارة:

"ليلى.. عزيزتي.. أنتِ بخير؟"

وهُنا وجهت نظرها إليه وكأنها لتوها إنتبهت لوجوده!.. تفاجأ بها تشهق فجاءه وكأنها
أضحت غير قادرة على التنفس قبل أن تسعل بقوة، وقف يبحث عن كوب ماء سريعًا
ومد يده لها بها لتمسكها، أمسكتها ولكن فور أن وقعت عينيها على ريا حتى أَلقت
الكوب بجانبها لتتحطم أثر إصطدامها بالحائط!..

وقفت بهدوء يسبق العاصفة، قبل أن تركض خارجه من الغرفة.. وهُنا خرج أطلس
حقًا عن السيطرة، أغلق الباب وراء ليلي بقوة شديدة أفزعَت ريا، ليصرخ مُجددًا وهو
يعيد شعيراته الطويلة نسبيًا للوراء:

"رياء، رياء، كيف تفعلين ذلك كيف يا رياء!"

وقفت هي لتردد:

"أطلس، لا تتدخل بتلك الشئون انت لا تفهم ما.."

قاطعها هو فور أن أمسك بإحدى التُحف ليلقيها بقوة وهُنا أصدر صوت تحطمها صوتًا مُهيبًا جعلها تقف بصدمة في حين صرخ الآخر حتى كادت ترى أحباله الصوتية:

"رياء، تَبَّ لكِ ولشئونك رياء، تَبَّ للساعة ولحياتك رياء، تَبَّ لمُحمد علي ولقصره ولكل ما يملك رياء"

وهُنا أخذ يضرب بكفيه على الحائط كالمجنون مُرددًا:

"تَبَّ تَبَّ تَبَّ تَبَّ رياء تَبَّ رياء!"

نظر لها بأعين حمراء مُرددًا بعدم تصديق:

"انتِ... انتِ كيف.. كيف يمكنك فعل ذلك!، كيف يمكنك تدمير تلك الفتاة فقط لتذهبي الى ذلك العصر القذر؟!، انتِ كيف تحولتي الى ذلك الوحش البشع؟!، انتِ.. انتِ.. لعنة الله عليكِ وعلى ساعتكِ وعلى خططك وعلى كل ما يخُصُك رياء، لعنة الله عليّ حتى أني طاوعتك وأتينا هُنا!"

"أطلس!.. الوضع لا يتحمل توترًا أكثر من ذلك، لا تزيدها عن ذلك، مُجرد حديث قاله أخيها وسمعته لم أفعل شئ أنا ولم أجبره على قول ش.."

شهقت بصدمة شديدة فور أن وجدت أطلس يرفع يده في حركه فُجائيه استعدادًا لصفعها.. نظرت له بصدمة كبيرة، كبيرة حقًا، ولكنه فجاه ابتسم مُرددًا بهمس:

"ريا.. الوضع لا يحتمل توترًا أكثر من ذلك، لا تزيد عليها عن ذلك، مُجرد صفقة كدت اصفَعها لكِ ولكني لم أفعل شيئًا وانتِ من أجبرتيني على رفعي لتيك اليد التي لم تُرفع يومًا إلا لتدليلك ولتُلاعب شعيراتك ريا..

بئس الأختِ انتِ ريا!، بئس المرأة، أحمقًا؟!.... أحمقًا تدمرين فتاة يافعة فقط من أجل حقدك وغللك تجاه جدتها؟، أتدمرين فتاة صغيرة حتى تعودين انتِ الى مكان لا تنتمي له بأي شكل؟، لا عُمَرًا ولا عائلة ولا شيء؟، ريا.. انتِ ولا شيء... انتِ ولا شيء بدوني ريا!.. انتِ ستذهبي هُناك لتجديكي بلا مأوى، بلا عائلة، بلا شهادة جامعية حتى تعملي بها، تظنين أن أسماء التي أضحت عجوز سوف تساعدك؟، أنظنين حقًا أنها لن تقتلك إن علمت ما فعلته بحفيدتها وكيف أسمعتها حديث أخيها حتى ترفض العودة الى عالمها فتستطيعين إستغلال آخر فرصة متاحة الآن للإنتقال عبر الزمن!"

تساقطت دموع الأخرى وما كادت تتحدث حتى صرخ الأخر:

" اصمتي.. صمتي مرة واحدة.. مرة واحدة اصمتي ولا تجيبي!، لا تجيبي ريا، أحتاج فقط أن أسمع صمتك ريا!

انتِ لستِ ريا.. انتِ لستِ ريا، انتِ مَسخ، انتِ وحش، انتِ وحش كونه الغل والحقد والحسد والطمع والجشع، ريا.. اليوم انتِ جعلتي تِلِكَ اليتيمة تفقد إخوتها كما فقدت عائلتها.. وأنا اليوم أيضًا سأجعلك تشعرين بذات الشعور... مُنذ اليوم أنا لستُ أخيكي، أنا عدوك اللدود ريا، أنا لن أساعد سوى ليلي ومحمد علي، أنا لن أفعل أي شيء يضرهما حتى وإن كنتِ ستضررين، انتِ اليوم فقدتي أخيكي مثلما فقدتِ عائلتك ريا..

العين بالعين ريا... العين بالعين والمُرتجف قلبي!

أم تعرفي..؟

العين بالعين وبئس ذاك القلب المُرتجف على وحشٍ مثلك ريا.. "

كاد يُغادر ولكنه نظر لتلك المرأة الكبيرة التي ظهر وجه ريا المصدوم بها، لتصرخ بفزع فور أن قام هو بضرب المرأة بقبضته القوية غير آبه بالجروح التي ستلم به ولا بالألم الذي سيحل به، وكأن تلك الضربة عقابًا إذا كان سببًا فيما حدث مُنذ قليل من إيذاء لتلك الفتاة.. ليلي..



"مسمعتش.. هي مسمعتنيش أكيد!"

كلمات ردها إبراهيم برعب حقيقي ظهر جليًا في عينيه، ولكنه تفاجأ بأحمد يقف أمامه مُباشرتًا وقد إغرورقت عينيه بالدموع مرددًا:

"سمعتك، وشافتك، بس تخيل، شوفنا رعبك وخوفك من الحقيقة دي، شوف شكلك عامل ازاي، عارف ده لي؟، ده عشان بتحبها، بتحبها وظالم نفسك وظالمها مش أكثر!"

نظر كليهما لعي الذي ردد بسخرية:

"وهي لا محتاجه حُبه ولا ظلمه ولا محتاجه في حياتها، هو عمره ما كان موجود في حياتها فعدم وجوده مُستقبلاً كمان مش هيفرق كثير.. "

"ده لو رجعت أصلًا.."

سريعًا ما التفت الجميع لذكريا الذي ابتسم بألم دفين:

"اللي حصل يأكدلنا إن ليلي مع محمد علي، ويأكدلنا إن فيه سبيل انها ترجع،
ويأكدلنا انها مش هترجع!"

"هي دلوقتي حست انها مش مرغوبه في المكان، خصوصًا بعد «بكرهها بكرهها» و
«يارتها ماتت مع ماما وبابا» اللي رماهم إبراهيم في وشها، أي حد فيكوا لو مكانها
عمره ما هيرجع"

ردد وائل بهدوء، قبل أن يتفاجأ الجميع بـ علي يصرخ بدموع:

"أنا بكرهك بكرهك يا إبراهيم، وياريتك انت اللي مت مع ماما وبابا، ولا أصلًا أنا
كده كده مفرقش معاك برضو، بس يا خسارة، هي سمعت الكلام ده من حد كان
يفرق معاها..!"

أنهى كلماته ذاهبًا الى غرفة ليلي، في حين كان إبراهيم مُتصنمًا، مصدومًا، فزعًا حقًا..
شعر لوهله أن قلبه يعتصر ألمًا، وكأن نظرات ليلي الباكية له كالسهم أصابت قلبه
وذكرته بحُزنه على والديه، وكأن نظرات ليلي وإنهيارها أمامه ذكره بإنهياره المُماثل
وقت وفاة والديه، وكأنه أدرك لوهله، أنه ليس الوحيد الذي فقد والديه
وحياته، وأن كان هناك طفلة.. طفلة صغيرة جدًا جدًا، فقدتهما مُبكرًا جدًا جدًا،
وكانت مُرغمة على مواجهة تلك الحياة وحيدة.. مثله تمامًا!

إبتسم بمرارة، فور أن دخل زكريا غرفته ليصفع الباب بشدة، قبل أن يلحقه أحمد
داخلًا ورائه ليُغلق الباب بهدوء، كما حال أحمد دائمًا.

في حين نظر وائل لإبراهيم مُطولًا، قبل أن يفتح باب الغرفة الأخرى مُشيرًا بعينه
لإبراهيم حتى يدخل، تفاجأ هو كثيرًا من فعل وائل، قبل أن يتحرك وكأنه عجوز

أثقلت كاهليه بالهموم، مَحني الرأس والكتفين، يجر قدم ويؤخر الأخرى، ويجر حقيبة سفره جرًّا على الأرض..

مُجرد نقاش.. نقاش.. حوّل ذاك المُتمرد الغاضب العاصي، لذاك العجوز، المحني، المُكْتئِب..

مُجرد نقاش.. استنزف طاقات.. دمر هذا، وجرح ذاك، وسرق عمر هذا!

جلس بشحوب الموتى على سرير من الإثنان، يُطالع الأرض بدموع مُتَحجرة، كان يُدرك وائل تمامًا صعوبة ذرف دمعة أمام احد بالنسبة لإبراهيم، ولهذا أغلق الباب وخرج، لتنفجر شلالات.. شلالات من الدموع، ذاك البارد السيء، بكى كما لم يبكي من قبل في تلك الليلة، بكى من فرط ما فيه، ذاك الذي لا شيء يبكيه!



خرج أطلس من الغرفة كالمجنون حقًا، أخته أصابته بالجنون، لا يُمكنه أبدًا تخيل كم أن أخته عديمة القلب والأخلاق هكذا!، ليست هذه ريا التي يعرفها!، ليست هي، كان مُستاء جدًّا لدرجة أنه لم يأبه لوجود محمد علي وزوجته أمامه، فتجاوزهما مُتجهاً الى الأسفل، نظر الجندي الى محمد علي مُنتظرًا إشارة لإلقاء القبض عليه أو تتبعه ولكن الآخر أشار بعينه بمعنى-تركوه-

نظر محمد لأمينه، وهُنا تفاجأ بها تردد بهدوء:

"سأرى أنا ليلي، لا تقلق عليها"

تفاجأ كثيرًا، ولكنه ابتسم ابتسامة صغيرة على حين غره، وأوماً لها برضا تام.

نظر هو للجندي مشيرًا إليه ليتبعه، تاركًا غرفة ريا وبابها نصف مغلق، ليأمر بذهاب ميسليا وغيرها من الخدم لينظفوا الغرفة من الحطام تمامًا، بدون أن يمس أحد ريا حتى بنظرة.

في حين توجهة أمينة هانم الى غرفة بسملة وليلى، ولكنها تفاجت بـ بسملة تجيبها أن ليلى لم تأتي منذ ساعة تقريبًا، وهُنا خرجت هي ببعض القلق، إذًا أين ذهبت تلك الصغيرة الجريحة يا تُرى؟، ومما جُرحت يا تُرى!

كانت أمينة لا تعلم بوجود ضيوف-أطلس وريا- في القصر بعد، ولكن محمد علي شرح لها بإختصار وهم يخرجون من غرفتهم أن ريا تلك بيدها عودة ليلى، لذا فهو يُسأرها..

بحثت على قدر استطاعتها ولكنها لم تجد ليلى، وهُنا أمرت ميسليا بالبحث، وبعد نصف ساعة تقريبًا جاءت ميسليا ووجهها فزع مُردده أنها لم تجدها!

قلقت أمينة جدًا، وخشيت أن تُخفي على محمد فيحدث لتلك الفتاة شيئًا أو أن تفعل بذاتها شيئًا، لذا اتجهت سريعًا الى القاعة بالأسفل، وأخبرته بذاتها عن بحثها وبحث ميسليا داخل القصر بدون فائدة وهُنا أمر محمد الجنود بالبحث خارج القصر بدون إفزاعها.

مرت دقائق قبل أن يعود جندي مرددًا باندهاش شديد:

"انها تجلس في الحديقة الخلفية يا سيدي... ولكن ليست وحيدة"

نظر له محمد علي بعدم فهم ليكمل الآخر:

"إنها تجلس مع السيد أطلس!".



وكان قلبها يحترق.. ذلك الشعور فقط الذي ملأ صدرها حينئذٍ، شعرت بالوحدة و الحزن و الخيانة!، شعرت بالغضب و النقم، شعرت.. شعرت بالهزيمة!

ظلت تسير على غير هُدى، لا تعلم من أين جاءت بالقوة التي جعلتها لا تذرف دمعة واحدة بعد خروجها من الغرفة، هي فقط سارت قليلاً، وركضت قليلاً حتى وجدت ذاتها أمام حديقة كبيرة ممتلئة بالورود!..

أخذت تسير بتوثئة، وقد غابت الشمس وكان هُناك باقي من خيوط النهار يسري في الأجواء، رأت مقعد طويل، فجلست بجسدها الصغير على أقصى يمينه، رامقة الأرض بهدوء مُميت..

شعرت بصوت أقدام يقترب، لم ترفع عينيها، كانت مُرهقة أكثر من رفع رأسها والنظر لمصدر الصوت، ولكن صوتاً أجش ردد فجاء:

"أيمكنني الجلوس؟"

أومات بهدوء شديد، ووجهها شاحب شحوب الموتى.. سار هو ليجلس على أقصى اليمين الآخر للمقعد، كانت يده تنزف دماءً ولكن الأخرى لم تنتبه لذلك فهي لم تُحيد نظرها من على الأرض العشبية..

"أنا أعتذر.."

ردد بهدوء شديد، وهو يطالع الأرض مثلها، وهُنا تمتمت هي بصوت ضعيف جداً مبجوح أثر البكاء:

"على إي؟"

صُعبت.. صُعبت حقًا فور استماعها لنبرته الباكية بعد ذلك وهو يردد:

"لم أكن أعرف أنها ستؤذيكي هكذا، أقسم أنني لو علمت لما سمحت لها أبدًا، لَكُنْتُ اخترت قتلها على إيذاء أحد بهذا الشكل!"

ابتسامة صغيرة جدًا كان فيها من المرارة ما جعل الدموع تجتمع بعيني أطلس، ذلك الرجل الضخم، نادر البكاء!، ذلك الرجل المُتماسك القوي، ذا الملامح المُتجمدة!

"هي معملتش حاجه.. هي سمعتني الحقيقة بس!"

"لا، لا ليلي، هذه ليست الحقيقة!"

وهنا، تفاعب ليلي تنفجر باكية، وضعت يديها على وجهها وأخذت تبكي بقوة، حتى أن جسدها الهزيل أخذ ينتفض من البكاء، أخذت تبكي وهو يُطالعها بدموع، كان يبكي هو الآخر ولكن بسكون..

"انت عارف... أنا.. أنا حاسه بالهزيمة.. أنا كلام إبراهيم هزمني أوي أوي، أنا أول مرة في حياتي أحس إني إتهزمت كده، أنا.. أنا زعلانه.. أنا زعلانه أوي!"

أزالت يديها من على وجهها الأحمر مُردده بشهقة:

" انت عارف اي اللي يزعل أكثر؟، إن أنا إبراهيم صعبان عليا، تخيل؟، أنا.. أنا فعلاً أذيته أوي.. أذيته من غير ما أقصد والله.."

شعر بقلبه يتحطم عند تلك النقطة، تلك الفتاة مُختلفة، يفهم الآن لما نقلتها الساعة خصيصًا مع مُحمد علي، تلك الفتاة مختلفة، بها شئ يجعلها مُختلفة عن الجميع..

"والله.. أنا عملت كل اللي أقدر عليه، عشان متقلش عليهم، بس أنا إنسانه، بضعف، بزعل، بتغير، عندي احتياجات اللي المفروض يلبوها مشوا، واللي مش المفروض يلبوها حاولوا يعوضوا!!، بس مفيش.. مفيش تعويض عن فقدان ده!، أنا عيبت كتير اوي لما ماما وبابا مشوا، كتير هنا مش وقت وفاتهم!، كتير دي شاملة كل يوم قبل ما أنام وأول لما أصحى، كتير دي شاملة حتى أحلامي اللي من يوم وفاتهم لحد انهارده عنهم، كتير دي شاملة أي موقف صعب بتحط فيه ومش بلاقيهم، كتير دي شاملة حاجات كتير أوي!"

"أنا حياتي إتدمرت بعد ما مشوا، كل حاجه باظت ومعدتش في مكانها، بس اللي يصدم إن أصلًا في ناس حياتهم اتدمرت قبل ما يمشوا!!، باظت ومعدتش في مكانها، باظت واتدمرت بولادتي أنا!"

" تخيل إن حد يقولك انت ولادتك سبب تعاسي!.. "

نظرت أمامها لتردف بنبرة حادة وكأنها تُحدث ذاتها:

"أنا! أنا إلي سرق عمر إبراهيم مع بابا؟، أنا سرق عمر إبراهيم وعملتله كل ده!!"

"طول عمري فاهمه وحاسه إنه بيكرهني، بس مكنتش أعرف إنه أوي كده!، مكنتش مُدركه إنه بيكرهني أوي كده.. أو مكنتش عايزه أدرك ده! "

وهنا نظرت له ولأول مره منذ جلس مردده بصراخ متألم:

"تخيل إنه بيقول يا رتني كنت مت مع ماما وبابا.. تخيل؟!"

نظر إليها، وقد أحمرت عينيها بشدة من كثرة البكاء والنهنية، وظهر أثر الصدمة على يديها من كثرة إرتجافهما، ليرمق حالتها المُرزية تلك بقلب يعتصره الألم، وقد إختنقت عينيه بالدموع وهو يردد:

"ربما الأشياء ليست بهذا السوء، ربما عيناكي مُرهقتان ليس إلا ليلي..". -فان جوخ-



" حسناً إتركهم "

ردد محمد علي بحكمة، وهُنا رددت أمينة بإعتراض:

"ألا تقلق على تلك الفتاة؟!، نحن حتى لا نعلم ما حدث!"

"سيخبرنا أطلس"

ردد بثقة لتصمت الأخرى بعدم فهم، ولكنها تفاجت بمُحمد يردد:

"أعلم أنك قلقة، لذا أجلسي هُنا حتى يأتوا"

"من أين علمت انهم سيأتوا؟"

"ستعلمين فور أن يأتوا! "

ردد بحسم، فصمتت هي بفضول شديد، قبل أن تجلس في إنتظار..

في حين على الجهة الأخرى، أخذت ليلي تبكي لبعض الوقت، حتى شعر أطلس أن تلك الفتاة لو أكملت بكاء ربما يتوقف قلبها!، لذا أخذ يُردد بتروي:

"إهدئي ليلى، يكفي بُكاء، انتِ بكيتي كثيرًا.."

ولكن الأخرى لم تستجيب أخذ يُحاول ولكن لا فائدة وهُنا تفاجأت به يُردد بحزن شديد ونبرة شبه صارخة:

"يكفي ليلى بكائك يقطع أنياط قلبي!"

صمتت هي، وأخيرًا قامت بمسح بقايا دموعها بأناملها الصغيرة، عم لحظة صمت عليهم، قبل أن تتفاجأ بأطلس يمد يده من بعيد أمامها حتى ترى تلك الدماء الغزيرة حول يده مُرددًا بمزاح ليخفف وطأة الحدث:

"تلك الدماء دُرُفت من أجلك يا صغيرة، فور عودتك الى عالمك يجب أن تكتبي كتاب عني وعن وسامتي الأخاذة وحي للعدل والحق، إجعليني بطلًا مِغوارًا بدون ذكر أنني أعمل في الأخشاب!، في النهاية ما الجذاب في بطل مِغوار يعمل في الأخشاب؟، يمكنك أن تكذبي كذبة صغيرة من حيث العمل وتجعليني تاجر مشهور في الأخشاب وأصدرها خارج البلاد!، و إنشري الكتاب وإعلمي بجهد على أن يكون مشهورًا كفاية حتى تروي الفتيات عن ذاك البطل المِغوار أطلس!"

ضحكت رغماً عنها ورغماً عن فزعها من مشهد الدماء ذلك، قبل أن تقف سريعًا مُردد:

"ماشي يا بطل يا مِغوار، انتِ أصلاً طلبت رقم غلط، وأنا فاشلة في الكتابة، يا دوب بحث صفحتين عملته وفشلت فيه!.."

بس أوعدك، أوعدك إني هعملك أي حاجة تخليك ذكرى خالدة في المستقبل، ده لو أنا رجعت يعني، أنا معتش عايزة أرجع خلاص"

"انتِ فتاة غبية، تُحققين كل مخططات ريا بكل سهولة!"

"فعلاً، خليها تفرح، و تعمل بالساعة اللي هي عيزاه، أنا هنا سعيدة، ومحمد علي طيب وهيهتم بيا، ومعايا كمان بسملة!"

تفاجأت به يقف أمامها فور أن كادت ترحل ليُردد بجديه:

"ليلي، ذلك ليس إختيار، انتِ لا تفهمين ما سيحدث إن ظلتي هنا، انتِ ستدمرين التاريخ، ستبعثري العوالم!"

لم تأخذ حديثه على محمل الجدية فهي لم تفهمه بالفعل مردده بمزاح:

"لو يكن، عادي أنا أستاهل، ويلا خلينا نعالج إيدك دي عشان شكلها صعب بصراحه"

"ليلي!"

وقفت بعد أن كادت ترحل، نظرت له بعدم فهم لجديته تلك، فهي ظنت كل شيء سهلاً وعابراً، وأن وجودها من عدمه لن يُشكل فارقاً، ولكنها لم تكن تدرك الكارثة التي ستحل إن بقيت في ذلك العصر!

"ليلي، لم أكن أرغب في قول ذلك لك ولكنك من أجبرتي، ليلي انتِ الآن رجعتي بالزمن مئتان عام تقريباً، جئتي لعصر مليئ بالأحداث والمصائب و خاصتاً أنك في وجه المدفع أي في بيت الملك!، ليلي، بوجودك وعلمك بكل ما سيحدث مستقبلاً لمدة مئة عام أو يزيد إذا كُنْتِ مثقفة، هذا سيُعيد تشكيل التاريخ، ربما للأفضل، وربما للأسوأ والأسوأ، من سيعلم بعلمك بالمستقبل سيختطفك كمساعدة له، سيتم استغلالك، غير ذلك، ستقومين بكارثة في الجينات والوراثة، فانتِ هنا ليس لكِ والد

ووالدة، ولا يمكننا معرفة من هم أجدادك القدماء، وإخوتك في المستقبل سيموتون بسبب ذلك الخلل التي ستحدثه في الجينات، خصيصًا إذا تزوجتي بعد سنوات، ستقلين مسار الحياة رأسًا على عقب بإنجابك لأول أبنائك، ظهورك المُفاجئ بدون حتى أي تدخل سيقلب التاريخ، تسببك في تغيير شخصية مُحمد علي ربما يكون له آثار كارثية مُستقبلًا، انتِ لا تدركين أبدًا ما تفعلين!، غير ذلك، الساعة لا تنقل إلا فردًا واحدًا، أو إثنان برابط، وحتى الآن لا تعرفي كيف جاءت بسملة، ولا كيف جئتي انتِ مع محمد علي؟!، ولهذا، لا تفكري أبدًا أبدًا في عدم الرجوع ذلك، انتِ ستدمرين البشرية بأكملها إن ظللتِ هُنا!"

"انتِ.. انتِ ازاى تعرف كل د.."

قاطعها الآخر مُرددًا بحسم:

"احضار أبي لأمي من عصرك هو ما تسبب بحدوث الحرب العالمية الأولى.."

"اي!"

تنهد هو مرددًا باختصار شديد:

"لا يهم التفاصيل ما يهم أن حضور أبي لهُنا منذ سنين طويلة سبب خلل في الزمن مما أدى الى إطلاق طالب صربي يُدعى غافريلو برينسيب النار على ولي عهد النمسا فرانز فرديناند مع زوجته عام 1914 وبعدها بشهر حدثت الحرب العالمية الأولى نتيجة لذلك فلقد ظنوا أنها حادثة إغتيال!"

شعرت ليلى حينئذ بالغباء الشديد وبالخطورة الشديدة أيضًا.

"مش فاهمه حاجه، هو إي مش احنا في 1807؟! "

نظر لها بنفاذ صبر مرددًا:

"لا يهم، ذلك شيء خاص بتعقيدات الساعة، المهم انك ادركتي الخطورة فقط"

وأما الأخرى بضيق مُتتهده، قبل أن تردد بخوف:

"إيدك لو حصلها حاجه هيبقى بسببي، يلا بسرعة خلينا نشوفلها حل"

وبالفعل، دخل الإثنان الى قاعة القصر، وهُنا ظهرت إيمارات الألم جلية على أطلس،
لُتدرك أمينة مقصد زوجها، وكيف أنه كان أمر حتمي أن يأتي الإثنان في القريب
العاجل..

جاء طبيب سريعًا وأخذ يضمد جرح أطلس والآخر مُتماسك كالصخر تمامًا، فإظهار
مشاعره ذلك ليست من سماته، ولكنها كانت مجرد لحظة ضعف أمام ليلي المُنهارة
لا أكثر..

انتهى كل شيء بدون إرداف مُحمد ولا كلمة، يتابع فقط بهدوء ونظرات تشبه نظرات
الصقر، انتهى الطبيب لُتردد ليلي ببسمه باهته:

"شكرًا يا سيد أطلس، رغم بشاعة اللي عملته اخت حضرتك، بس شكرًا ليك"

أوما لها بهدوء، لترحل هي بدون ولا كلمة لأي أحد، في حين نظر كُلا من مُحمد وأطلس
لبعضها البعض لُيرردا بذات اللحظة:

"سأتحدث معك"

"أرغب بالحديث معك"

شعرت أمنيته بجديّة الموقف، لذا وقفت مُنسحبه من المكان، تاركه لهم القاعه فارغة إلا من الجنود..



"يبدو أنك تُدرك مدى أهمية ما سأبوح لك به!"

ردد أطلس بإعجاب من ذكاء محمد علي الذي أحضره في غرفة صغيرة ليس بها سوى مكتبة كبيرة تملأ حائطين وطاولة حولها مقعدين أمام نافذة كبيرة جدًا تطل على الحديقة ولكن الميزة بها أنك ترى ما بالخارج بدون أن يستطيع من الخارج أن يرى أي شيء.

ابتسم الآخر مردفًا:

"لم أقابل أحدًا لا يفهم مدى ذكائي سواك انت واختك، وبالطبع ليلى الحمقاء وإخوتها"

ابتسم الآخر قائلاً:

"ذلك العصر مُختلف يا سيدي، يبدو أن جميع من يأتوا منه لا يمكنهم أبدًا تقدير عقول من حولهم، لقد فسدت مصر مع مرور الزمن، فسدت كثيرًا يا سيدي أكثر مما تتصور، تلك المملكة العظيمة التي تفعلها وستفعلها، سيهدمها الكثير، الكثير والكثير، حتى تصبح مصر، من أسوء الشعوب، بها الراقصة ناجحة ومعروفة، والعالم، يُعامل مثل الخادم..، ذلك العصر غريب علينا يا سيدي، عصر مليئ بالمُكتئبين، مليئ بالظلم، مليئ بالرشاوي، مليئ بانعدام الضمير، ذلك العصر لا يمكنك أن تجد به «رجل» إلا من رحم ربي، سيسود الجهل ويعم الفساد من جديد، وستستمر الأوضاع

في التدهور، فلقد تدخلت الدول الأجنبية كثيرًا مثلما تخشى، وأفسدت مصر كثيرًا
مثلما توقعت!"

تنهد محمد علي ، قبل أن يومئ له بابتسامة صغيرة مردفًا:

"يبدو أنك تعرف الكثير عن المستقبل!، وأعلم أنني إذا أردت سأعرف، ولكنني أذكر
من أن أهتم لذلك، لا يُقلقني ذلك ولا يُهمني، بل ما يقلقني حقًا هو تغيري ذاك...،
فقبل ذهابي للمستقبل، كان من المعجزات أن أجلب أحدًا الى تلك الغرفة، أو أن
أجلس حتى مع شخص مثلك!، إنظر الي ما آلت إليه الأمور.. ولكنني أخشى أن يحدث
خللاً فيما سأفعله قريبًا يا أطلس، ويُمكنني حينها توقع كيف سيختل التاريخ!"

ردد أطلس بجديّة شديدة:

"ولهذا بالتحديد جئت لك الآن يا سيدي، نحن نُشرف على كارثة تسببت بها أختي،
لا يُمكنني حلها سوى بمساعدتك وبمعرفتك بكل الحقيقة"

نظر له مُحمد علي مُنتظرًا أن يكمل، ليتنهد أطلس قبل أن يردف:

"كل ذلك بدأ مُنذ سنين طويلة، حينما أدى جنون والدي بالعالم والتاريخ
والنظريات المتعلقة بالزمن وغيره، وإيمانه الشديد بأنه يستطيع أن يسافر عبر الزمن
ومثل ذلك الى اختراعه لتلك الساعة، انظر يا سيدي، لقد حاول والدي لن أقول مئة
مرة، حاول أبي آلاف المرات، مُنذ بلغ السادسة عشر وهو يحاول، كان ذكيًا نبهتًا،
وكان مُثقفًا على غير عادة الشعب حينها، قرأ الكثير والكثير، بل أنني يمكنني القول
أنه لم يقرأ القليل جدًّا، فأبي ولد، لتتوفى أمه، فأضحى محل إقامته مع أبيه الذي
يحرص مكتبة كبيرة، وهُنا بدأت قصته..

نجح أبي يا سيدي في السفر عبر الزمن، وكان ذلك عبر صنع ساعتان مُتماثلتان، أحدهما تظل هُنا والأخرى ينتقل بها إلى أي عصر وزمن، كرابط بين عصره وأي عصر وزمن كما كان ما يظن، حتى أكتشف أن تلك الساعة وبطريقة ما لها قوانينها الخاصة، ولم يستطع أن ينتقل بها ولا مرة، بل أنه تفاجأ في أول محاولة أن إحدى الساعتان إختفت، وبعد مُحاولات وسنين كثيرة تفاجأ أبي بامرأة حسناء تظهر أمامه فجاءه!"

تنهد الآخر مردفًا:

"ريا، هي النسخة المصغرة من أمي، هذا ما كان أبي يُرده علي كثيرًا، لن أقص عليك قصه الحب العظيمة التي ترويها القصص، فأبي كان ذا مبادئ وقيم، وتزوجوا لينجبوا توأم، ريا..وأنا، وهُنا قرر أبي إنهاء قصة تلك الساعة، فهو بمعنى الكلمة كانت روحه في الفتاتان، أمي وريا، ولكن تشاء الأقدار، فيحدث خطأ فادح آخر من أبي، ويعود الإثنان من حيث أتيا!"

"دخل أبي في رحلة إكتئاب عصبية، وفقد قدرته على التفكير بأي شئ سوى بما فقده، وبعد مرور سنة عصبية، عاد لمُحاولاته مُجددًا على أمل بعودة كليها، وهُنا أدرك شئ مهم جدًا..

الساعة لا تنقل إلا شخصًا واحدًا فقط، مهما حاولت هي تنقل فرد واحد إلا إذا وجد رابط مادي بين إثنان يمكن حينها أن تنقلهما"

نظر له مُحمد هامسًا بإدراك:

"تقصد أن صديقة ليلي قد أتت بسبب.."

قاطعهُ أطلس مُكملاً:

"وجود رابط، الفتاتان بينهما رابط مادي، ربما مشبك شعر حتى، ولكن يوجد رابط
"

"ولكن ما هو الرابط بيني وبين ليلي حتى نأتي معًا!"

ردد باندهاش ليتفاجأ بأطلس يُردد بقلة حيلة:

"هذا ما أحاول فهمه منذ علمت بوجود ثلاثتكم، هذا لم يحدث من قبل ولن يُفسره
أي بأي شكل من الأشكال في كتبه التي احترقت منذ زمن مع منزلنا.."

لم يفهم محمد ليردد أطلس مُكملاً:

"أكمل أي أبحاثه وغيرها، وعلم أيضًا أن تلك الساعة لها فرصة انتقال تأتي كل مدة
غير محددة، ولكن لا يمكن أن تنقل مرتين في ذات الوقت.

أخذ يكتشف كل ذلك ويدون ملاحظاته وهكذا، حتى جاءت ريا مُجددًا.. ولكن بدون
أمي..

ماتت أمي هناك، وحتى الآن نجهل السبب، كل ما تتذكره ريا أن والدتها مَرَضَتْ فجاءه
و ماتت سريعًا، بدون أي تفسير واضح، وظلت هي مع جدتها، لتعود مره أخرى بعد
سنوات ولكن مع رفقة غير مرغوب بها إطلاقًا.. وهي أسماء.. جدة ليلي حاليًا.."

إتسعت عيني مُحمد علي بصدمة، ليكمل أطلس:

"كانت الفتاتان في الثامنة عشر تقريبًا، حين عثرت ريا على ساعة ذهبية بين ملابس
والدتها، لتختفي ومعها أسماء، بسبب رابط أيضًا، والذي كان إسورة، إسورتين
إرتدتها الصديقتان، فتسببت بانتقال غير مرغوب.

يكفييني القول أن أبي فقد بصره من كثرة الحزن على أمي، ولكنني أخذت أبي له مُترجياً حتى يحاول ويعيد تلك المسكينة أسماء، وعمل هو على إنهاء أمر الساعة، فحاول تعديل بعض الأشياء بها وبالفعل رحلت، لتظل الساعتان تلك المرة هُنا!"

"ريا أختي أفصحت عن عدم رغبتها بالبقاء هنا، فهي قضت الكثير من عمرها في عصر، ولم تريد أبداً أن تظل هنا، ولكن كل ذلك أضحي سراً، فور أن مات أبي، ليتركني مع ريا وحدنا..

كانت ريا تكرهني في البداية، كانت كارهة وناقمة لكل ولأي شئ في هذا العصر، كانت مُتمردة وأثارت غيظي كثيراً ولكني صبرت، كنتُ وحيداً، وحيداً أكثر منها، وكانت هي ملجأى الوحيد بعد فقدي لأبي، لم تكن عاشرت أبي حتى، لم يسعفها الوقت، وهذا جعلها تكره المكان أكثر، حاولت كثيراً معها حتى ظننتها تجاوزت الأمر، لم أكن أعرف أنها كانت حاقدة كثيراً وباغضة لأسماء، لم أفهم ذلك حتى هذه اللحظة، لماذا هي تكره تلك الفتاة التي كانت صديقتها يوماً، كيف يتحول كل ذلك الحب والصدقة والحنان إلى كره وحقد وغل أنا حقاً لا أعرف!

لماذا تظل تلومها على بقائها هُنا أنا لا اعرف أيضاً، ولكن ما أعرفه أن أختي يملؤها الحقد والغل، وهذا زاد أكثر فور علمها بحقيقة ثبوت عمرها.."

"ماذا؟!"

همهم محمد علي بعدم فهم فتنهذ أطلس، وأخذ أنفاسه التي كادت تنقطع من كثرة الحديث، قبل أن يكمل:

"أختي حدث خلل بجيناتها بسبب الانتقال، فهي لم تكبر ملامحها منذ جاءت، أختي علميًا بعمر السبعون تقريبًا يا سيدي، حقيقًا هي مازالت بعمر الثامنة عشر!"

"انت ماذا تقول!؟"

ردد محمد بصدمة حقيقية شلت عقله، ولكن الآخر لم يأبه له مُكَمَّلًا:

"كل ذلك علمته بسبب ما دونه أبي في مذكراته وغيره فهو لم يكن كثير الحديث بل لم يكن يحدثني بتاتًا، ولكن كل ذلك فقدته فور أن حدث حريق بمنزلنا وأضحى كل شيئًا رمادًا، لذا انتقلنا الى حي آخر، و فقدنا كل شيء عدى الساعتان، و لكن للأسف أحدهما أصابها ضرر..، نقص بها قطعة ما، حقيقة لا أعلم أسباب الحريق أم أن أبي عطلها بتلك الطريقة، لا يُمكنني أن أفهم ذلك حتى الآن!"

"أطلس.. أنت أيضًا لديك خلل بجيناتك!"

صمت الآخر قليلاً وهو يحرق بعيدًا، ولكن محمد علي ردد مُجددًا بابتسامة منفعة:

"انت.. انت أيضًا بعمر السبعون!"

"لا اعرف.. لا أعرف يا سيدي بأي عمر أنا!.. شائع أنني ثلاثيني، وعشريني، وأربعيني، ولكن عندما أنظر لوجهي لا أدرك، فلا أنا سافرت بالساعة من قبل، ولا أنا ظللت على وجهي وحالي منذ أتت ربا، حقيقًا على قدر معرفتي فأنا أجهل الكثير، الكثير جدًا يا سيدي!"

صمت محمد علي رامقًا أطلس بتفكير عميق، فأردف ببعض الحزن:

"والآن، لنأتي لأهم ما سيجب قوله لك يا سيدي.."

إنتبه له مُحمد علي بتركيز شديد ليُكمل أطلس مُفجراً قنبلته:

"ريا هي من سرقت مالا من خزنة مصر، وهي من تركت الساعة التي بها عطل في ذلك المكان السطحي حتى يقع بها أي أحد من الجنود ككبش فداء، فالسبيل الوحيد لجعلها تعود الى عالمها هو وجود الساعة تلك في العصر لتكون كبوابة عبور لها، خشيت هي أن تجرب بذاتها، فأرادت أن يكون كبش فداء التجربة هو أحد الجنود نظراً لكرهها الكبير لهم، ولكن الأمور خرجت عن السيطرة حينما.."

قاطعهُ مُحمد علي مُضيقاً بفهم:

"أضحيت أنا كبش الفداء.."

"تماماً!، ذهبت وعدت ومعك إثنان، وهذا كارثي!، ولا يمكننا حله، ولكن خطة أختي هي كالتالي: أخذ القصر منك لتعطيه لي كمقابل لرعايتي كما تظن، ثانياً الذهاب لعالمها والتخلص من الساعة حتى تظل هناك ظنناً منها أن هكذا سيسير عُمرها كما البشر الطبيعيون!

والجديد أن ريا إكتشفت قدرت الساعتان على التواصل، أي يُمكن لمن يملكون الساعة هناك أن يتواصلوا معنا هنا، وهذا ما فعلته هي ل ليلي تماماً وهذا ما أعلمها عن إخوة ليلي قبل مجيئنا إليك"

"إدًا، لما لم يتواصل أبوك مع والدتك من قبل؟"

ردد أطلس بابتناس:

"لا أعلم مُجددًا يا سيدي، يُخيفيني ذاك المجهول الكثير المُتعلق بالساعة، لا أخشى على ذاتي بقدر خشيتي على أختي والفتاتان، أخشى أن يتكرر الزمن وتظل واحدة وترحل الأخرى أو يحدث كارثه أكبر فريا لن تهدأ أبدًا!"

نظر له محمد بتساؤل ليكمل:

"ريا أرت ليلي إخوتها عن طريق الساعة، وإختارت أن تريها إياهم في الوقت الذي غضب به أخيها إبراهيم ذاك وأخرج كل البشاعة التي بداخله، كنت أنا في دورة المياه، لم تكن تعلم ريا ولا ليلي، وأنا لم أكن أتسلسل أو غير ذلك، لقد جئت لريا قبل مجيء ليلي، وكانت ريا في الشرفه لذا دخلت دورة المياه، وبعد سماعي لما فعلت ريا خرجت كالمجنون وأغلقت الساعة، يمكنني أن أقول أن ليلي يمكنها أن تصبح مريضه نفسية بعد ما قاله أخيها وسمعته هي، كان الله في عونها على تجاوز ذلك يا سيدي."

"هذا كثير، تلك الساعة تفعل كل ذلك!"

ردد مُحمد باندهاش ليكمل أطلس بتروي:

"هذا ليس كل شيء يا سيدي."

نظر له محمد بعدم فهم ليكمل ما جعل بؤبؤا عينيه يتسعا حقًا:

"تلك الساعة مع كل قدوم أو رحيل تُحدث خللاً بالعالم"

"ماذا تعني؟"

"مع كل عودة بالزمن تحدث كارثة بالمستقبل، ومع كل ذهاب للمستقبل تحدث كارثة بالماضي، من الصعب إدراك كل ما يحدث مع كثرت القدوم والذهاب ولكن

هذا شيء متأكدين منه تمامًا فقدوم أمي لأول مرة أدى لحدوث الحرب العالمية الأولى، انت لن تعرفها، تلك الحرب ستحدث بالنسبة لنا في المستقبل عام ١٩٠٤ ولكن بالنسبة لعالم ليلى هذا في الماضي، لولا قدوم أمي لما حدث هذا الخلل بالزمن الذي جعل طالب صربي يدعى غافريلو برينسيب يطلق النار على ولي عهد النمسا فرانز فرديناند مع زوجته فظنوا أنها حادثة إغتيال وحدثت الحرب العالمية الأولى!

كل الأقاويل تقول أنها لم تكن مقصودة وأن ذلك الفتى كان في تلك اللحظات يتمرن على إطلاق النيران في مكان خاص ولكنه إختفى فجاء وظهر أمامهما ليقتلها!، وكل ما علمناه بعد ذلك والتوقيت المماثل لظهور أمي أكد لنا هذا، تلك الحرب دمرت الكثير يا سيدي، الكثير جدًا!"

"إذًا انت تعني أن تلك الإنتقالات، قد سببت كوارث ربما مسبقًا بالنسبة لنا أو حتى ماضيًا، ولكنها سببت شيء ما سيء جدًا!"

"بالفعل، ونحن علمنا كل تلك المعلومات من ريا وما درسته في المستقبل، وقد أكد أبي قبل وفاته أنه كان يدرك بطريقة ما أن هناك خللاً سيحدث!"

"أو ربما كان يعلم بالفعل بأن هناك آثار مُدمرة ناتجة عن الإنتقال والعودة ومع ذلك لم يهتم!"

كان إتهام واضح أفحم أطلس وهو جالس أمام محمد علي، صمت الآخر مُحدقًا بمحمد علي، قبل أن يضع يديه على الطاولة مردفًا:

"ربما.. لطالما كان أبي غامضًا، لقد علقت عدم اهتمامه بي وسوء تغذيتي وإهمالي وكل ذلك على عذر أنه مكتئب بسبب رحيل أمي، ولكن جزء ما بداخلي.. لا يستطيع تجاوز ذلك أبدًا، فالفقد لم يكن بيدي حتى يُعاقبني هكذا!"

نظر أطلس الى النافذة الكبيرة بجانبه مُجددًا، وقد عمّت لحظة سكون شعر بها أنه أفصح أكثر من اللازم، و شعر أيضًا بالثقل يخف من على صدره، وقد إترف لأول مره، بعدم مسامحته لأبيه بطريقة ما!

"انت رجل جيد، تأكد أنك هكذا حتى إن لم يكن أبيك هكذا، وأعدك بأن مُنذ تلك اللحظة، أنني سوف أقوم بتأمين لك حياتك مستقبلاً تمامًا انت وأختك على الرغم من وقاحتها، وسأحاول تعويضكم عن كل ذلك، سأعتبرك مثل أبنائي أم لأقول.. مثل أبي؟"

ردد الأخيرة بضحك فهو في النهاية حينها لم يبلغ بعد الأربعين وربما يكون أطلس ضعف عمره لبيتسم الآخر مرددًا:

"شكرًا لك مولاي"

نظر له مُحمد وكاد أن يردف شيئًا حين تفاجأ بصوت حسن باشا يُردد بفزع لأحد أمام باب الغرفة:

" أسمعت ما سمعته!، يقولون أننا أوشكنا على الموت!، لقد إختفى برج إيقل يا عثمان! "

الحرب العالمية الاولى قامت بسبب اغتيال مقصود ما ذكر لم يكن الا من وحي خيالي وهكذا حادثة اختفاء برج إيقل التي انهيت بها الفصل.



وهنا رمق كُلاً من أطلس ومحمد علي بعضهما قبل أن يُرددا بنفس التوقيت:

"الساعة!"

الفصل الرابع عشر

"الساعة"

"ليلي انتِ بخير؟"

رددت بسملة بخوف فور أن رأَت ليلي وحالتها المزرية تلك ولكن الاخرى لم تجبها مُتجاهله إياها وهي تتمدد على الفراش لتردف الاخرى مجدداً وهي تقترب من ليلي:

"ليلي، ليلي ردي عليا، اي حصل أمينة هانم كانت بتدور عليكي هنا من شوية، ليلي ردي عليا ليلي"

همست الأخرى بتعب شديد:

"أنام، محتاجه أنام بس، بكره هقولك"

ولكن الاخرى لم تصمت، ظلت تحدثها وتعيد وتكرر نفس السؤال، ولكنها صدمت فور أن صرخت ليلي على حين غره:

"خلاص يا بسملة خلاص!، أرجوكي انا محتاجه أقعد لوحدي شويه، محتاجه بس أنام شويه، اديني فرصة يا بسملة اهدى اديني فرصة!"

وقفت ليلي وكادت ترحل لئتمسك بسملة يدها مردده بضيق يشوبه الحزن:

"هو أنا كل أما أكلمك تسيبيني محبوسه هنا في الأوضه وتمشي؟، ليلي قدرني إني هنا لوحدي، انتِ تعرفي أغلب اللي هنا لكن انا لأ، دأنا بكلم نفسي يا ليلي من كتر ما

بتغيي عليا، وأنا كنت هموت من الجوع واتحرجت أطلع بره أوضتي واستنيت لما
تيجي، ليلى انا زهقت من كتر منا لوحدي، انت معايا أكلك مش معايا!"

"طب هنتكلم بكره، أوعدك هكلمك بكره"

ظنت بسلمة أن ليلى تتجاهلها مُجددًا لذا أردفت بغضب:

"لا هنتكلم دلوقتي!"

ولكنها وضعت يدها على فمها بصدمة شديدة فور أن صرخت ليلى... صرخت ليلى
بأعلى نبرة لديها حتى كادت تصم آذان بسلمة!، وفجاه، إنهارت ليلى جالسة على
ركبتيها أرضًا، وأخذت تبكي بصوت مُرتفع، مُرتفع جدًا!

".. ليلى!، .. انا مقصدش.."

صممت وقد امتلئت عينيها بالدموع من ذاك المشهد الصعب، هي وللمرة الأولى في
حياتها ترى أحد يبكي بتلك الطريقة!

جلست الاخرى وأخذت تربت على ظهر ليلى، هامسه كل دقيقة:

"آسفه.. آسفه.. انا آسفه.. انا آسفه.. آسفه.. آسفه"

في حين الأخرى أخذت تبكي بقوة شديدة حتى أنها لم تأبه بإقتحام ميسيليا الغرفة
فور أن أبلغتها احدى الخادمت أنهما سمعت صوت صراخ من غرفة ليلى، جلست
ميسيليا مثل بسلمة بجانب ليلى، وأخذت تُحاول تهدئتها ولكن الأخرى وضعت
يديها على أذنيها وأخذت تبكي، وهُنا التفت ميسيليا وبسلمة مندهشين فور أن وجدوا
ريا تدخل الغرفة فجاه!

نظرت ربا لحالة ليلي تلك وقد إغرورقت عينيها بالدموع ، جلست على ركبتها هي الأخرى مُتجاهله نظرات ميسيليا الكارهة فهي تعلم أنها سبب حزن ليلي ونظرات الدهشة من بسلمة التي تراها لأول مرة!

"ليلي.. ليلي اهدى عشان هخليكي تشوفي أخواتك!"

وهنا توقفت ليلي عن البكاء، أزالتي يديها من على أذنيها، ونظرت لها بعينين حمراوين كالدماء، قبل أن تصرخ بسلمة فزعة اثر تلك الدفعة القوية التي دفعتها ليلي لريا ، قبل أن تصرخ:

"إطلي بره، إطلي بره!"

صمتت الأخرى بصدمة شديدة، كانت تلك المرة الأولى التي ترى بها أحد بتلك الحالة، إستغرقت دقائق لتستعيد رباط جنسها، وهنا أخرجت الساعة من جيب معطفها الذي كانت ترتديه، من ثم قامت بالضغط على شئ ماء، وعلى حين غره أمسكت يد ليلي بقوة التي كادت تدفعها ولكن الأخرى قامت بوضع الساعة بيدها بسرعة شديدة وهنا ظهرت الشاشة الزرقاء لتظهر غرفة زكريا وقد ظهر هو أمام الساعة يجلس على مكتبه على إضاءة «أباجورة» صغيرة في حين على الجبهة الأخرى ينام أحمد على السرير السفلي والعلوي فارغ!

لم ينتبه لها زكريا في البداية، هو لم يكن حتى يدرس، كان فقط يُحرق في الحائط أمامه وقد علقته الكثير من الصور له ولعائلته ولمعطف أبيض وسماعة الأطباء والكثير والكثير من الملاحظات التحفيزية!

ابتسمت من بين دموعها، فلطالما كانت تُحب النظر إلى تلك الخلفية التي صنعها هو ببساطة لساعات دون ملل، وبدأت تهدأ وتيرة أنفاسها مجددًا، في حين كانت الفتاتان تحدقان أيضًا بصدمة كبيرة وذهول، بينما ربا قامت بالإنسحاب من الغرفة..

لم تكن الفتاتان تظهران من الساعة، ولكن على الرغم من ذلك كانوا يرون كل شيء كما ليلى، التي أخذت دموعها تنساب بهدوء شديد وهي تراقبه بصمت، وكأنها سئمت الحديث، وحتت إلى ملامح أخيها فقط!

شعر زكريا بعد حين ب ليلى عندما أفاق من شروده بضوء يصدر من جهة «الكومودينو» الذي يوجد بجانب السرير، وهُنا نظر بعدم فهم، لوهلة لم يستوعب ليعود وينظر أمامه، ولكنه فجاء قفز من مقعده مرددًا بصراخ:

"ليلى!"

ابتسمت من بين دموعها التي أضحت أكثر غزارة قبل أن تضع إصبعها على فمها كإشارة لالتزامه الهدوء مُرده:

"شششششش"

إقترب هو من الساعة وانحنى ليجلس على ركبتيه حتى يضحى وجهه أمام الساعة هامسًا بابتسامه مُتسعه جدًّا:

"انت وحشتيني أوي، ليلى حياتي وقفت من غيرك!"

لم تستطع هي أن تنبس ببنت شفة، أخذت دموعها تهطل فقط بدون توقف وزكريا يكمل بدموع هو الآخر:

"أنا اكتشفت قد اي بحبك بجد، ليلي انت مكنتيش أختنا، انت كنت أمتنا وأختنا
وصاحبتنا و.. بنتنا!"

حاولت التحدث هي لتهمس بصوت مبوح:

"ع.. على نايم فين؟"

"هقولك بس متزعفيش وأوعديني متضريش علي لما تيجي"

ضحكت رغماً عنها من بين دموعها ليُكمل الآخر بدموع:

"في أوضتك، علي مش بينام غير في أوضتك من ساعت لما اختفيتي"

وهنا وضعت هي يدها على فمها لتشهق بقوة، أخذت تبكي بقوة وهي تضع يدها على
فمها حتى لا تصدر صوتاً مرتفعاً ويستيقظ أحمد، وهنا إزدادت دموع زكريا مردفاً
بحنان بليغ وهو يضع يده في الشاشة وكأنه يحاول لمس أخته:

"حبيبتي، خلاص يا غالية.. خلاص متعيطيش بقي عشان هعيط انت عارفه قلبي
مش بيستحمل.. خلاص بقي يا لي لي عشان أصحيلك الواد أحمد ده هيطير من
الفرحة لما يشوفك، لو تعرفي بس أحمد عيط ازاي وعمل اي لما اختفيتي!"

حركت رأسها سريعاً بمعنى لا قبل أن تحاول أخذ أنفاسها مردده بصوت مُجهد:

".. لأ، اوعى تصحيه، ومتقولش عشان خاطري لحد أني كلمتك، مش حابه لما
يشوفوني يشوفوني كده بالحالة دي، أنا لما أهدى هكلمكوا تاني، بس أهم حاجه
متقولش إنك كلمتني"

أوماً هو بتفهم قبل أن يبتسم بهدوء ليُردد:

"بس أول مرة يعني أعرف إن لما حد بيرجع بالزمن بيحلو كده!"

ابتسمت لثُردف بغمزه:

"يا زكريا نيحي اي احنا في حلاوتك، اسكت، يا رتني كنت شبهك بشعرك الأصفر ده"

ضحك بهدوء، وفجاه سمعت صوت يُردد بنعاس شديد:

"انت اتهبلت ولا اي يا زكريا.. وطى صوتك ده مش عارف أنا.. وبعدين انت بتكلم نفسك ولا اي!"

دمعت عينا ليلي بحنين شديد، قبل أن تشير هي بيدها اليسري بمعنى وداعًا، واضعة يدها على الشاشة الزرقاء لتختفي سريعًا قبل أن يُكمل أحمد حديثه.

"ليه؟.. ليه يا ليلي مكلمتيش أحمد ليه؟!"

نظرت ليلي لبسمة بدموع مُردده:

"أنا وجعت قلبه بغباي لما اختفيت مع محمد علي واتصرفت من دماغي وجبت الساعة لوحدي، فمش هوجع قلبه تاني لما يشوفني بالحاله دي، ابقي كويسه بس وهكلمه"

"إنه وسيم جدًا!"

رددت ميسليا لتبتسم ليلي مُردده ببعض المزاح:

"لا أسمح لكِ بمعاكسة أخواتي لوسمحتي، مش في الأول كنتِ بتقولي على أحمد بطل الأبطال وبتاع، مينفعش كده يا أنسة ميسيليا أها!"

ابتسمت ميسيليا قبل أن تتفاجأ بها ليلي تقوم بإحتضانها بقوة هامة في أذنها:

"ظننتك أصغر من كل ذلك، ولكنك مختلفه يا ليلي، انت قوية، قوية جدًا على الرغم من جهلك بذلك، وستتجاوزين كل ذلك، ستعيشين حياة سعيدة صدقيني، وأعلمي أنني سأحزن كل الحزن عند رحيلك، ولكني أحب أن تكوني سعيدة حتى لو حزنت انا! وإخوتك يعشقونك، انظري لنصف الكوب الممتلى، يكفي أربعة إخوه يا جشعة!، لا احد يملك كل شئ بتلك الحياة، ولو أخذ منك الله شئ فهو أعطاي أشياء كثيرة عوضًا عنها، صدقيني ليلي، لقد أعطاي الله مقابل أخذه، حتى لو كان جمالاً أو ذكاء أو حب، يكفي أنه أعطاي وسيعطيكي مُستقبلاً، افهمي ذلك جيداً عزيزتي الصغيرة"

تهدت ميسليا وهي تبتعد قبل أن تردف وهي تضع يديها على كتفي ليلي رامية إياها بنظرة ذات مغزى:

"كوني بخير ليلي.. كوني بخير!"

ابتسمت لها ليلي هامة:

"شكرًا.."

أومأت لها ميسيليا بحب، قبل أن تقف مجددًا مردفه بمزاح وهي تخفض رأسها باحترام:

"عن اذنكن سيداتي الأميرات"

وقفت كلاً من ليلي وبسملة لتمثل ليلي أنها تُمسك بطرفا فستانها الوهمي منحنية وقد فعلت مثلها بسملة مُردين بضحك:

"تفضلي أيتها الأميرة ميسيليا"

ليضحكن ثلاثتهم قبل أن تردف ليلى على حين غُره:

"هموت وأنام، هموت وأنام يا جماعة هموت وأنام"

وبينما هي تمازح ميسيليا و تدفعها بيدها التي بها الساعة قامت بصدمها بالحائط بدون قصد منها!

شهقت الفتيات بقوة فور أن شع ضوء ذهبي قوي جدًا جدًا قبل أن يبدأ الضوء بالإختفاء تدريجيًا ليظهر «الكومودينو» الخاص بغرفة زكريا أمامهم في منتصف الغرفة!

"اي ده!"

رددت بسملة بفرع لتهمس ليلى:

"... ده الكوميدونو بتاع زكريا!..."

نظرت الثلاث فتيات لبعضهم بدهشة كبيرة قبل أن يعودوا لينظروا إليه بشرود.

"يبدو زوقه رفيع، والدتك كانت ذات زوق مميز"

نظرت لها الفتاتان، قبل أن يغرقوا في هستيرية ضحك، كل منهن تضحك بشعور مختلف، واحده تضحك إشتياقًا لوالديها، والأخرى تضحك تذكرًا لكلمات إبراهيم، والآخرى تضحك وقد بدأت تشك أنها في فيلم خيالي، أو انها انتقلت لعالم آخر غير حقيقي!

نعم.. كما نبكي ألمًا ونبكي شوقًا ونبكي سعادة

نحن نضحك ألماً ونضحك شوقاً ونضحك سعادة

وها هي الحياة تسير ولا تتوقف.. لا تأبه بمتألم كنت أم سعيد

هي فقط تركض.. وتتالى الأحداث وتمر الأوقات.. فإن لم تتداركها

فانت الخاسر الوحيد!

قاطع ذلك الضحك الهستيري إقتحام كلاً من أطلس ومحمد علي وريا الغرفة بفرع،
ليرمق كلاً منهم الآخر بعدم فهم، قبل أن ينتبه محمد علي الى «الكومودينو» مردداً
بإرتباك:

"ما.. ما هذا ليلى؟؟، أشعر أنني رأيتة من قبل!"

"من غير قصدي خبطت الساعة فظهر الكومودينو بتاع زكريا أخويا"

"ماذا!"

رددت ريا بصراخ:

"أيتها الغبية الفاشلة كيف يمكنك أن لا تأخذي حذرك سوف تدمريننا بغبائك"

"لا أسمح لكِ بالتحدث إليها هكذا يا ريا"

ردد محمد علي بصرامة مكماً بحدة:

"تلك الغبية الفاشلة مرتبتها في ذلك القصر أعلى منك، أنا جعلت تلك الغبية الفاشلة
تُعامل كالأميرات منذ أنت في حين أنك هنا مجرد ضيفة وقحة قامت بأذية أصحاب

مكان ضيافتها وتستحق الطرد!، مُنذ تلك اللحظة لن تقولي ل ليلي وصديقتها سوى
الأميرة ليلي والأميرة بسملة أتفهمين!"

حدقت ريا بمحمد علي مصدومة، قبل أن تتفاجأ به يُردد بحدة أكبر:
" أتفهمين! "

ابتلعت ريقها بصعوبة مردده بصوت مُنخفض وهي تنظر لأطلس الذي ينظر أرضًا
بغير اكتراث:
"أ.. أفهم"

رمقت هي ليلي مردده:

" أعطني تلك الساعة يا سمو الأميرة ليلي "
ولكنها صدمت تمامًا فور أن أكمل محمد:

"لن تذهب تلك الساعة الى أي مكان، تلك الساعة ستظل مع ليلي وهي من حق
ليلي، فقط ستعطيني إياها ليلاً قبل أن تخلد للنوم حفاظًا عليها ومع بداية اليوم لن
يمسها أحد غيرها"

"أنت ماذا تقول يا هذا.."

قاطعها أطلس مرددًا بحدة:

"جلالة الملك، فكري قبل أن تتحدثي، غير أنه لا يقول سوى الحق"

رمقت ريا أخيها بعدم تصديق مردده بحدة:

"أطلس ماذا تقول انت الآخر!، لقد تركت الساعة معها خمسة عشر دقيقة وانظر ماذا حدث!، أطلس تلك ليست لعبة من سيملك الساعة، أطلس تلك الساعة تتلاعب بحياتنا جميعًا!"

"على قدر معرفتك انا أعرف، لا تنشغلي كثيرًا بذلك الأمر " نظرت ربا له بانهزام قبل أن تضرب الأرض بقدمها عائده لغرفتها.

وهنا نظر محمد علي بابتسامة بشوشة لكلاً الفتاتين مرددًا:

"انتن مشاغبات جدًا أكثر مما إعتقدت يا سمو الأميرات!"

نظرت له ليلي بابتسامة ممتنة، في حين كانت بسملة تشعر حقًا أنها بحلم ولا تصدق ما تسمع!

"هل يمكنك أن تعطيني الساعة حتى أقوم بالكشف عليها يا سمو الأميرة؟، فلقد اختفى برج إيقل نتيجة لإظهار تلك القطعة الخشبية!"

ضحكت ليلي من طريقة تحدث أطلس معها الجديدة وظنت أنه يمزح فأعطته الساعة وهي تنحني مثل الأميرات مردده:

" لا مشكلة أبدًا، ولكن أرجوك اكذب بطريقة أكثر واقعية "

ضحك محمد علي مُتمتمًا:

"لقد عاشت حقًا أجواء الأميرة وبدأت التحدث مثلنا أيضًا!"

في حين أردف أطلس بجديّة:

"ولكني لا امزح يا أميرة، لقد إختفى برج إيقل الآن جراء خطأ إحضار القطعة الخشبية!"

"إي!!"



"أنا آسف يا أحمد.."

لم يُزيح الآخر نظره من على الارض، وقد كان يجلس بجانب إخوته، بعد أن اجتمعوا جميعًا لأول مرة مُنذ زمن جالسين بأمر من وائل.

"أنا بعترف إني غلطت في حقك، بالذات إنك اللي كنت شايل ليلي لوحداك لسنين كتير وشايل مسؤوليه انت مش مجبر عليها لوحداك أصلًا!"

صمت لُبرهه قبل أن يردف:

"خلاص بقى متزعلش"

"ولا يهملك"

ردد أحمد بهدوء مُصاحبًا لبسمة صغيرة جدًّا، في حين توجه بانظاره لذكريا مرددًا:

"وانت يا عم زكريا، عايزينك دكتور كده زي وأحسن بأمر الله، ركز في مذاكرتك، وشيل عن نفسك عبي إختفاء ليلي، احنا كُنا بدون استثناء كان لينا ايد في ده"

لم يُجبه زكريا، فتنهد هو ناظرًا ل علي لُيرد علي بود:

"أنا فل، وانت أبويا أصلاً مبزعلش منك، نرجع بس ليلي، وهبقي كويس وكل حاجه هتتظبط والله"

ابتسم الآخر بهدوء قبل أن يرمق إبراهيم الذي يجلس بحرج شديد مُطالِعًا الأرض وقد كانت عيناه مُتورمة قليلاً ليقول:

"الأوحش من الغلط اننا منتعلمش منه، والأوحش من إننا نزعل حد إننا منراضيهوش ونحاول نجبر بخاطره تاني سواء بأفعال أو بكلام، والأوحش من إننا نحس إننا وحشين إننا منحاولش نحسن من نفسنا، والأوحش من إن ماضينا يبقى سئ إن مستقبلنا كمان يبقى سئ.. ماشي يا رجاله؟"

نظر له إبراهيم بامتنان، قبل ان يومئ له وقد فهم أن وائل يوجه له الحديث، من ثم جمع شتات ذاته ليردد:

"أنا بعذر ليكو لككوا، أنا آسف، فعلاً آسف"

لم يُجيبه أحد، كانوا مجروحين جدًّا إثر كلماته عن ليلي أكثر من ليلي ذاتها، ولكن علي ردد على حين غُره:

"لو ليلي قبلت اسفك هنقبل اسفك، في النهايه مهما بلغ زعلنا مش هيبقى زيها"
وهنا تحدث وائل مرددًا بحسم:

"ندخل بقى على الأهم، ليلي هترجع ازاي؟، أكيد في طريقة نرجعها بيها، أو حتى نقدر نتواصل معاها تاني زي ما هيا اتواصلت معانا!"

"أنا كنت هجرب امبارح أي حاجة في الساعة جازي أقدر أخلي الشاشة دي تظهر زي امبارح، بس بصراحه خوفت أختفي أنا كمان وتبقى مصيبة أكبر، لإن أصلًا احنا مش ضامين لو اختفيت هروح لمكان ليلي ولا هروح فين!"

"معاك حق يا أحمد، دي مشكلة أكبر، خوفنا إننا نلعب في الساعة، غير كده ممكن لو لعبنا فيها ده يمنع إن ليلي ترجع، أو يغير حاجة، بس تفتكر هي عندها أداة اي قدرت توصل بيها للساعة اللي هنا؟"

فكر الجميع في إجابة على سؤال وائل، ليرد إبراهيم بتشوش:

"ممکن مثلاً لابتوب أو حاجة تشبه اللابتوب في عصر محمد علي باشا ليها علاقة بالساعة؟"

نظر الجميع سريعًا لذكريا الذي أضاف بذكاء:

"أو ساعة تانية!"

"ساعة تانية؟"

ردد علي بعدم فهم ليكمل ذكريا

"الي عمل ساعة بتنقل عبر الزمن يعمل التانية عادي"

"طب لو هو عمل واحده ونجحت هيعمل التانية لي!"

"ما ده معناه إن الواحدة دي منجحتش أصلًا!"

نظر الجميع لإبراهيم ليكمل:

"بس لو منجحتش ازاي جت هنا، أو ازاي اللي هناك هي اللي اتواصلت مع اللي هنا
لو اللي هناك هي اللي منجحتش؟!"

فأضاف زكريا مجددًا وهو ينظر لإبراهيم باستنتاج:

"أو يكون الاتنين مش بينجحوا غير مع بعض!"

فكر وائل لُبْهة، قبل أن يبتسم مرددًا:

"مفيش اي تفسير غير ده، براقو عليك يا زكريا"

ابتسم الآخر بهدوء ولكن أحمد ردد بعدم فهم:

"ايوه يعني الاستنتاج ده هيفيدنا في دلوقتي؟"

"على الأقل عرفنا ازاي اتواصلت ليلي معانا"

"مفيش حاجه مؤكدة لسه كل دي استنتاجات ملهاش أصل من الصحة!"

كاد وائل يجيب أحمد ولكنه صمت اثر ذاك الدق القوي على باب المنزل، دق ماذا،
يمكننا القول تحطيم، محاولة إقحام، هكذا، ذاك الدق حينها لم يكن مجرد دق
لأحد يريد الدخول!

وقف وائل مُتَجَهًا بسرعة لباب المنزل، الذي فور أن فتحه صُدم مما رآه!

"وائل محمد ياقوت هنا؟"

"ايوه يا فندم ده أنا، خير في حاجه ولا اي؟"

"مطلوب القبض عليك بتهمة خطف الشابة بسملة خالد الرفاعي"



كان زكريا مُتوتّرًا جدًّا فوق المُعتاد، حتى أنه أصر أن يجلس هو بالساعة في المنزل ولكن أحمد رفض إعطائها له، وركض خلف أخيه.

إنتصف النهار، وأخذت الشمس تسدل ستائرهما مُقررة إنهاء ذاك اليوم الصادم، خاصتًا بعد أن تشاجر إبراهيم مع خالد والد بسملة وقام خالد بلكمة بقوة صائحًا بأنه ليس من قام بذلك البلاغ بل والد زوجته فهو لا يصدق ولا كلمة عن محمد علي وغيره.

قاموا بتعيين محاميًا والذي أخبره بطريقة غير مباشرة أن وائل لن يخرج مادامت بسملة مُختلفية، في حين حاول أحمد ترجي خالد ولكن الآخر همس له بما جعل عينيه تدمع حزناً:

" مراتي بتموت.. حالتها كل مدى بتسوء.. حياتي أنا ووالدها ووالدتها وبنتي متوقفه عليها يا أحمد، هي لو ماتت كل اللي قولتلك عليهم دول هيموتوا!"

" ما احنا برضو مش هنعرف نجيب بسملة، احنا اصلا مش عارفين لسه بسملة فين!"
"للأسف.. مفيش حل لحد ما بنتي تظهر"

نظر حوله بغصه كادت تخنقه.. بصراحة.. بل بكل صراحة.. لقد تعب.. حقًا لقد تعب من كل هذا، إنها كالحلقة النارية التي كل مدى تلتف أكثر حول عنقه!، الأسوأ مما يحدث الآن هو عدم قدرته على فعل أي شيء!، يشعر أنه ضعيف، مُقيد، مُجهد، والأسوأ يشعر أنه... سئم!

سئم كل تلك المصائب والمصاعب التي أنت دفعة واحدة، لقد إختنق.. حقًا لقد إختنق!

القي مفاتيح المنزل على الأرض بعنف فور أن دخل، حتى أنه دخل بحذاءه لأول مرة، فهو أكثر من يهتم بنظافة أرض المنزل، جلس على الأريكة ليضع يده على جبينه مُغمضًا عينيه بارهاق شديد، وقد تباطأت أنفاسه.

"يعني اي.. يعني اي مش هيطلع إلا لما بنته تظهر!!"

ردد علي بإنفعال الذي كان بالمنزل ينتظرهم وهُنا أضاف زكريا بصوت منخفض:

"دي كارثة.. احنا حتى منعرفش بسملة معاها ولا لأ.. ولو معاها.. هنجيبها ازاي؟! "

وكانها جاءت فور ذكرها، تفاجئوا جميعًا بصوت ليلي يأتي من جيب بنطال أحمد يُردف:

"اي يا شباب السواد ده كله!"

نظر أحمد بصدمة لزكريا المصدوم أيضًا ظننًا منهم أنها تتحدث عن إلقاء القبض على وائل ولكن في الحقيقة هي لم ترى سوى اللون الأسود اثر وضع أحمد الساعة في جيب بنطاله الأسود الذي فور أن أخرجه رددت بمرح:

"ياااه أخيرًا السواد راح ونبدأ نشوف الوجوه الحلوه بقي"

ابتسم رغمًا عنه فور أن رآها، ولكنه أعطى الساعة سريعًا لزكريا فقد أدمعت عينيه بدئس، هو حقًا إشتاق لها، انه يبكي إشتياقًا لها!

"اي أحمد مش عايز يشوفني ولا اي؟"

كاد ينطق زكريا عندما هجم علي على الساعة مرددًا:

"انتِ يا بت معندكيش blood؟، أحمد أحمد مفيش علي؟، يا خسارة توصيلي ليكي كل يوم المدرسة!"

ضحكت بشدة مردده بحب:

"دانت الغالي يا علي والله، بس مش أعلى من أحمد يعني، انت الغلاوة كده بالترتيب حسب سنكوا"

لمحت هي إبراهيم كان يحاول استراق النظر إليها بدون أن يظهر ولكن فشل لذا توتر صوتها مردده بتراجع:

"يعني الأول أبيه وائل وبعدين أحمد وهكذا"

ابتسم إبراهيم بوجع، ماذا كان ينتظر منها؟

وهنا أنقذ الوضع هدوء أحمد وإزالته لآثار دموعه، ليأخذ الساعة مرددًا بحنان بليغ:

"انتِ كويسه يا ليلي؟، بتاكلي حلو يا حبيبتي؟، اوعي تكوني ناسيه صلاتك!"

فتر وجه ليلي.. الصلاة.. ذاك النور المُشع الهادي المؤدي للراحة.. كيف غفلت عنه مُنذ أتت!، ربما لأنها لم ترى أحدًا يصلي أمامها فيذكرها!، ولكن حقًا كيف؟.. كيف تجرأت وغفلت عن ذلك الركن العظيم؟!

"شكلك مصلتيش، ده اللي أنا مرببكي عليه برضو؟، ربنا شايفك في كل زمان ومكان يا

ليلي!"

ابتسمت هي بحب شديد مُردفه:

"حتى نصايحك وحشتني، معاك حق، كويس إنك ذكرتني، ومن ناحية الأكل يا أحن أخ وصاحب وكل حاجه أنا فل، دول مش بياكلوا فرخه زينا وكده، دانت تلاقي دسته فراخ كده ما شاء الله، بيجيلي بالعشرين صدر وخمسين ورك"

ضحك الآخر بشدة مُتناسيًا همومه، حتى أن إبراهيم ضحك رغماً عنه ولكن ليلي لم تنتبه، أكثر من انتبه كان علي الذي كان يرمقه بضيق شديد وكأنه عدوه، لتُكمل الأخرى:

"القصر بتاع محمد علي فضيع، فضيع بجد يا أحمد، بص حتى الجمال استنى أوريك"
أخذت تحرك الساعة بتروي ليري حقًا غرفة فائقة الجمال مع مفارش ملكية حقًا لتُكمل:

"بصراحه بقى لبسهم معجبنيش، كله حاجات قصيرة وغريبة كده، عايزه انجلينا جولي مش العبد لله"
ابتسم مرددًا بفخر:

"جدعه يا ليلي، الثبات على المبدأ أهم من المبدأ نفسه، تأكدي إن ربنا هيجازيكي على ثباتك ده، ربنا يهديك"

"امال فين أبية وائل؟، ده واحشني فوق الوصف"

توتر أحمد قليلاً قبل أن يردف سريعاً:

"راح يقابل الدكتور حاتم عرفاه؟، انتِ عارفه هما صحاب من زمان وكده فقال
هيقعد معاه شويه"

لم تشعر الاخرى بأنه يكذب بل ابتسمت ورددت:

"يروح ويتبسط، نور بلده، شوفتوا بقى إن محدش يقدر يجيب كيرنا غير الصغنى"
ابتسم لها مُتذكراً كيف جاء وائل وكيف جرحه بكلماته قبل لكتمته، زالت ابتسامته
وشرد لدقيقة قبل أن تقاطعه ليلي مرده: "بالمناسبة، حكم بسملة صاحبتى الي
كنت حكيت ليك عنها هنا، جيت معايا العصر ده معرفش ازاي، بس هي ظهرت يوم
لما انا ظهرت حتى مش في نفس المكان"

نظر لها الآخر سريعاً بصدمة، قبل أن تتفاجأ بكل الآخرين عدى إبراهيم يحاولون
النظر من الشاشة قبل أن يُردد زكريا:

"هي كويسه؟"

رددت باستغراب شديد:

"اه.. غريبة يعني بتسال لي؟"

كاد يُخبرها علي بدون قصد أن وائل سُجن ولكن قاطعه أحمد الذي أردف وهو ينظر
له بحدة:

"أصل سمعنا إن أهلها قالبين الدنيا عليها، طب بقولك اي يا ليلي، متعرفيش بكره
تتصلي وتخلي بسملة تكلم عيلتها؟"

أومأت سريعاً مُرده:

" لا طبغًا أعرف "

تنهد الآخر بابتسامة كبيرة في حين غمر شعور الراحة الجميع..ها هو سبيل النجاه قد
ظهر!

"مش هتسألوني بقى بكلمكوا ازاى؟"

أردفت بمزاح ليُردف أحمد بإرهاق:

"اه طبغًا معاكي، انتِ لازم تحكيلى كل تفصيله حصلت من أول لما مشيت انا وجيتي
انتِ بالساعة لحد اللحظة دي"

ابتسمت مردده بتنهد:

"يااه يا ريته كان ينفع بس للأسف على حسب اللي قاله ليا السيد أطلس.."

قاطعها علي مرددًا:

"مين أطلس!؟"

"متقاطعهاش هنعرف بعدين"

أضاف زكريا بضيق لتبستم ليلي مردده بنيره ذات مغزى:

"السيد أطلس هو وأخته السيدة ريا هما أصحاب الساعتين اللي معاكوا واللي في
أيدي دلوقتي، والسيدة ريا دي هي اللي قدرت تخليني أتواصل معاكوا دلوقتي وقبل
كده، وبجد هي مشكور، سمعتني المحادثة كاملة لا ناقصة حرف ولا زايدة حرف،
بس عارفين اي يضحك، الكلام كان بيتقال بالعربي وكده بس كنت حاسه اني مش
فاهماه، أكن بتفرج على مسلسل تركي ومش مترجم ولا مدبلج"

قالت الأخيرة بنبرة ساخرة ليظهر هنا إبراهيم مرددًا ببعض الحزن:

"لوسمحتي خلينا نتكلم يا ليه.."

قاطعته حينما نظرت لأحمد مردده بتجاهل تام وتوتر حل عليها:

"هقفل دلوقتي يا أحمد عشان مشغولة، إن شاء الله في وقت تاني هكلمك، هلكمك

انت تمام؟، مع السلامة"

وما كاد ينطق أحمد حتى إختقت الشاشة الزرقاء.

"تفتكروا ممكن تسامحي في يوم؟"

"سيبها على الله"

"مستحيل"

"بصراحه انت قسيت اوي في كلامك"

تنهد هو ليقف متوجهاً الى غرفته بضيق شديد، وقد أفحمته ردود إخوته.



"إخواتك بيحبوكي جدًا يا ليلي"

رددت بسملة على حين غره، بينما كانتان تجلسان وتتبدلا أطراف الحديث، مُكملة:

"طول عمري كنت بحلم يبقى عندي أخوات كتير، عشان أنا غالبًا وحيدته جدًا، بس

ماما كان عندها ظروف صحيه منعتها من ده، بصراحه.. بعد ما سمعت مكالمتك مع

زكريا، بيني وبين نفسي حسدتك عليهم، لو ده مش أطيب واحد فيهم امال الطيب
بيعاملك ازاي بقى!"

ابتسمت ليلي بمرارة مردده:

"ربنا يكفيكي شر فقدان والدك أو والدتك يا بسملة، ربنا مش بياخذ كل حاجه من
الواحد، بيسبيلنا حاجات نقدر نتسد عليها لما نقع"

ضحكت الاخرى بخفة وهمت لتمسك بيد ليلي مُردفه بمرح:

"كلنا في النهاية زي بعض يا لولو، انا عارفه ده، اتكلمت معاكي بصراحه أكثر من اللازم
صح؟، آسفه مقصدش أدايقك"

"انت بتضحكي على اي؟"

نظرت لها بسملة مردفه:

"عشان انا كنت مفكر اكي عرفتي خلاص وحفظتيني زي ما أنا حفظتك، يا عبيطه
انا عمري ما حسيت بشعور الحسد ده ناحية حد، طول عمري بشوف اللي قدامي
وأتمنى يبقى أحسن حتى لو أحسن مني، وعمري ما شيلت من حد، عادي يعني الدنيا
مش مستاهله، فتلاقي عندي تحت رضا كده مريحاني، وغير كده انا لو خيروني، عمري
ما استبدل حنان والدي عليا بكنوز الدنيا، بس أنا بتكلم في نقطة إن يبقى عندي
الاتنين، فاهماني؟، أكيد انتِ فكرتي كده قبل كده"

ابتسمت ليلي بهدوء، قبل أن تنظر لبسملة مردفه بنصح:

" متتكلميش كثير عن النعم اللي عندك عشان ربنا يحفظها ليكي، ربنا يخليك باباكي ومامتك ومتتحرمييش منهم أبدًا يا بوسي، ويخليي أخواتي، ويخليكي ليا برضوا! "

ضحكت بسملة مجددًا لتتجه مُحْتَضِنُه ليلي بحب وود و... نقاء!

في اليوم الماضي على الرغم من ذهول ليلي من كمية الأحداث التي مرت بها، بدايتها من اغماؤها في قاعة القصر، الى اختفاء برج ايقل، فقد يمر بذهنكم أنها سنوات مرت، ولكنه مجرد يوم، غيّر الكثير، فهي تدرك تمامًا انها ليست ليلي ذاتها قبل أمس، بل أنها شخص جديد تمامًا!

هكذا هي الحياة، تهدينا أيامًا خفيفة كالريح، تمر بدون أن نشعر، وتهدينا أيامًا ثقيلة كالجبال، ربما لتتغير، أو لحكمة خفية لا يعلمها إلا الله!

لا أقول تعطينا الحياة أيامًا.. بل تُهدينا.. فكل يوم جديد هو عطاء من الله وهبة يمنحها لنا ربنا ليغفر لنا، أو لتتوب، أو لتتقرب منه، أو لنفهم ما كنا نجهله.

غفت هي كما لم تغفو في حياتها بأكملها، غفت ولم تستيقظ إلا في الواحدة اليوم التالي، وكان هذا متأخرًا جدًّا على عادة القصر المُبكرة، ولكن محمد علي أمر ميسيليا بعدم إزعاج ليلي.

فور استيقاظها ركضت لمُحمد حتى تأخذ الساعة، وهُنا وجدته يجلس مع أطلس، ليقصوا عليها باختصار أنه وريا أصحاب الساعة ويعلمون عنها كل شيء

وللأسف يبدو أن تلك الصدمة التي صدمتها ليلي للساعة أمس قد أتلفت شيء بها، ولكنه وعدها بأنه سيحاول جاهدًا أن يصلح ما بها وطمئنها بأنه

سيحين عودتها الى عالمها قريبًا لا مُحالة!

ظلت تنتظر حتى جاء المساء ليعطيها الساعة وقد حذرها كثيرًا من خطورة التعامل معها، ظنت هي أنها ستستطيع التعامل مع إبراهيم كأن شيئًا لم يكن، ولكنها شعرت بقلبيها يخفق بقوة شديدة جدًّا، ولم تستطع تحمل النظر الى وجهه وقد تدفقت كل كلماته الى أذنها وكأنه يكررها بذاته، لذا أغلقت سريعًا وأخذت تبكي سرًّا قبل دخول بسملة الى الغرفة..

عادت بسملة للغرفة بعدها ليتحدثوا قليلاً، لم تحب ليلي أن تقص عليها مدى سوء أخيها ولا مدى سوء ما اكتشفته، وفهمت بسملة أن ليلي لا ترغب في الحديث عن ما أبكها هكذا بالأمس، لذا اطمئنت أنها اضحت بخير ولا تحتاج المساعدة وتركتها على راحتها.

"بسملة.."

همست ليلي على حين غره بينما تنظر بسملة للنافذة بشرود:

"نعم يا ليلي"

"ازاي.. ازاي بتعرفي متشيليش من حد، يعني لو حد أذاكي اوي بكلامه أو أفعاله، ازاي بتقدرني تنسي كل ده ومتشيليش جواكي وتعامله حلو كمان!؟"

"هقولك يا ستي الوصفة السحرية للراحة التامة!"

"الراحة؟"

رددت الأخرى باستغراب لتضحك بسملة مردده:

"يس!، الراحة.. طول ما انتِ شايله مش هترتاجي، هو ده اللغز!"

نظرت لها بتركيز لتكمل:

"بتخيل ان الشخص اللي أذاني ده و تعبانه منه بعد الشر مات "

كادت تنبس ليلي بشئ ولكن بسملة قاطعتها مُكمله:

"بشوف، لو لقتني زعلت جدًا لما تخيلت ده، أبدأ افكر كل الحلو، كله احاول مسيبش حاجه، وبعدين بقى أبدأ أقول لنفسي متزعليش، هو أكيد ميقصدش، الحلو أكثر من الوحش، وبعدين أنا أكيد اذيته قبل كده غصب عني ده طبيعي عشان احنا بشر!"

"لو بقى لقتني مش متأثره اوي، ممكن مش فارق أوي كمان، ده يا إما انا زعلانه اوي اوي من الشخص ده، يا إما انا مش بحب الشخص ده أصلاً، ففي الحالة دي بقول لنفسي، انتِ أصلاً مش بتحبيه، خلاص انسي، اعتبري انه كان درس بتتعلمي منه حاجه، وببدأ أنسى الفعل بالشخص "

رددت ليلي بتساؤل:

"طب في. الحالة الأولى، لو انا بحب الشخص ده، وسامحته، بس هو فعلاً بيأذيني وبيكرر الغلط، هتسامحيه برضو!"

اومات بسملة لترد ليلي بجزع:

"انتِ كده مش بترتاحي انتِ كده بتموتي نفسك يا بسملة!"

"انا بسيطة، بسيطة بس يا لولو، بحاول على قد ما أقدر مضخمش الأمور حواليا عشان انا صغنونة أصلاً مش هستحمل، فبعدي"

"بس انتِ كده هتوصلي لنقطة يتداس فيها عليكي يا بسملة، هتسيبي حد يدوس عليكي عشان انتِ بس صغيرة ومش قادره تاخدي قرار لا كفاية كده مش هكمل حتى لو بحب الشخص ده؟!"

نظرت بسملة الى النافذة مُجددًا مردده بهدوء:

"السلام.... بحب أعيش في سلام جوايا قبل برايا، ليلي.. انا نفسي أعيش في سلام يا ليلي، وعشان ده متحققش نظرًا لإن ماما جالها كانسر بعد ولادتي، بقينا في حروب من يوم ولادتي عشان ماما تاخد كيماوي، لا تتعالج، لا تروح من المستشفى دي لدي، جدو عشان ظابط كبير أوي طيب بس دايمًا بيتخانق مع بابا، الاتنين مش عندهم غلط، مشاكلهم دي بتبقى عباره عن انقلي بنتي الوحيدة من المستشفى اللي-هو- شايفها وحشه، في حين بابا فعلاً عمل كل الأبحاث اللي تثبت انها حلوه، جدو عايز يسفر ماما بره مصر بس ماما مش راضيه وبابا حابب يريحها فيفكر جدو إن بابا اللي مش عايز فيتخانقوا والخ

دي حياتنا عمومًا، ماما كانت جت فتره خفت فعلاً وخلص بقت تمام، ثم رجعتها بانتكاسه أكبر، انا أصلاً مش مستبعدة بعد اختفائي ده يكون حصلها حاجه، فده نفسه عامل معارك جوا نفسي يا ليلي، فكده لا انا عندي سلام جوا ولا بره، أي مشكله أي اذى أي حزن تاني مش هيجي حاجه في ده، فأنا بحل المشكله بسرعة كده وأرميها عشان انا مش فاضيه أسيب نفسي ليها!"

بدأت تتساقط الدموع من عينا بسملة، وفهمت ليلي أخيرًا ما بتلك الفتاة، وفهمت أيضًا أنها ليست الوحيدة التي تُعاني، ليست الوحيدة ذات المشاكل والصراعات والحزن والألم وأن هناك من حولها الكثير، حتى أنها يمكن أن لا تحتل أن تكون

بمكان أحد منهم في يوم، ف الله كما يُعطي الأرزاق للعباد بالعدل يعطي الإبتلاء بالعدل، وعلى الرغم من ذلك لا يحتمل أحدنا ترك نعمة وإبتلائاته ليعاني من نعم وإبتلائات شخص آخر

لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها.

كادت تتحدث عندما قاطعهم دخول ميسيليا مردده بأن أطلس يريدها هي وبسملة، لذا ارتدا حجابهما وذهبا إليه.



"لو سمحت يا جدو أنا مش عايزة أشوف ريا دي قدامي"

رددت بهمس له عندما رأته وجود كلاً من أطلس وريا في القاعة ليهمس لها بالمُقابل:

"أعلم أنها آلمتك، ولكنني أخذت لكِ حقك أمس وجعلتها تحترمك ليلى، غير أن دفعك لها لم يكن هين أبداً يا فتاة، لقد ظلت تصرخ لأطلس إمبراحه كيف أنها ستردها لكي أضعافاً ولكن لا تخافي أنا بجانبك، لذا تعاملي معها حتى تعودى مع تلك المسكينة الأخرى"

أومأت له بطاعة، قبل أن تنظر للقاعة حولها بابتسامة، وتحيل بنظرها عن ريا التي تقف متأهبة في الخلف إذا أرادوا منها شئ لتلتقي أنظارها مع ميسيليا التي كانت تومئ وتنظر لها بدموع وكأنها تودعها، في حين نظرت لمحمد علي لتهمس مُجدداً:

"لو مشيت انهارده أو في أي يوم فجاه من غير معاد، خليك عارف يا جلالة الملك إنك أحسن شخص أنا قابلته في حياتي، كل كتب التاريخ بتقول عنك غير كده، ف

أتمنى إنك تغير تاريخهم وتثبتلهم العكس، وإعدل عيالك شويه عشان هما اللي بوظوا
الدنيا بعدك"

نظر الآخر ل ليلي بصدمة، كانت تلك المرة الأولى التي تخبره عن شيئاً من المستقبل
بطريقة واضحة، واعتلت وجهه ملامح الدهول، قبل أن يضحك على حين غره لينتبه
الجميع لهم، ليهمس لها مُجددًا فقد كانت تقف لأول مره بجانب عرشه:

"انتِ مشاغبة جدًا يا ليلي، كان الله في عون إخوتك!"

ضحكت هي بخفة، قبل أن تتوجه الى أطلس وريا في منتصف القاعة عندما أشار لها
أطلس مرددًا بمزاح:

"تعالى يا أميرة لنرى كيف أنتِ أميرتنا الأخرى معك"

ابتسمت وتقدمت لتجد بسملة تقف في الخلف بإحراج فأمسكت بيدها لتتقدما
معًا.

نظر لهما أطلس مرددًا بمزاح مُجددًا حتى يُخفف من إحراج بسملة:

"أيووجد بينكما رابط يا أميرات؟، أي مشبك شعر مُماثل اشتريتموه سويًا، إسوارة، أو
هكذا؟"

صمتت بسملة ناظرة للأرض بتفكير، في حين رددت ليلي:

"هو لازم نكون جايبناها مع بعض؟، أنا عمومًا معايا توكه بس أظن هي مش زي
بتاعتها، ومش لابسه اسس.."

قاطعتها بسملة مُردده بشهقه:

"السلسلة!"

نظرت لها ليلي بصدمة شديدة بينما تُخرج الاخرى السلسلة من أسفل قميصها المدرسي وقد ظهر اسم ليلي عليه واضحا وهُنا رددت ليلي بذهول:

"أ.. أنا.. أنا برضو لبسها!"

لُتُخرج الاخرى العقد من أسفل قميصها المدرسي وقد كُتب عليه بسملة، لُتُكمل موضحه لأطلس:

"هي جابته ليا هدية قبل ما نيحي هنا بكام يوم، بس أنا كنت ناسيه خالص اني لبساه، غير كده مصدومة انها لبساه برضو!"

وهنا قاطعها تدخل ريا مردده بسئم:

"حسنا، وأخيرا اكتشفنا كيف أتيت يا صغيرة، لنبدأ في الخطوة التالية"

"أميرة يا سيدة"

رددت ليلي ببرود وما كادت تجيبها ريا بغلظة حتى أكد محمد مردداً من خلفهم:

"بالطبع يا ليلي، أحسنتي بتذكيرها"

لذا ابتلعت الأخرى لسانها ناظرة لأطلس الذي قام بالضغط على يدها بخفة علامة لكي تهدأ.

"أمسكي بالساعة يا ليلي، وأمسكي بيد صديقتك احتياطياً، قومي بالضغط على ذاك الزر، هذا ما قمتي بالضغط عليه تماماً يوم جئتي لهُنا بدون قصد منك"

أمسكت هي بالساعة تلك المرة برهبة، وأمسكت بيد صديقتها تُحاول بعث الطمئينة لها وقد شعرت بأنها بدأت ترجف بخوف غريب، نظرت نظره أخيرة لمُحمد علي وميسليا، وفي النهاية نظرت لكُلًا من ريا وأطلس لتردف بامتنان:

"شكرًا لك سيد أطلس"

أومأ لها بابتسامة صغيرة، لتردف الشهادة في ذاتها قبل أن تقوم بضغط الزر!

".. ليلى؟"

"لا لا ده مش صوت أخويا ولا حد أعرفه"

قالت وهي تغمض عينيها قبل أن تفتحهما لتجدها لم تتحرك من مكانها وقد كانت رفيقتها مغمضة العينين أيضًا، نظرت هي لأطلس بعدم فهم ليردف بتوتر ظهر عليه جليًا:

"هذا ما كنت أخشاه.. هذا ما كنت أخشاه!"

قامت هي بالضغط على الزر مجددًا.. مرة تلو الأخرى بدون فائدة، ليأخذها الآخر منها لتسحبها منه ريا بقوة مردده بصدمة كبيرة:

"لا.. لا لا يمكن.. حلمي.. كل شئ سينتهي إن عطلت تلك الساعة، ربما أموت!"

وفجاه نظرت ل ليلى بشر مردده بصراخ:

"انت السبب أيتها القذرة.. أنت السبب بغبائك"

وهجمت فجاه على ليلى تكاد تلكمها ولكن أطلس وقف حاجزًا يحاول تهدئتها، في

حين أسرع ميسليا لتسحب الفتاتان للوراء حتى لا يُصيديهما ضررًا!

نظرت لها ليلي بشر مردده بصراخ مُماثل:

"كل ده مكنش هيحصل لو مكنتيش سمعتيني يا شريره، انتِ اللي وصلتينا لهنا كان
زمننا رجعنا البيت!"

صرخت الاخرى بها وقد فقدت آخر ذرات تحملها بينما يحاول أطلس إمساكها:

"وماذا عن رحيلي أنا ها!، ماذا عن رحيلي أنا أيتها المشعوذة؟، ماذا عن أحلامي
وخططي!، ما تلك الأنانية ما تلك الأنانية"

صرخت الأخرى بالمقابل وقد أمسكها كُلاً من بسملة وميسيليا حتى لا تتوجه لريا:

"انتِ اللي أنانية، انتِ كبيرة وعندك أخوكي هنا ومش عندك حد هناك، احنا عندنا
ناس كثير أوي مستنينا هنا وهندمر العالم لو قعدنا لكن انتِ عندك العالم يتدمر
بس انتِ تحققي أحلامك وخططك يا ساحره"

"كفى"

صرخة أفزعت الجميع بما فيهم أطلس، وجعلت كُلاً من ليلي وريا يبتلعون السننهم
ولكن لم يمنعهن من تبادل النظرات النارية، في حين وقفوا جميعاً مواجهين لمحمد
علي الذي ردد بغضب جلي:

"لا أريد أحد هنا سوى أطلس"

"سوف أأخذ أختي لغرفتها وآتي لك يا ملك"

ليردف بحدة:

"أنا فقط من أمر هُنا ويجب طاعتي، نحن هنا في قصري، قصر الملك محمد علي
عزير مصر، إذا حدث ضجه في الخارج بين الإثنان سوف القيهما في الصحراء
ليتجادلوا براحة أكثر، ف في النهاية يبدو أن لا أحد سيرحل لذا سيحدث ما أمر به
فقط"

أخذوا يسرون مبتعدين ولكن قبل أن يخرجوا من الباب رددت ربا بغلظة:

"انتِ لئيمة مثل جدتك"

وهنا صرخت ليلي بها وهي تهم لشد شعرها

"جدة مين اللي لئيمة يا ساحرة"

وهنا وعلى حين غره، سقطت الساعة من يد ربا ليصرخ أطلس بفرع شديد:

"الساعة.. الساعة تحطمت يا ربا!"

الفصل الخامس عشر

"قاتلة"

"انت متأكد من قرارك في إنك تقول لأهل بسملة عن مكالمات الساعة وكده؟"

ردد إبراهيم بريية ليُضيف زكريا بقلق:

"أنا مرعوب ياخدوا مِننا الساعة يا أحمد، ماتقولش وخلص وبعدين هما مش هيطلعوا وائل من الحبس غير لما بنتهم تحضر قدامهم!"

نظر الآخر لكليهما بعدم تصديق مرددًا:

"انتوا اتجنتوا ولا إي؟، إي الأنانية دي؟!، بقولكوا مامتها بتموت أمها بتموت، لازم طبقًا أطمئنها حتى لو حصل أضرار لينا بس لازم ننقز الست اللي ملهاش ذنب في أي حاجة من دي، متنسوش إن كل ده غلطتي عشان جبت محمد علي البيت"

"مش لوحديك يا أحمد، انت مجبتهوش غصب عنا ولا حاجة، أنا وعلي كُنا موافقين وجبناه واستمتعنا جدًا، كُنا غلطانين"

"أنا أو احنا مش مُهم، كده كده احنا في كوارث دلوقتي لازم تتحل ومش بإيدنا حاجة نعملها"

"انت أو احنا يفرق يا أحمد.. متحملش نفسك الذنب ده، متنساش إني سبب كبير برضو عشان سببت الساعة مع ليلي ومحمد، المهم، هتوريهم بسملة ازاي وليلي هي اللي بتعرف تكلمنا مش احنا؟؟"

تنهد بتعب:

"هستناها.. هستنها ترن عشان الناس دي عمرهم ما هيصدقونا غير لما يشوفوا بعينهم وليهم حق"

"أحمد، إلحق الساعة إزازها بيتشقق لوحده!!"

نظر سريعًا للساعة التي كانت بجانبه على الأريكة بفرع شديد مرددًا بصدمة:

"إي ده؟، الشقوق بتمشي فيها لوحدها!، أعمل إي؟، أعمل إي الساعة بتتكسر لوحدها وليلى... ليلى جواها ليلى جواها!"

اجتمعوا حوله برعب حقيقي لمدّة دقائق والشقوق تكثر حتى ظنوا أن الساعة ستنفجر الى شظايا!، ولكنها توقفت فجاء، لتظل كما هي على حالتها، ليصرخ علي فور أن لمسها مرددًا بألم شديد:

"آآآآآآآآآآ، زي ما يكون كهربا، أقسم بالله زي ما يكون كهربا لمست إيدي يا جماعه!"

لمسها أحمد تلقائيًا ليصرخ بألم شديد مُبتعدًا وهُنا ردد إبراهيم بقلق شديد:

"أنا خايف يبقى ليها علاقه بالسحر، الساعة دي مش طبيعية يا شباب واحنا شكلنا بندخل في الغامق أوي!"



اقترب الجميع من الساعة برعب حتى محمد علي، ليكون هو أجراهم ويحاول أن يُمسكها ولكنه ابتعد فجاءه بآلم ظهر جليًا على تعابير وجهه ليردد مُحذّرًا ليلي التي كادت تقترب:

"ابتعدي، إنه مثل الصعقات الكهربائية لن تتحمليه!"

وضعت بسملة يدها على فمها مُردده بدموع:

"يعني أنا كده مش هروح!"

في حين كانت ليلي مُتصنمة في مكانها بصدمة شديدة، لتتفاجأ بريا تدفعها بقوة شديدة حتى أنها كادت تصدم رأسها بقوة في الحائط مُردده بصراخ:

"أحنا انتهينا بسببك!"

في حين انخفض أطلس بهدوء شديد مُرددًا وقد ظهرت عليه ملامح الحزن:

"من نحن.. بالنسبة للعالم ريا.. أتمنى أن لا تكون تلك الصواعق الكهربائية التي تصدر منها مؤشرًا لشيء أخطر مُستقبلاً"

"طب.. مش هعرف أكلّم أخواتي حتى..؟"

رددت بدموع هي الأخرى ليردّف الآخر بحزن شديد:

"للأسف.. أنا لا أعلم ليلي.."

وهنا نظرت ليلي لمحمد بدموع غزيرة، والآخر ينظر لها بحزن شديد، في حين بسملة كانت تمنع شهادتها من الخروج بصعوبة.

قاطع كل ذلك صوت دق، ظن محمد أنها زوجته، ولكنه تفاجأ بحسن باشا يدخل وقد إمتلأت ملامحه بالقلق الشديد جدًا جدًا.

نظر له محمد علي بعدم فهم ليردد بتوتر:

"سيدي الملك، هناك أمر طارئ"

نظر محمد للجميع مرددًا:

"أنتم، كل شخص فليذهب لغرفته في الصباح سنكمل حديثنا"

وهنا رحلوا بدون كلمة واحدة.

"تحدث"

نظر له الآخر مرددًا برهبه:

"انجلترا.. إنها أرسلت حملة في طريقها الى مصر الآن لإنهاء حكمك يا سيدي وإرجاع حكم المماليك.. حتى أنها قد اتفقت مع محمد بيك الألفي ذلك النذل زعيم المماليك!"

"سريعًا أحضر لي كبار قوات الجيش"

"أمرك سيدي"

رحل الآخر بهرولة ليقف محمد علي مرددًا بابتسامة صغيرة:

"إنجلترا الحمقاء، كل ذلك لا يثبت لي إلا خوفها الكبير مني، سأريهم"



الثامن عشر من مارس عام ١٨٠٧

مر يومين على حادثة كسر الساعة، ومُنذ ذلك اليوم والساعة لا تعمل، حتى أنها لم تتمكن من التواصل مع إختوتها، وقد فقد الجميع الأمل في إصلاح الوضع حتى وقد إختفت حتى الكهرباء التي صدرت منها فب البداية في صباح اليوم التالي.

كان محمد علي يعلم ويدرك بأن الحملة المدعوة بـ -حملة فريزر- على وشك الوصول، مبتسمًا بثقة وقد أرسل عثمان وبعض من أقوى الجيوش عنده وهو يدرك تمامًا مدى رعب الدول الأجنبية من قوته وسلطته وأن ذلك لا يدل على شئ سوى ضعفهم.

"اين ليلي يا ميسيليا؟"

ردد بتساؤل لُتُردف هي بهدوء:

"أظن أنها مازالت نائمة لقد طرقت عدة مرات و دخلت لأجدها مُستلقية هي وصديققتها"

ابتسم وأومئ، كانت تُعاني ليلي من ضيق شديد لذا عندما حاولت فهم منه أمر الحملة شرح لها باختصار لعلها تنسى قليلاً إختوتها، وأخذ ينتظر خبر النصر فهو شبه متأكد أن الشعب المصري سوف يدافع عن بلده عاجلاً أم آجلاً

في حين على الجهة الأخرى، في صندوق كبير بإحدى العربات الحربية همست بسملة:

"انتي متأكدة إن محمد علي لو عرف مش هيقتلنا؟"

ضحكت الاخرى بخفة و قد كانت مُمددة بجانب بسملة في ذاك الحيز الضيق
هامسة:

"متشغليش بالك بيه، ازاي يعني نفوت فرصة مشاهدة حدث تاريخي زي ده، انتِ
اتجننتي!"

أومات لها الأخرى بعدم رضا، فهي أخذت تترجاها وتتوسلها لعدم الذهاب خلسة
ولكن ليلي كانت عنيدة كفاية لتذهب معها بسملة من كثرة الخوف.

"طب انتِ متأكدة إن المخدرات اللي انتِ حطاها، هتقنع ميسيليا إن دي أجسامنا
واننا نايمين؟"

"أكيد، ميسيليا غبية ومش هتاخذ بالها، المشكلة بس لو محمد قالها تصحينا، هو
أكيد لو اتاخرننا هيقولها، وفي الحالة دي هنرجع القصر تاني، بس إن شاء الله نكون
لحقنا نتفرج"

تنهدت الأخرى بضيق شديد مُضيفة:

"حاسه إن حاجه وحشة أوي هتحصل يا ليلي"

طمئننها الأخرى مردده بمزاح:

"أكثر من زعيق محمد علي مش هتلاقي متقلقيش"

"طب سيد عثمان ده شكله غلبان والله يا ليلي وملوش ذنب، انتِ كذبتى عليه
وقولتيله إنك هتبصي بس على الحاجات فضول وإن محمد علي اللي أمر بكده وهو

سمع كلامك و ودائي مكان الأسلحة والصناديق وكده، بس ده بقى حرفيًا هيروح
ضحية محمد علي لما يعرف"

"كل حاجه هتبقى تمام لو سكتي بس وبطلتي تشاؤم يا بسملة!"

صمتت الأخرى بغير رضا مغمضة عينيها وقد بدأت تدعو ربها في سرها أن تعود
لمنزلها مجددًا.

توقفت السيارة بعد وقت طويل، وهُنا إتفقت الفتاتان على الإنتظار وقت أطول حتى
تبدأ المعركة ولا يلتفت لهما أحد، وبالفعل هذا ما حدث، ولكن لحسن الحظ لم
تكادا تقتربا من مُحيط المعركة حتى صرخ أحدهم في صدمة:

"الأميرة ليلى!"

"يووه، عثمان قفشنا، إرتحتي يا بسملة؟"

"وأنا مالي!"

رددت الأخرى بتذمر، في حين حاولت ليلى إقناع عثمان وهو يأخذهم لمكان آمن أن
لا يخبر محمد علي ولكن الآخر لم يأبه لها وظل مُحافظًا على طريقتة الجيدة فهي في
النهاية أميرة لدى محمد علي!

شعرت ليلى بمدى خوف بسملة وعدم استمتاعها لذا قررت اللعب معها قليلًا
مردده:

"أنا هروح أنفرج من قريب!"

"انتِ اتجننتي ولا اي؟"

رددت الأخرى بذهول لُتُردف الأخرى بضجر:

"متكونيش جبانه، إي يعني جنود أجانب من حملة فريزر حوالينا ومحاصرنا في كل مكان، عادي يعني ده إحنا بندرسهم في المنهج وعارفين إن مصيرهم الحتمي هو الخساره، عيشي اللحظة وروحي إتفرجي يا بسمله جايز تقفلي الدراسات مرة في حياتك"

رددت ليلي بضحك شديد، قبل أن تتركها حاملة مُسدس صغير تعلم أن به عطل لذا قام عثمان بإلقائه بعد أن اكتشف بوجود تلك المصبيتان برفقته، كادت بسمله تموت من الخوف على صديقتها لذلك ظلت تنظر حولها تبحث عن عثمان حتى تُخبره بما تنوي ليلي فعله من مشاهدة وأشياء أخرى غبية خشيتًا أن تُصاب..

كان عثمان مُندمج في تأمين تلك المنطقة التي تقبع بها الفتاتان، بعد أن قام بإرسال عدة جنود معهم خبر للملك بما فعلته ليلي وقدموها إلى هنا، ولكن بسمله لم تعلم بذلك، ولم تعلم بأن أحدًا لن يسمح ل ليلي بالعبور إلى المعركة للمشاهدة، بل أن جنديًا قيدها من كثرة صراخها به أنها تريد أن تُشاهد عن قُرب ، في حين أخذت تبحث حتى وجدت عثمان يقف بعيدًا، ذهبت له ركضًا وهي تخشى كثيرًا على ليلي، وفي حين أنها تقترب من المكان الذي يقف به لاحظها هو، إقترب منها مرددًا بقلق:

"ماذا يوجد سيدتي؟"

أخذت تلهث قبل أن تُردف:

"ليلي، ليلي مسكت مسدس بايظ وبتقول هتروح تتفرج على الحرب وحاجات غريبة، أنا معرفتش أمنعها و"

قاطع حديثها فجاه صُراخ عثمان:

"إحترسي"

وُصدمت هي فور أن وجدت عثمان يدفعها ويتلقى هو طلقة نارية في مُنتصف صدره!
صرخت بقوة وهي فزعة، لتتفاجأ بأخرى تُصيبيها، وتكون آخر ما إستمعت إليه هو
صوت صرخة ليلي..!



"مولاي"

ردد حسن بفرع شديد ليردف محمد بملل:

"ماذا يا حسن، ألا يمكنك أن تأتي إليّ مُحملاً بالأخبار السارة أبداً؟"

"مُشكلة كبيرة يا سيدي"

"هيا قُل ماذا تنتظر؟"

إبتلع ريقه بصعوبة وبدأت يده ترجف وهو يردف:

"السيدة ليلي وصديقتها السيدة بسملة وجدهم الجنود في صندوق الأسلحة"

"ماذا تعني يا حسن؟!"

"السيداتان في المعركة الآن يا مولاي"

"ماذا!!" وهنا صرخ فجاه بكل قوة:

"ميسيليا!"

جاءت الأخرى مُهرولة ليصرخ بها بقوة شديدة:

"ألم أخبرك أن تعتي بالفتاتان وتضعي عينيك عليهن؟، ألم أخبرك أنهم لن يخرجوا من الغرفة اليوم دون أن تخبريني؟!"

نظرت الأخرى الى الأرض مردده برعب:

"ولكنني لم أراهم حقًا يا عزيز مصر وغير ذلك انني رأيتهن على الفراش أقسم"

"سأحاسبك، سأحاسبك على إهمالك ذلك ولكن ليس الآن، حسن"

نظر له الآخر برهبة ليردف بعصبية:

"إذا حدث شيء للفتاتان سوف أحرقكم جميعًا!"

وما كاد ينطق حسن حتى وجدوا جندي آخر يركض داخل القاعة وهو يُردد برعب:

"عثمان بيك، عثمان بيك وبسملة تلك، لقد أصيبا يا سيد حسن، الإثنان أُصيبا يا سيد حسن النجدة!"

وقف محمد علي وقد أخذت أنفاسه تتسارع، ليصرخ بقوة أرعبت كل من يقف بالقاعة:

"إذا مات أحدهما سأنهيكم يا أغبياء، سأنهيكم!"

ظل القصر كله في حالة رعب، حتى أن أطلس سمع الخبر لينتفض تارگ الساعة وقد أصبحت همه الوحيد، فلقد وعد ذاته أنه لن يكف عن المحاولة حتى تعود الفتاتان الى عصرهما!

وفي غضون دقائق من إنتشار الخبر كان كُلاً من أطلس وريا في القاعة، تبعهما ميسيليا وأمينة هانم، حتى حسن باشا ظل منتظراً أي خبر، وقد كان يجلس مُحمد علي بقوه ظاهرة، وقلق مُميت بداخله!

دقائق أخرى و وصل نفس الجندي الذي كان يطلب النجدة منذ قليل وهو مُطأطئ الرأس، طالع ملامح التعب على وجوههم جميعاً ليلتزم الصمت قبل أن يصرخ به حسن بخوف شديد:

"ماذا.. ماذا تحدث!"

وهنا إبتلع الآخر ريقه مُردفاً بأسف:

"لم ينجو أحد منهما"

هنا شهقت أمينة بفزع، في حين نظرت ريا لأطلس برعب شديد بينمت ينظر الآخر لمُحمد علي بصدمة!

".. ليلى، أهي بخير؟"

ردد محمد بصوت منخفض ليُردف الآخر:

"ظلت تصرخ وتبكي حتى فقدت وعيها يا مولاي"

وهنا ردد حسن بتساؤل:

"أتم القبض على من أصابهما من العدو؟"

"نعم يا سيدي"

وهنا نظر محمد علي لجميع من بالقاعة مرددًا بصوت جهوري:

"أتظنون أن تلك الأرواح ستضيع هباء؟، أقسم أنني لن أرحمكم يا أوغاد، أنا لن أرحمكم"

وجه الجميع أنظاره أرضًا ليُكمل الآخر بما صدمهم حقًا:

"تلك الخادمة الحمقاء فلتذهب الى السجن في الحال، وانت.. انت يا حسن"

نظر له الآخر برعب مرددًا:

"نعم يا مولد.."

قاطعته ترديد محمد بقوة:

"لا أريد رؤيتك بذاك القصر مُجددًا"

"وأيضًا.. كل من كان مسئول عن ذهاب الأسلحة وخصيصًا العربة التي كانت بها الفتاتان مُعاقب بالسجن"

كادت ريا تتحدث عندما أمسك أطلس يدها وقام بالضغط عليها برفق حتى تصمت، فهو يعلم جيدًا أنها لو تحدثت سينفجر محمد علي بها!



"ي.. يا خالد باشا انت بتهزر والله!، يعني إي سافرت انت ومراتك عشان تتعالج ومعدش ليك دخل، يا باشا ده بيتهم أخويا بتجارة الأعضاء وهددني إن بنتك مظهرتش هيلفق لأخويا قضية!.... أيوة أنا أتصرف ازاى انتحر يعني ولا إي!، طيب أنا قولتلك قدرنا نوصل ل ليلي في الساعة وبتك بخير.. كلام فاضي أي أنا هقولك كلام فاضي لي!... يا خالد باشا أبوس إيدك أخويا لو اتسجن مستقبله هيضيع والمستشفى اللي في انجلترا هتفصله عن العمل!"

صرخ فجاء وقد خرج عن طوره حقًا:

"هو فين العدل؟، هو فين العدل ده لما اللي أكبر منا يستقوى علينا!، فين العدل لما تسجنوا الوحيد اللي فلح فينا؟!، فين العدل لما حماك يقولي بتهديد صريح إنه هيلفق لأخويا قضية تجارة أعضاء.. دي تجارة أعضاء مش لعب عيال يا... باشا!"

نظر أحمد للهاتف بعيون حمراء وقد أغلق خالد الخط بوجهه كاد الآخر يُجن حقًا.. مر أسبوعان، ليلي لم تظهر بهما مُنذ تشققت الساعة من ذاتها، وأخيه على ذمة التحقيق وها هو يصله تهديد يكاد يُجن بسببه منذ أمس!

لم ينم ولم يغمض له جفن مُنذ سُجن أخيه، ويشعر كل مدى بالتعب وقد أخذ يبتلع الكثير من الحبوب لعلاج الصداع مؤخرًا الذي يفتك به بسبب كل تلك الأحداث حتى شعر أنه سيصبح مُدمنًا!

أخذ يتنفس بسرعة شديدة وهو ينظر بإجهد شديد للحائط بينما يقف في شرفة غرفة ليلي.

كان يستند على الفاصل الحديدي بين الشرفة والشارع وينظر للحائط أمامه وقد بدأت الدموع تتجمع بعينه هامسًا:

"أنا.. تعبت!"

أخذت بعض الرياح تعبت بشعيراته السوداء الحريية، وكأنها تحاول أن تهون عليه قليلاً ولكن الآخر وضع يده على قلبه بألم، وأخذ ينظر حوله بحزن شديد، وقد فرغ صبره وأمله وفرغت صحته!

"أحمد، أحمد انت كويس!"

ردد علي بخوف وقد رأى أخيه بتلك الوضعية السيئة ليُردد أحمد بصوت خافت:

"م.. مايه، هات مايه بسرعة"

ركض الآخر ليحضر كوب الماء وهُنا جاء اتصال آخر لأحمد!

"الو، أستاذ أحمد محمد يا قوت معايا؟"

"أمم.. خير؟"

"البقاء والدوام لله، السيدة أسماء المعتز توفاه الله يا أستاذ أحمد، تقدر تيجي تستلم الجثة دلوقتي"

إنسابت دموعه رغماً عنه، أخذت تنساب بهدوء في حين سقط الكوب من يد علي الذي إستمع للجملة الأخيرة من المحادثة، وهو يحرق بصدمة شديدة في وجه أحمد الدامع!

قد أخذ بثأره من هذا القدر الذي لا يحترم قوانين الحرب ويقوم بقتل النساء والأطفال.. هكذا هم الغرب، بلا دين، بلا مبادئ، بلا شرف!

"ليلي.. جئت لأطمئن عليك بما أنك قد رفضتي رؤية أحد منذ أسبوعان.. أأنتِ بخير يا جميلة؟"

نظرت له بعيون حمراء مُتورمة وهي تجلس بحجابها على الفراش، لتردد بصوت مبجوح اثر البكاء:

"أنا عايزة بسملة.."

صمت الآخر بحزن دفين مرددًا:

"أطلس مازال يعمل على الساعة لعلنا نستطيع أن نعيدك لعالمك"

تفاجأ بها تصرخ به بحدة مردده:

"مش عايزة أرجع في حته، أنا مش هروح في حته غير وبسملة معايا، أنا مش همشي من هنا غير وبسملة معايا.. دي.. دي مامتها تعبانه.. مامتها هتموت لو عرفت.. لا لا.. أنا مش همشي غير وهي معايا!"

تحمل الآخر صراخها ذاك مرددًا بود:

"الموت شئ لا مفر منه، هكذا هي الحياة ليلي يجب أن نتحمل يا صغي.."

قاطعهُ صُراخها مجددًا مثل الذي فقد عقله:

"أنا مش همشي في حته، أنا عايزه بسملة، أصلًا انت السبب وجنودك السبب.. انتوا

قتلتوها ومحدث دافع عنها، انتوا السبب انتوا السبب انتوا السبب انتوا السبب"

صرخ مُحمد علي بها رغماً عنه مرددًا وهو يقف بحدة:

"ليلي أصمّتي!، أصمّتي، صديقتك توفت بسبب حماقتك وتهورك!، صديقتك توفت بسببك انتِ فقط ليلي لا تُلقي الذنب على أحد غير نفسك، رُبما لو توقفتِ عن كونك فتاة حمقاء كبيرة ومتهورة جدًّا لكنتِ هي بخير الآن ولكنكِ عدتي لعالمك أو ربما ما كنتِ جئتِ هنا وجلبتها عنوة من البداية!"

حدقت الأخرى به لعدة دقائق بدون ولا ردة فعل.. قبل أن تنهمر دموعها مجددًا هامسة باستيعاب:

"صح!"

"أ.. أنا قتلتها!"

نفخ الآخر بحدة وأخذ يُعيد شعيراته القصيرة للوراء قبل أن يجلس بهدوء مجددًا محاولًا التحدث بلطف:

"لا لا لم أقصد هذا.. ليلي أنا أعتذر.. فقط قصدت جعلك تفكرين بشكل مُختلف.. أي.. ليلي، أرجوك تعافي أنا لا أعرف كيف أعاذيكِ حقًّا ولا أعرف ماذا أقول لكِ ولكن انتِ ثمينة جدًّا بالنسبة لي وأود أن تعودتي سالمة لذا أترجائي كوني بخير!"
صمت لدقيقة ثم أكمل:

"وهيا أزيل دموعك تلكِ يا فتاة، لم أعهدك ضيعفة بل عهدتكِ قوية كالجبال!"

نظر لميسيليا التي كانت تقف ورائهما مرددًا:

"هيا يا ميسيليا أحضري ذاك الفستان الفخم الذي يليق بحجاب ليلى وملابسها وأريها إياه عساها تفرح!"

أحضرت الأخرى فستانًا مزركشًا بالعديد من الزهور الوردية البديعة وقد كانت خلفيته لونها أبيض مع أكمام منفوخة من عند الكتفين مُناسبة برقة شديدة ونعومة حتى تنتهي بزرقشات على المعصمين، في حين جلبت الأخرى حجابًا باللون الوردى كما لون الزهور ذا قمشة ناعمة جدًا وبراقة، وحذاء وردي اللون أيضًا و به حبلان يلتفان على القدم مُنتهيان بـ «فيونكة» رقيقة جدًا!

كان بكل بساطة فستانًا.. مُذهلاً!

ولكن للأسف.. مهما كانت الألوان براقة، والأشياء جميلة، فهي في عين الحزين تفقد قيمتها تمامًا!

نظرت لها ليلى بفتور، قبل أن تردف بهدوء شديد وقد أزالتم دموعها:

"عايزه أنام"

شعر محمد بالحزن الشديد والحرَج من ردة فعل ليلى فهو ظن أنها ستُبهر به، ليقف هو خارجًا من الغرفة وهُنا سمع ليلى تردف:

"إقفلِي النور وإطلعي بره"

"ألن أنام معك اليوم يا سيدتي؟"

"لأ إطلعي بره"

اندهش مُحمد علي، وقلق أكثر فها هي المرة الأولى التي تنام بها ليلى وحيدة، ولذا قرر انتظار خروج ميسيليا.

"أهي هكذا مُنذ يوم الوفاة؟"

"نعم يا سيدي بل أشعر أنها تزداد سوءاً"

تنهد هو بصمت.. وهُنا شعر أن الأخرى تريد أن تقول شيئاً لذا أضاف:

"أفرغي ما في جعبتك"

وهُنا رددت ببعض التوتور:

"أ.. أشعر أن.. حديثك مولاي كان قاسٍ قليلاً عليها..."



مر أسبوعان آخران.. ظلت فيهم الأحوال كما هي، أطلس وريا مُنشغلان تماماً بالعمل على إصلاح الساعة، مُحمد علي عاد ليُركز بعمله وأشغال دولته التي كان مُنشغل عنها بليلى وقد شعر بداخله أن تلك الفتاة لن تعود لعالمها، في حين ليلى قد تغيرت تماماً، بدلاً من البكاء والصراخ، أضحت هادئة هدوء الموتى، رافضة للطعام والشراب.. لا تستيقظ من النوم!

بينما على الجهة الأخرى قد أُقيم عشاء كبير لجذتهم، فقد كانت محبوبة من الجميع، غير أنها من أوائل من سكنوا بمنطقتهم، لذا كان لها مكانة خاصة.

انتهوا من العزاء وقد تسائل الجميع عن ليلى ليكذبوا مُرددِين أنها عند أحدى الأقارب خارج بلدتهم، بينما مازال التحقيق ساريًا على وائل وقد أخبرهم المُحامي بطريقة غير مباشرة، أن مع عدم وجود أي أثر لبسمة سيُسجن الآخر لا مُحالة!



تسللت على أطراف أصابعها حتى لا تُلاحظها ميسيليا.. قبل أن تسير ببطء نحو غرفة ريا.. لتدخلها بهدوء شديد وهي تتلفت حولها كل ثانية.. وهُنا ركضت فور أن وجدت فريستها أمامها، لتأخذها سريعًا مُمسكة إياها بقوة، وبنظرات غريبة.

أخذت تسير بحذر مُتخذة أي درج يُقابلها لتصل لهدفها، وبدون أن تنتبه كانت ريا قد رأتها لتسير ورائها بهدوء وقد شعرت بفضول شديد حول ذاك المكان الذي تصعد إليه ليلى بكل ذاك الهدوء والحذر!

وهكذا سارت الأمور حتى قلقت ريا فور أن رأت ليلى تتوقف عند أعلى نقطة بالقصر والتي كانت مساحة شاسعة نظيفة فهي أعلى نقطة بالقصر، ظلت تقترب الأخرى من السور الصغير الفاصل ما بين القصر والخارج لتشعر ريا بصدمة ظننًا منها أن ليلى تحاول أن تنتحر!

صرخت الأخرى رغبًا عنها فور أن رأت ليلى تُخرج الساعة وتكاد تُلقبها من السطح الى أسفل!.. وهُنا انتهت ليلى لوجودها وعزمت على إلقائها سريعًا ولكن الأخرى صرخت مُردده بفرع:

"أيتها المجنونة، ماذا تفعلين؟!!"

نظرت لها ليلى بريية ومازالت يدها مُمتدة في الخارج وبها الساعة مُردفه بضيق:

"لو قريتي هرميها، و لو مقربتيش هرميها، أنا مش عايزه أروح وانتِ وأطلس ومحمد
مش قادرين تفهموا ده!"

رددت الأخرى برعب حقيقي:

"ليلي الساعة دي مش مهمتها الوحيدة تروحك أو تجيبك، ليلي إفهمي حياتنا كلنا
متعلقة بيها يا ليلي، انتِ كده هتعملي خلل في الزمان والمكان وكل حاجه!!"
للترداف الأخرى ببرود شديد غريب عليها:

"و اي يعني.."

وكادت حقًا تركها تسقط لتصرخ ريا ولكن صوت الصراخ الذي طغى على صراخها كان
لأطلس الذي صعد فور أن سمع صراخ أخته!

"ليلي!.. ماذا تفعلين يا فتاة!"

لم تنظر له ليلي مُردده بغضب:

"قولت مليون مره مش عايزه أروح وانتوا مش بتسمعوني.. فده الحل الوحيد!"

اقتربت ريا مُردده ببكاء:

"أرجوكي يا ليلي لا.. ليلي أنا عندي خلل في عمري لو الساعة دي إتكسرت الله اعلم
هعيش ولا لأ!"

لم تكثر لها الأخرى مُراقبة إياها ببرود ليرداف أطلس بود:

"ليلي.. أعلم أن ريا قد أذتك كثيرًا.. ولكن انتِ أفضل منها وأنا متأكد تمامًا من ذلك..
ولم ترضي لها بالضرر يا عزيزتي أليس كذلك؟"

دمعت عيني الأخرى مُردده بصياح:

"وأنا؟ وأنا مين مرضاش ليا بالضرر يا سيد أطلس؟!... أنا مين مداسش على مشاعري
ومرضاش ليا بالضرر يا سيد أطلس؟!.. أختك دي كسرتني باللي عملته.. وأخويا اللي
هناك ده بيكرهني.. ودلوقتي أنا السبب في موت بسملة ولو رجعت مش هعرف
أعيش.. والله ما هعرف أعيش.. والله ما هعرف أعيش!"

لحظة صمت عمت على الجميع، قبل أن يبتسم أطلس بألم فور أن وجد ليلي تقترب
منهم وقد أمسكت الساعة بقوة مجددًا، لتعطيها له مردده والدموع تنهمر من
عينها:

"مش مستعده أقتل ريا زي ما قتلت بسملة حتى لو أذتني!"

وهنا إرتمت هي أرضًا وقد بدأت تبكي بقوة مردده بنحيب:

"أنا اللي قتلت بسملة.. أنا اللي قتلتها بغباي.. أنا السبب أنا السبب"

شعرت ريا ولأول مرة بالندم الشديد ودمعت عينيها لتجلس أرضًا مربته على ليلي في
حين إنخفض أطلس مرددًا بهدوء:

"لست من قتلها يا صغيرة!"

لتصرخ الأخرى به:

"لا أنا اللي قتلتها.. محمد علي قالي إني اللي قتلتها!"

وأخذت تبكي بإنهيار ليتنهد الآخر، مطالعًا إياها بشفقة!



"نجحت

أنا نجحت!"

نظر مُحمد بإندهاش لأطلس الذي يتسم بقوة لُيردد:

"لقد نجحت في إصلاح الساعة ونستطيع الآن التواصل مع إخوة ليلى!"

ردد الآخر بسرعة وقد أخفى عليه أطلس ما حدث منذ أسبوعان على سطح القصر مع ليلى:

"أي سنستطيع أن نعيد ليلى لعالمها؟"

طأطأ الآخر راسه مُفكرًا، قبل أن يردف بصدق:

"حقيقًا لم أنجح كُليًا.. الساعة بعد عدة اختبارات تنجح في الإتصال ولكن الإنتقال..

أظن أن ذلك لن ينجح أبدًا يا سيدي!"

تنهد الآخر مرددًا بحزن:

"لا يعجبني حال ليلى يا أطلس.. صديقتها تلك سببت مصيبة كبيرة لها و.. لي!، لأول

مرة لا أستطيع المُحافظة على أمانة لدي يا أطلس.. إنها المرة الأولى!"

ربت الآخر على كتفه مرددًا:

"هذا قدر.. لا دخل لنا به، ولكنني أظن أن ليلى وضعها يزداد سوء مع مرور الوقت.. في الحقيقة يا سيدي، ربا تلامها منذ أسبوعان، وتخبرني أنها لا تكف عن البكاء، مردده أن بسملة تلك والدتها مريضة بمرض خطير، وأنها لو علمت ستموت هي الأخرى.. وتردد أن أخيها أحمد ووائل سيكرهونها عندما يعلمون، والكثير من الأشياء السوداوية، في الحقيقة أنا أشفق كثيرًا على تلك الفتاة المسكينة، هي أصغر من كل هذا الحزن!"

"نعم معك حق.. ذاك الحزن أكبر منها بكثير.. ولكنني أثق أن تلك الحياة لا تُكلف نفسًا إلا وسعها، وليلى ستتحمل.. من يتحمل موت والداه يرى أي موت بعد ذلك لا شيء"

"أفهمك غالبًا.."

ردد أطلس وهو يتذكر كيف رأى والده يغمض عينيه فجاء ساقطًا أرضًا بدون سابق إنذار!

"أيمكنك الآن الإتصال بإخوت ليلى؟؟"

"بالطبع.. هل أذهب وأعطيتها لها؟"

نظر له مرددًا بهدوء:

"لا، أنا من سأحدث الآن.."

لم يفهم أطلس غرض محمد من ذلك ولكنه قام بالضغط على زر الاتصال على الرغم من ذلك ليظهر في أقل من الثانية وجه غريب مُطل عليهم ويبدو أنه كان يُطالع الساعة بالفعل!

"من انت!"

ردد مُحمد بدهشة ليردّف الآخر بصدمة مرددًا:

"... محمد علي باشا!.. مستحيل!"

ردد أطلس بهمس لمُحمد:

"أخشى أن لا يكون أحد أخوات ليلى!"

وهنا إستمع إليه الآخر ليردّف سريعًا مُتداركًا ذاته:

"إبراهيم.. أنا إبراهيم!"

وهنا تغيرت تعبيرات أطلس للنفور الشديد ليردد بنبرة ساخرة وغضب شديد تملكه:

"انتَ إذًا صاحب القلب الاسود؟!"

لم يُجبه إبراهيم بضيق ليردّف محمد برزانه:

"اريد أن أحدث أحمد"

وهنا ظهر أحمد من الورااء وقد كان في دورة المياه يتوضأ ولكنه ركض مرددًا بدهشة

شديدة:

"محمد علي!"

أمسك أطلس ضحكاته وقد وجد لأول مره أحدًا يُنادي محمد علي ملك مصر باسمه

مُجردًا ولكنه تفاجأ حقًا عندما وجد محمد يبتسم بود مرددًا:

"لقد إستقت لك أيها الفتى الوقح!"

ابتسم أحمد بالمُقابل مرددًا بمُزاح:

"مقبوله يا جلالة الملك، أنا كنت هموت من القلق على ليلى لما الساعة إتكسرت فجاه.. هي بخير يا جلالة الملك؟؟"

ردد أطلس بدهشه:

"كُسيرت.. الساعة كُسيرت؟!"

ردد إبراهيم فجاه بتوضيح:

"كُنّا قاعدين وفجاه إتشقت لوحدها من قيمة شهر أو أكثر، وقعدت تكهرب اللي يلمسها، الساعة دي فيها سحر صح؟!"

لم يأبه أطلس له ليتسائل أحمد:

"مين ده؟"

أجابه محمد علي:

"إنه أطلس، والده صانع تلك الساعة يا أحمد، وهو من عمل على تصليح الساعة حتى تعود أختك"

"هي إتكسرت!!"

"نعم في ذات التوقيت تقريبًا التي كُسيرت بمفردها عندكم"

ردد أطلس بهدوء وهو يحاول أن يفكر ويجمع بعض المعلومات عن الساعة مرددًا بتساؤل:

"الكهرباء.. ظلت تظهر كم يوم؟"

"صبحنا الصبح لقيناها خلاص بقت تمام"

تنهد أطلس مرددًا:

"أي الساعتان مترابطتان، فهذا ما حدث معنا تمامًا!"

نظر له محمد علي متسائلًا:

"إدًا هل يمكن أن نُعيد ليلى؟"

وما كاد يجيب أطلس حتى ردد أحمد بتساؤل:

"ليلى فين؟، أول مره حضرتك تكلمني في حاجه ولا إي؟"

صمت محمد بتفكير.. يخشى أن يعلمه بموت بسملة فينهر ليلى لذا حاول معرفة كيف تدور الأمور عنده أولًا مرددًا:

"بالفعل فور إصلاح أطلس للجزء الخاص بالمكالمات الزمنية تلك أردت أن أحدثك قبل ليلى، ولكن قبل أن أقول لك سبب تحديي.. طمئني على أحوالك يا أحمد.. أأنتم بخير؟"

تنهد أحمد.. تنهد ببطء وتعب وقد لاحظ محمد إحمرار عين الآخر وشحوبه الشديد، ليُردد بصوت مُتعب حقًا:

"احنا من يوم ما ليلى مشت والدنيا مقلوبة، والد بسملة بهدلنا وطلع عيني، هو حقه طبعًا قلقان على بنته غير إن مراته بتموت من غيرها وهي بنت وحيدة، و وائل لما جه قلب الدنيا وصدقنا بصعوبة يا محمد باشا"

هنا ردد أطلس بتلقائية:

"هل أخبرت والد بسملة تلك بالقصة؟!"

كاد يتحدث أحمد عندما جاءه اتصال وتفاجأ مُحمد من إجابة أحمد بدون تردد ليصرخ على حين غُره:

"يعني إي آخر فرصة بعد بكره يا مِتر!، انت بتهزر؟، أخويا.. ده مستقبل أخويا!، أخويا بريء يا مِتر وانت عارف!.. مفيش أي دليل برائه طيب ما مفيش أي دليل يخليه مُذنب!"

عض أطلس على شفتيه بإشفاق فور أن لمح تلك الدموع التي تجمعت بأعين أحمد، ولاحظ مدى الشبه بين ليلي وأخيها ذاك، في حين لاحظ أيضًا مدى الاختلاف بين ليلي وإبراهيم، وكأنهما ليسا إخوة!

أغلق الآخر الهاتف وقد شعر بمرارة تغزو فمه، وغصه تقف في حلقه، غير منتبه لوجود أطلس ومحمد أمامه، ليردف محمد علي سريعًا بقلق:

"ماذا يحدث يا أحمد؟!"

بينما علقت أنظار أطلس على أخته ريا التي دخلت ببطء فهم بالفعل يجلسون بغرفتها و جلست بعيدًا تُتابع فقط ما يقال بهدوء.

"لازم ليلي تيجي يا جماعة.. لازم ليلي وصحبتها يجو.. أخويا هيتدمر.. أخويا هيتدمر يا محمد باشا!"

نظر له الآخر بعدم فهم ليُكمل والدموع تزداد بعينيه:

"أنا بقالي أكثر من شهر منمتش، بنام ساعات معدوده، أنا تعبت، أنا تعبت!"

كاد أطلس يردد أن صديقة ليلى ماتت ولكن مُحمد شد على يده مرددًا بلطف:

"ماذا حدث يا أحمد.. ما عادتهك بهذا الضعف من قبل!"

صمت أحمد لثانية، قبل أن يردف بحزن ودموع يُحاول كتمها:

"جد بسملة بلغ عن وائل، وهو مسجون على ذمة التحقيق بقاله شهر، وهددني إنه هيلفق لأخويا تُهمة تجارة أعضاء لو حفيدته مظهرتش.. أنا أخويا لو اتسجن بالتهمة دي يبقى شغله بره وجوه مصر ضاع خلاص.. أرجوكوا الحقوني، أنا من قبل وفاة تيتا وأنا بلف على كل المحاميين والمحاكم وبحاول أعمل أي حاجة في ايدي مش عارف!"

وقفت ريا بصدمة شديدة في حين ردد أطلس مدرِّغًا لما وقفت أخته:

"ج.. جدتك توفت!"

وهنا هبطت دموع أحمد ببطء مرددًا:

"من أسبوعين.. جدتي ماتت، والغريب أن الدكاتره قالوا إن هي قعدت تنادي بصوت ضعيف على اسم غريب كده.. تيا أو ريا تقريبًا قبل ما تموت.."

وضعت ريا يديها على فمها بصدمة شديدة وأخذت دموعها تنهمر بغزارة، على الرغم من كل ذاك الشر والحقد والغل الذي يملأها لم تستطع.. لم تستطع سماع خير وفاة صديقتها الوحيدة.. و هي تهتف باسمها!.. هي حتى لم تنساها.. لم تنساها بعد كل تلك السنوات!

تُقسم أنها لو مكان جدة ليلى لنست كل ذلك.. ولكن أسماء.. كانت وفيه كما عاهدتها.. ولم تنساها كما وعدتها من قبل.. ليكون اسمها عوضًا عن كل الثمنيين لديها هو ما يُنطق قبل موتها!

"بس محدش يقول ل ليلي أرجوكوا.. محدش يقول إن تيتا ماتت ولا إن وائل محبوس بسبب بسملة"

وعند تلك النقطة تحديدًا وقف محمد علي بجذع شديد في حين وضع أطلس يده على جبهته بغضب شديد، ليُدرك أحمد أن أخته سمعت كل شيء فور أن سمع صوتها المُنهار يردف بصدمة:

"..ت.. ت.. تيتا ماتت!، وائل مسجون بسبب بسملة!"

الفصل السادس عشر

"أحمد!"

".. ليلى، إهدئي يا ليلى!"

ردد محمد علي سريعًا فور أن جلست الأخرى وأخذت تشهق بقوة وتسعل وقد ظهر جليًا أنها لا تستطيع أخذ أنفاسها!

ركض الجميع نحوها، في حين أخذ أطلس الساعة في يده وهو يتوجه نحو ليلى حتى يراها إخوتها، وبدون انتباه إجتمع كل الإخوة وقد كان كلاً من زكريا وعلي عاندين للتو من خارج البيت ل يروا أختهم ليلى في تلك الحالة وأحمد تتساقط دموعه بغزارة و.. ألم!

"ليلى إهدي يا ليلى، ليلى إتنفسي، أنا جنبك يا ليلى، أحمد جنبك يا ليلى إهدي، ليلى حبيبتي إهدي، ليلى إحنا لو فقدناكي دنتنا هتتهد!"

أخذت ريا تحاول أن تربت على ظهرها وقد جلبت لها ماء وظل الجميع يُناديها ويحاول تهدئتها وعلى حين غُره ضرخت ليلى بما جمد الدم في عروق إخوتها حقًا!

"بسملة ماتت بسببي يا أحمد!"

وضع زكريا يده على فمه بصدمة كبيرة، بينما شهق علي برعب حقيقي، ونظر إبراهيم بصدمة لها، بينما أحمد قد تجمد ناظرًا لها بصدمة وقد إستطاعت التنفس لتنهار باكياً!

".. انتِ بتهزري؟"

ردد علي بعدم تصديق في حين تفاجأ الجميع بأحمد يُمسك معدته فجاء بألم شديد،
قبل أن يضع يده على فمه راکضًا الى دورة المياه!

توقفت هي عن البكاء في حين وقف جميع الإخوة مُتجهين لدورة المياه وهُنا كان
أحمد يتقيًا.. أخذ يتقيًا كثيرًا على الرغم من ندره أكله لأي شئ مؤخرًا!

أخذت الأخرى تصرخ وتنادي لعل أحد يأتي و يُطمئنها على أحمد، وبالفعل جاء علي
المصدوم كُليًا، ليردف فجاء بقسوة غريبة عليه:

"انتِ عملتي إي يا ليلي!"

كان عتاب أكثر منه سؤال، كان عتاب على كل ما يحدث لهم، ليتفاجأ بأخيه إبراهيم
وقد سمع قوله يأتي ويُردد بتوتر:

"ليلي.. إهدي، كل حاجه بخير لو انتِ بقيتِ بخير، ليلي، أحمد كويس متقلقيش،
إهدي، خلي كل تفكيرك إنك ترجعي بس وأي حاجه تانيه هتتحل، موت بسملة ده
أيًا كان حصل ازاي هو قدر وربنا اللي كاتبه، اوعي تنسي أبدًا دروس الدين اللي بابا كان
بيديهالك في الصبر والإستعانه على الشدائد بالله، أنا عمري ما نستها يا ليلي.. لأن
بابا عمره ما قالها ليا، أنا كنت بستخبي واسمعه وهو بيقولها لك يا ليلي!"

كان هذا آخر ما رآته ليلي، قبل أن تُغلق المكالمه من ذاتها، لتضع ليلي يدها على
رأسها بألم شديد، مُغمضة عينيها بقوة وهي تهمس:

"حلم.. لأ كابوس.. كل ده كابوس.. كابوس كابوس كابوس كابوس!"

في حين شعر محمد علي تلك اللحظة أن الأمور حقًا خرجت عن السيطرة، وأن كل ما سيأتي سيكون أسوأ من الأسوأ !



"أطلس.. في الحقيقة.. أنا أريد أن أعترف لك بشئ.."

نظر لها الآخر بإرهاق مردفًا بغير إكتراث:

"ماذا ريا، هيا قولي حتى أذهب وأأخذ الساعة من ليلى، فهي صممت وبشدة أن تأخذها في هذا الصباح الباكر لتطمئن على أحمد"

نظرت الأخرى للأرض طويلاً، قبل أن تتجمع الدموع بعينيها فجاءه، قلق أطلس مرددًا بخوف:

"ر.. ريا، ماذا بك يا صغيرتي؟"

تنهدت ريا طويلاً، قبل أن تردف بدموع:

"أعلم أنك تكرهني منذ حادثة ليلى، وأقسم لك أنني ندمت أشد الندم بعد ذلك، وأعلم أيضًا أنك سامحتني وغفرت لي حينما عاملت الفتاة جيدًا بعد موت رفيقتها و.."

قاطعها مرددًا بحنان وهو يربت على كتفها بهدوء:

"أهذا ما يُبكيك يا ريا؟، انتِ ابنتي واختي وصديقتي وأمي ريا.. أنا لا أملك أحدًا غيرك، انتِ سر سعادتي ريا، أتمنى أن تكوني فقط أكثر نقاء بعد موت صديقتك العزيزة،

وأريد أن أؤكد لك أنك شخص رائع، وستصبحين أروع مع نقاء قلبك، وأؤكد لك أنني لن أتركك وسأكون أكبر وأول سند وداعم لك في تلك الحياة!"

نظرت الأخرى له بندم يقطّعها ويجلدها، لتردف بما بث الرعب وأزال الابتسامة من على وجه أطلس:

"ولكن.. لم أقصد ذلك، هناك شيئاً آخر.."

نظر لها بعدم فهم لتردف على حين غرة ودموعها تزداد إنهمازًا:

"أنا سيأكلني الندم وأنا على قيد الحياة إن لم أخبرك.."

أطلس، في الحقيقة، لقد رأيت ليلي وصديقتها عندما تسللو وخذعوا عثمان، وسمعت ليلي وهي تخبر صديقتها بخطتها للذهاب الى المعركة، ولكني لم أمنعها ومثلت أنني لا أعرف شيئاً.. أقسم أنني لم أتخيل قط أن إحداها ستموت.. ظننت أن الجنود ستكشفهم قبل الرحيل وسيوبخها محمد علي وهكذا سأخذ انتقامي منها بعد إهانتها لي ودفعي، أقسم أنني لم أعلم أنه يُمكن أن تتأذى إحداهن!"

ظل أطلس يحدق بها غير مُصدق ما تتفوه به، ظل يحدق بها بجمود، لا يُصدق حقًا ما تتفوه به، يحاول تكذيب سمعه وبصره يُحاول تكذيب وجوده حتى في تلك الحياة، نظر لها طويلًا.. بدون أي ردة فعل، أخذت تبكي وتطلب منه السماح وتصف له كم أنها نادمة وتكاد تموت ندمًا، حتى أنها جلست أرضًا وكادت تقبل قدمه في محاولة لكي يُسامحها، ولكن عند تلك اللحظة إبتعد هو وكأن أصابه ماسًا كهربائيًا، ليردد وقد تجمعت الدموع بعينيه:

"انتِ أكبر خيباتي ريا "

أخذت تبكي الأخرى وتنوح مُترجية إياه لكي يسامحها والآخر يُطالعها متجمدًا، وبعد حين نظر لها بفتور شديد، نظرة جليدية ولأول مره تراها منه كانت كالسكين الذي أصاب قلبها، ليردف بكل قسوة:

"انتِ لستِ أختي مُنذ هذه اللحظة.. ريا"

إنهارت الأخرى باكية ومُتوسلة ولكن الآخر لم يعطها ذرة اهتمام ليخرج من الغرفة ويُغلق بابها بعنف ورائه، وهُنا وجد ميسيليا تقف مُتجمدة، ليفهم أنها قد استمعت لإعتراف ريا الآن!

سار مُتجاهلاً إياها، مُتمنياً أن تركض وتخبر مُحمد علي حتى تنال أخته العقاب التي تستحقه، وذهب متوجهاً الى غرفة ليلي وهو يحاول أن يكبت دموعه، فتلك الفتاة قد وصلت لآخر مراحل الحزن، حتى أنه أضحي يتألم لها، يُقسم أنه يتألم لها ويشعر بالذنب الشديد باتجاهها!

كان لين أطلس ل ليلي بدافع العطف والذنب الشديد مما تفعله أخته على الرغم من شعوره أن ذلك ليس صحيحًا، ولكنه يقسم أنه حتى لا ينظر لها مطولاً وإن نظر لها نظر بشرود حزين على ما يحدث لفتاة صغيرة مثلها، فهو دائماً ما يتذكر أسماء جدتها، ليس لشيء سوى إندهاشًا من كُره أخته لها، فالفترة الصغيرة التي رآها بها كانت فتاة حيوية جدًا مثل ليلي ولكن أكثر إنضباطًا وأكثر وقارًا، كانت أسماء تُجبر من يراها على إحترامها وتجليلها، كانت فتاة ذات صوت هادئ، وأخلاق عالية، لا تنظر لأي رجل وهي تُحدثه، وتتحدث بإحترام شديد، وعلى الرغم من هذا كان يظهر ذكائها وفطنتها في حديثها، وكان ذاك يضيء عليها وقارًا شديدًا، كانت ذات شخصية قوية ولم ترضخ لحُزنها عندما صرّح أي يومًا أنه لا يستطيع أن يُعيدها لعالمها، ولم تسمع لكلمات ريا

الجارحة عندما كادت تُغادر، كانت تعلم أن صديقتها تتالم، ولكن أسماء كانت والدتها متوفاه وهي تعتني بإخوتها الصغار لذا لم تستطع أبدًا أن تظل بجانب ريا، غير ذلك، لطالما كنت أظن أنها لن تترك ريا أبد الظهر، حتى لو سيتم أذيتها بسبب ذلك، لم تكن تُحب أن ترى دموع ريا، كلما كنت أرى فعل حكيم لها من بعيد شعرت بداخلي يُردد أن والداها أتقنا تنشئتها، وتمنيئًا لو كنت أحمًا لها لأحصل على والدين مثلهمما، بينما كانت ريا دائمًا بريئة وعفوية، كانت تتصرف دائمًا بعناد طفولي، ولكنني كنت أظن دائمًا أنها ذات أخلاق وعلى الرغم من كل شيء لديها مبادئ ثابتة، صحيح فور غضبها كانت تتحدث بوقاحة، وكانت تُلقى بعض الكلمات الجارحة بل لطالما شعرت أنها تصبح كالديك الرومي! ولكنني كنتُ أضحك وأكتمها في داخلي، كنتُ أحب ريا كثيرًا على الرغم من كل شيء، فأنا لطالما كنتُ ذاك الفتى المُتجمد الوحيد، أهمله والده كثيرًا فكانت خبرته بتكوين صداقات مُنعمة، كنتُ صلبًا وجامدًا، لم أُن يوماً مع أحد عداها، كنتُ أنظر إليها فأراني بطريقة ما، فأشعر أنني أريد إعطائي ما فقدته، ومن تعاملني مع ريا فهي فقدت الكثير أيضًا، لذا حاولت على قدر إستطاعتي أن أغرقها حنانًا وعطائًا بلا مُقابل، أتجاوز عن أخطائها، أنصت لكلماتها وأحاول إخراجها من أذني الأخرى دون أن أقف على معانيها، أوقفها عند اللزوم، ولكن في النهاية كنتُ أحتضنها ك ابنتي، وأحيانًا ك أمي التي فقدتها ولم أراها يومًا، وأحيانًا أخرى كصديقي الصدوق!

إشفاقي على ليلي إزداد مع رؤيتي لتخبط إخوتها، فأنا رأيتُ ذاتي في عيون أحمد القلقة، هذا الفتى يُحب ليلي أكثر مما أحب أنا ريا حتى!، هذا الفتى ليس قوي مثلي، مصدر إعجابي به أنه ضعيف، يبدو عليه قلة الحيلة، يبدو عليه ملمح طفل صغير يُريد والداه، لم يتخطى ذاك الفتى رحيل والديه وأنا أجزم ذلك، إنه يتعلق بأخته وكأنها

طوق نجاته،إنها سند له أكثر مما هو سند لها، إنها مصدر سعادته أكثر مما هو مصدر سعادتها،إنه فتى طيب يُكافح ويُجاهد، ولهذا أحببته وشعرت بالحزن عليه.

ليلي فتاة هوجاء، مُشاغبة جدًا وعنيفة أحيانًا وطفلة جدًا أحيانًا أخرى!، ليلي لم تكبر، أحدثها كحديثي مع طفلة تبلغ من العمر ثمان سنوات، وفي الحقيقة لا ألومها،فهي فقدت في سن مُبكر، وها هو يتتالي الفُقدان على قلبها الصغير الضعيف، وما أصعب الفقدان، ما أصعبه وأسوئه من ألم!

تفاجأ أطلس فور أن وجد باب غرفة ليلي نصف مغلق، كاد يدخل ولكنه تراجع ناسيًا أمر حجابها، كاد ينادي اسمها ولكنه فجاه سمع صوتها يُردد بحدة شديدة:

"برضو هتقعد تقولي غلطك وما غلطك ايوه أنا في الآخر السبب في كل ده!"

وقفت هي فجاه أمام الباب بظهرها، لينتبه رغمًا عنه الى أنها بالفعل ترتدي حجابها، كاد يدق على الباب لتنتبه، ولكن ما منعه أنها وقفت بميل حيث كانت الشاشة واضحة لأعين أطلس هو الآخر، وهُنا بعد أن كان يُمسك بيد الباب ليدق حتى تركه برعب شديد أصابه في نفس اللحظة التي صدحت صرخة ليلي مُجلجلة أركان القصر كله!



إستيقظت صباحًا، بل الأفضل أن نقول أنها لم تنم من كثرت بكائها على فُقدانها جدتها وروحها، فهي من إعتنت بها لو بنسبة بسيطة بعد فقدانها لوالدتها، في البداية جميع نساء العائلة اجتمعوا وأخذوا يخففون عنها، وكما هو الحال، عاد لينشغل الجميع في أحوالهم تاركين ليلي الصغيرة في حضن جدتها المُتعبة!

في الحقيقة لم تسمح لها الحياة تلك المرة بالحزن جيدًا على جدتها، فما هي ستدمر
وائل إن لم تعود بسملة.. المتوفية!

لم تأتي الساعة الثامنة صباحًا بعد وقد شعرت أن الأفكار ستُفجر رأسها، وخشيت
أن يُحكّم على وائل بالسجن في أي لحظة لِيُنقل إلى أي مدينة أخرى بعيدة!، ذهبت
إلى القاعة بالأسفل ليندهش محمد من إستياقظها، وكما توقعت كان أطلس يجلس
في الحديقة الخلفية كما أضحت عاداته منذ أيام وهو يعمل على الساعة، ذهبت
لُتحضرها منه وفور أن وصلت ردد أطلس بهدوء:

"أحبيتُ أحمد، تمنيت لو استطيع رؤيته في الحقيقة"

لو كانت الأخرى في طبيعتها لأخذت تمدح في أخيها وتصف كيف تشتاق له ولكن
ليلي كانت مُتوترة الملامح لُتجيبه بطريقة مُختصرة قبل أن تأخذ منه الساعة وتبعد
لغرفتها ركضًا!

جلست وأخذت تطلب أحمد وتظهر لها شاشة سوداء، لم تُدرك أن تلك غرفة أحمد
والأنوار مُغلقة فهو لم يستطع النوم سوى في تلك اللحظة، لذا ظلت تصرخ ب نبرة
مُرتفعة مُزعجة جدًا:

"أحمد"

تفاجأت حينما أفاق الآخر وهي لا تراه بسبب الظلام مرددًا:

"إي؟.. إي؟؟... ل.. ليلي!"

وقف هو سريعًا ليذهب فاتحًا ستائر نافذة الغرفة وهُنا دخل النور بقوة، كانت عيناه
حمران وبشدة، ووجهه شاحب أكثر من أمس، ويبدو عليه الإعياء الشديد.

نظر هو لأخيه إبراهيم الذي ينام على السرير الآخر بعمق وقد كانت الساعة على «الكومودينو» الموجود بينهما، ليُغلق الستائر مجددًا خارجًا بالساعة الى الخارج.

"ليلي.. أنا آسف.. ممكن نتكلم كمان شويه لوسمحتي؟، أنا منمتش بقالي كذا يوم وتعبان و.."

قاطعته ليلي مُردفه بحدة غريبة عليها:

"أنا عايزه أشوف أبيه"

نظر لها مرددًا بدهشة:

"دلوقتي!"

"أيوه، خايفة يتنقل في أي حته ومعتش أعرف أشوفه"

ردد بإرهاق شديد:

"لا متقلقيش يا حبيبتى لو اتنقل هعرف قبلها بكتير، وغير كده إن شاء الله تيجي قريب وتشوفيه وبعدين هو زمانه نايم هتقلقيه دلوقتي لي و.."

قاطعته مجددًا مردده بحدة شديدة:

"أنا عايزة أشوف وائل.. ودلوقتي!"

نظر الآخر لها لثانية بعدم تصديق مرددًا بضيق:

"ليلي انتِ سمعاني؟، طب انتِ شيفاني؟، شايفه حالي؟، طب انتِ واعية أصلًا؟"

كررت بنبرة آمرة أغضبت الآخر:

"أنا عايزه أشوف وائل.. ودلوقتي!"

ظل يُحدق بها لعدة دقائق بدون ولا كلمة في حين أن الأخرى لم تنظر لعينهيه أبدًا
للمرة الأولى ليُردف بغرابة:

"هربانه من عنيا لي؟"

إرتبكت فجاء مُرده بحدة:

"وهرب من إي يعني!"

تنهد الآخر بعنف وقد نفذ صبره وضاق صدره مما فيه مُتذكراً للحظات ما سمعه
إمبارحه من أخته ليشعر بأنفاسه تتسارع بحُزن شديد..

"أنا مس قادر دلوقتي يا ليلي، لا جسديًا ولا نفسيًا"

ردد بنبرة تقطر حزناً لتردف هي بحدة شديدة:

"أنا عايزه أشوف وائل.. ودلوقتي!"

وقف أحمد بقلّة حيله، يبدو أنه يتحدث مع صنمًا وليس ليلي، يبدو أن ليلي جُنت
حقًا!

حسنًا سيشفق عليها وسيسير في الشمس الحارقة وهو يشعر بالدوار والألم الشديد
بمعدته، ولكن من سيشفق عليه يا تُرى؟، مُنذ ولد يشفق عليها وهي لم ترحمه يومًا
ولم تشفق عليه.. لما يا ليلي لما؟، لما لا تشفقين عليه!

دخل غرفته ليرتدي أي بنطال مع أي قميص قابله، قبل أن ينتعل حذاء سريعًا غير
مكترنًا لشعيراته الحريية الغير مُرتبة، مرتديًا الساعة بضجر شديد ووجوم، وقد شعر
أن عينيه لا تتحمل حَقًا تلك الشمس الساطعة!

تجاوز الدرج خارجًا من المنزل، ليقف على الطريق الفاصل بين بيتهم وسياج البحر،
وهنا أخذ ينظر للطريق الفارغ لثُردد ليلي بنفاذ صبر:

"واقف ليه!"

لُردف الآخر بحدة على حين غُره أجفلتها:

"بستنى أي مواصله يا ليلى!"

صرخت به هي الأخرى:

"متزعقليش!"

"ااه رجعنا لقللة أدبك تاني أهو!"

شهقت بصدمة مردده:

"أنا قليلة الأدب!"

ليضع الآخر يده الأخرى على قلبه وقد شعر بوخذ غريب عليه، قبل أن يردف سريعًا
وهو يعاود النظر الى الطريق:

"مقصدهش"

ولكن الأخرى صرخت به بغضب:

"انت متعرفش أنا بيحصلي إي، أنا مش قليلة الأدب يا أحمد!"

نظر الآخر للساعة بعد أن نظر حوله بحذر خشيتًا أن يراها ويرى الضوء الأزرق أحد مردفًا بهدوء يحاول بثه في نفسه قبلها:

"إهدي يا ليلي، مغيث حاجه تستدعي عصبيتك دي، حقك على راسي يا ليلي، أنا بس مضغوط شويه، أصلي منمتش بقالي أيام كتير والله، وبعدين أنا عندي أعلى منك يعني يا قليلة الأدب!"

صرخت بحدة شديدة شعر بها تأذي أذنه:

"متقولش قليلة الأدب!"

نفخ الآخر بنفاذ صبر ونظر للساعة بقوة مرددًا بحنق شديد:

"خلاص بقي يا ليلي!"

"متقوليش خلاص انت اللي قاعد بتزعقلي وبتكلمني وحش وبتقول عني قليلة الأدب!"

نظر الآخر للساعة ليصرخ بألم غير منتبها لانه بدأ يسير خطى صغيره حتى صار تقريبًا في منتصف الطريق:

"ليلي!، ارحميني يا ليلي أبوس إيدك ارحميني!، ليلي أنا هنا طالع عيني من يوم ما إختفيتي، استهلكت نفسيًا وجسديًا وصحيا بسبب إختفائك!، غلطة غبية منك شوفي وصلتنا لفين دلوقتي، فوقي يا ليلي فوقي!"

"برضو هتقعده تقولي غلطك وما غلطك أيوه أنا في الآخر السبب في كل ده!"

وقفت من على فراشها بتحفز، أخذ الإثنان يُحدقان ببعضهما بغضب شديد، الآخر غضبه كان من كثرة تعبته وتحمله حتى يشعر أنه على وشك الانفجار، والأخرى غضبها من ذاتها ولكنها لا تدرك ذلك..

كانت غاضبة وناقمة وحادة مُنذ الصباح نظرًا لشعورها بالذنب الذي أضحي أكبر منها، أضحي كالوحش الذي يتغذى على كل خطأ من أخطائها، لم تعد تستطيع تحمله، لم تعد تستطيع النوم، لم تعد تستطيع تحمل كل ذلك الفقدان، كل ذلك الألم، كل تلك المحنة!

تعلم أنها سيئه، بل أنها أدركت مدى سوئها وعدم نضحها، وضعفها عندما تكون وحدها، ومدى إهمالها

ولكن كل ذلك.. كل ذلك جاء دفعتًا واحده فدمرها!، ليست كالدروس تلك، ليست كالدروس، هي حتى لا تعلم كيف ستعيش بعد الآن!

هل ستبقى عند محمد علي حتى الممات وتُتابع إخوتها من ساعة تحطمت كالخُرذة؟ أم ستعود لعالمها لتُقابل وابلًا من اللوم وربما الكره والصراخ بها على فعلتها مع بسملة!، مع العلم أنها لو كانت موجوده حينها لم تكن ستتردد أبدًا فأخذ الطقلة النارية عن صديقتها!

لا يرحمها أحد ولا ترحم هي أحد ولا ترحم ذاتها

تتأجج نارها تلك بسبب عدم رحمتها ورفقها بذاتها.. تضغط هي على ذاتها وتعصرها عصرًا، فتتمرد عليها وتملأ صدرها بالكره والحزن والنقم، والغضب!

نظرت اللوم التي تراها بأعين كل من تحبهم تقتلها، بل قتلتها، بكت كثيرًا في الليل ولأول مره صارخه بأنها تريد أبيها، تريد إحتضانه لها، رَفقه عليها، تويخ إخوتها من أجلها، دِفاعه عنها حتى لو كانت مُخطئة، ندأه لها بلقبه المُفضل «قرة عيني»، قُبلاته الحنونة، شعورها بأنها تملك سنَدًا وظهْرًا، داعمًا وحامِيًا ودرعًا، كل ذلك تفتقده وبشدة، تفتقده وتحتاجه بكل ما أوتيت من قوة!

لا تعلم ماذا حدث بعد ذلك، هي فقط كانت تنظر بغضب دفين في عيني أحمد وهو يُطالعها بذات النظرة، لتستمع فجاء الى صوت صفيّر مُرتفع جدًّا من إحدى سيارات الإسعاف التي تسير بسرعة شديدة لتجد فجاه الشاشة ترتج بقوة شديدة وصوت مكابح السيارة يكاد يصم أذنها، قبل أن ترى الطريق أمامها خالٍ، وقد بدأت الدماء الحمراء تتدفق أمام الساعة في مشهد مُروع، لتضع يدها على قلبها صارخة صرخة لم تصرخها من قبل!

وعلى حين غُرّه ظهر إبراهيم أمام الشاشة وهو يبكي مرددًا بألم شديد:

"أ.. أحمد، أحمد!"

وقد قلق مُنذ البداية عندما أخذت ليلي تنادي في الغرفة، ليتابع ما يحدث من بعيد، مُدرِّغًا مدى تعب أخيه، ومتوقعًا أنه سيفقد الوعي، ولكنه كان مُدرِّغًا أيضًا أنه لو حاول منعه من النزول لن يرضخ له، وليلي لن توافق على الذهاب معه، لذا قرر أن يُتابعه من بعيد قلقًا عليه، وفور أن انتبه لتلك السيارة المُسرعة ركض باتجاه أخيه.. ولكن لم يستطع أن ينجده!

نظر حوله لتتلاقى نظراته مع نظرات ليلي، لترى دموع أخيها إبراهيم لأول مره، بل رأته يشهق بعنف صارخًا باسم أخيه، قبل أن ينظر ل ليلي لمدة ثانية بنظرة طويلة

ذات مغزى.. ليست نظرة إتهام.. إنها فقط نظرة شفقه، لتتفاجأ به يضع يده على
الساعة لتختفي الشاشة تمامًا، وتفقد معها ليلي وعيها!

الفصل السابع عشر والأخير

" إنتهاء الرحلة الحزينة! "

كان يجلس في قاعته ولأول مره في تاريخ حياته دامع العينين، أحمر الوجنتين، يتمتم بكلام غير مفهوم وغير واضح!

ولكنه من حين لآخر كان يردد بصوت جهوري حزين:

" أقسم أننا على فراقك لمحزونون يا أحمد، لمحزونون يا أحمد "

في حين جلس أطلس وكانت يده ترتجف رغماً عنه، فتلك كانت المرة الأولى التي يرى بها أحداً يموت، وقد أوكد لهم الخبر عندما قاموا بالإتصال مجدداً ليجدوا جميع الإخوة يبكون بقوة ليُغلق سريعاً غير مُتحمل هيبة المشهد!

بينما عند ليلى الفاقدة للوعي منذ أكثر من خمس ساعات ولا تستيقظ وكأنها تقاوم الإستيقاظ، كانت ميسيليا تبكي، وجسدها يختلج، بينما ريا تحدق ب ليلى ودموعها مُنسابه، تحدق بها بطريقة غريبة!

ذهبت الى غرفتها وظلت تبكي بقوة وهي تتطالع الساعة بنظرات غريبة، قبل أن تحتضنها بقوة هامسه:

"لم يشأ أن تتحقق، لم يشأ خالقي أن تتحقق أمنيبي ، من انتِ لتقفي أمام القدر يا ريا! "

"ها أنتِ خسرتي أخيك وحياتك وذاتك، لا ضرر من إراحته منك ومن سوءك وخيبته بعد كل ذلك التعب!"

"سيحزن قليلاً ولكنه سيعتاد بعد ذلك، فهذا مثل رحيلي الى عصر آخر لم يكن ليفرق شئ!"

تمتتم بتلك العبارات، من ثم خبأت الساعة بجيب سترتها، عائدة لغرفة ليلى.
نظرت لميسيليا ببسمة صغيرة غريبة، قبل أن تحتضنها هامسة:

"انتِ فتاة لطيفة جداً ميسيليا"

لم تفهم الأخرى ما يحدث، ولكنها خرجت لتُحدث محمد علي كما أخبرتها ريا بعد ذلك.

أغلقت ريا الباب جيداً وراء ميسيليا، من ثم أخذت تنظر ل ليلى بعمق هامسة:

"تُشبه أسماء بطريقة غير طبيعية!"

من ثم اقتربت من ليلى لتدفعها برفق مُرده بصوت منخفض:

"عزيزتي.. ليلى.. استيقظي.. ليلى.. كل شئ سيعود يا عزيزتي.. أعدك.. أفيقي وس تري بسملة وأخيكي وائل وأحمد سالمين!"

وبعد أكثر من عشر دقائق في المحاولة حتى ظنت ريا أن ليلى قد توفت، فتحت الأخرى عينيها بعدم إتزان وبدون حرف واحد!

وهنا نظرت لها رياء، قبل أن تُساعدها وتجعلها تعتدل جالسة على الأريكة أمام السرير، لتقف رياء على ركبتيها مُمسكه بيديّ ليلى التي تُحديق في الفراغ مردده والدموع تملأ عينيها من تلك النظرة المُحطمة المُنكسرة في عينيّ ليلى:

"ليلى.. أنا أذيتك كثير أنا عارفه.. بعلمك وبدون علمك، وأنا هعوضك، ليلى أنا هصلح كل حاجه متقلقيش!"

لم تكترث لها الأخرى، لتهمس بما ضخ الدم في عروق ليلى:

"هرجعلك بسملة وأحمد ووائل!"

نظرت لها الأخرى لتُكمل وهي تخرج الساعة من جيبها مردده:

"سه أُعيدك"

ضحكت الأخرى بسخرية مردده بطريقة غير مُترنه وكأنها سَكره:

"بتكذبي عشان تخلصي مني وترجعيني لعصري فقلبي يتفتت في عزا أغلى من أملك!

"

ابتسمت الأخرى، لُتردف بنبرة حنونه مُتحدثه بلهجة ليلى حتى تفهمها ببساطة:

"بصي يا ليلى، الساعة دي أعرف عنها معلومة أطلس ميعرفهاش.. العقارب دي شايفه واقفه على كام؟.. رقم عشره ورقم واحد صح؟"

أومات لها الأخرى بطريقة قطعت قلبها لتُكمل مُحاولة كبت دموعها من شكل ليلى المُثير للشفقة:

"ده مش معناه إن الساعة عشرة وخمسة لأ.. ده اليوم اللي إنتقل فيه محمد علي عندكوا في السرو"

نظرت لتعابير ليلي الغربية لتكمل بهدوء ووضوح:

"المعلومة اللي أطلس ميعرفهاش، إن لو كسرنا الساعة، هترجعك بالزمن لليوم اللي هي واقفه عليها، لإن دي مش أرقام وقت، دي أرقام أيام يا ليلي، وليها نظام معين ورموز كتير غريبة زي ما انتي شايفة بدأ يظهر ويلمع دلوقتي أهو، بيظهر وبيلمع كده لما بتحس إننا خلاص.. قررنا نتخلص منها عشان نرجع بالزمن لورا!"

"ومعملتيش كده لي من زمان؟، سبتييني أتعذب كل ده لي؟، ولما أرجع بالزمن.. إي هيحصل جديد؟"

إبتلعت ريا غصة في حلقها مردده:

"الي أطلس يعرفه إن الساعة دي لو اتكسرت، هتموت أي حد عمره متعلق بيها، وأنا عمري متعلق بيها يا ليلي.. أطلس لأ.. هو قالي إنه حاسس إنه بيكبر، إنما أنا لأ عمري واقف يا ليلي، ولما الساعة دي تتكسر وترجي بالزمن أنا هموت، عشان كده مقولتش عليها قبل كده!"

نظرت لها ليلي وقد امتلئت عينيها بالدموع لثُكْمَل ريا وقد انهمرت دموعها رغمًا عنها:

"لما ترجعي بقى يا حبيبتى، هتكوني ناسيه كل حاجه، الساعة دي أول لما تتكسر كل ده هيثمجي من ذاكرتك يا ليلي، كل اللي هيعيش هينسى اللي حصل ده، انتِ وأخواتك ومحمد علي وأطلس، كل اللي عليكي بس، إنك لما ترجعي ليوم لما محمد علي ظهر

في المكان اللي قولتيلي عليه، تجري تلحقي إخوانك قبل ما يخبطوه ويوظوا الدنيا، لازم تمنعي إخوانك يوصلوا لمحمد علي يا ليلي.. ومحمد علي هيظهر في المكان الضلمة ده وهيفضل واقف دقيقة.. لو محدش جه ناحيته ويوظ الخطه، الساعة هترجعه تاني لنفس المكان عادي يا ليلي، فاهماني؟"

رددت الأخرى بشرود:

"يعني يومها.. لو مكنش علي وقع على محمد علي لما زكريا وأحمد زقوه.. كان هيرجع يختفي تاني وييجي هنا، ومكنش هيحصل أي حاجه من دي دلوقتي وحياتي كانت هتمشي عادي؟!!"

ربتت على يدها برفق مُرده:

"بالظبط، بس ده القدر.. ده المكتوب، عشان أنا عمري اتكتبله ينتهي دلوقتي، مش قبل كده.."

نظرت لها الأخرى بدموع مردده بارتجاف:

"بس أنا مكنتش عايزاكي انتِ كمان تموتي!.. كفايه موت بقى يا ربا.. كفايه موت.. وسيد أطلس هيزعل.. هو راجل كويس وعاملني حلو أوي.. أنا مش عايزاه يزعل!"

اشتدت دموع الأخرى لتترك الساعة مُمسكة بيدي ليلي بقوة مردده بحنان:

"تعرفي إني بحبك أوي؟، وكنت بغير إنك عيشي مع أسماء كتير وأنا لأ؟، أمانه عليكي بس، لو أسماء كانت عايشه، احضينيها جامد أول لما تشوفوها، الحزن اللي معرفتش أحضنه ليها بسبب حقدني عليها قبل ما تمشي، وأنا نيتي لما معرفتش أروحها عصرها"

هبطت دموع ليلى بغزارة أيضًا مردده بتساؤل:

"طب انتِ بتقولي إني هنسى كل حاجه، أو مال هفتكر ازاى إني أمنع أخواتي وأحضن تيتا؟!، ولي بتقولي لو عايشه مش احنا هنرجع بالزمن؟"

وقفت ريا لتخرج قلم من جيب قميصها أيضًا، وقفت ليلى مُقابله لها، لتفتح كفها، وهُنا كتبت ريا بخط جميل:

"إمني إخوانك يمشوا من البيت، أو يوصلوا للشارع الضلمه.."

"متعرفيش عن الشارع ده أي حاجه تانيه عشان تفتكري أسهل؟"

شردت ليلى للحظة قبل أن تردف بسرعة:

"ده شارع بيت مستر حاتم، مستر حاتم بتاع العربي!"

أومأت بهدوء لتُكمل على كف ليلى:

"يوصلوا لشارع بيت مستر حاتم، ضروري يا ليلى، اوعي متعرفيش يا ليلى!"

نظرت الأخرى ل ليلى مُضيفة:

"وبالنسبة بقى ل لي بقول لو أسماء عايشه.. عشان أسماء ماتت لإن انتهى عمرها خلاص.. مش حادثة أو عن طريق الخطأ، فالرجوع بالزمن هنا مش هيرجعها.. هي قدرها إتكتب خلاص، أنا بقى مش عارفه، هل هتبقى عايشة ساعتها، ولا الزمن هيعمل إي!"

نظرت لها ليلى مُردده بدموع:

"بس أنا مش عايزة أنسى محمد علي.. ولا أنسى ميسيليا.. ولا حتى أنساكي انتِ وأطلس!"

ربتت عليها ريا مُردده:

"دي ضريبة نسيان موت تلاته ليكي، ونسيان كل حاجه وحشه حصلتلك يا ليلي، كده أفضل صدقيني "

وأخيرًا قامت ليلي باحتضان ريا بقوة شديدة، هامسة:

"شكرًا.. شكرًا!"

ربتت عليها الأخرى، قبل أن تردف وقد سمعت صوت أطلس يقترب وهو ينادى بإسمها بقوة غريبة:

"هيا سريعًا.. أمسكي بالساعة وأغمضي عينك، ثم افتحي عينك وإرمها بكل قوتك ليلي بكل قوتك!"

نظرت لها ليلي بأعين دامعه، وكادت تتراجع وهُنا جال بخاطرها مشهد دماء أحمد، ودماء بسملة، وتردد صراخها في أذنها، وبكائها، وصُراخ محمد علي بأنها سبب مقتل بسملة، وصراخها فور إصطدام أحمد، ونظرات إبراهيم، وغيره الكثير..

أغمضت أعينها بشدة، بقوة، وفي رأسها تدور أحاديثها مع بسملة طوال الليل، وضحكهم، ولعبهم، ومشاجراتهم وريا تُتابعها من بعيد بدموع غزيرة

أضائت الساعة بقوة شديدة، أضائت بقوة لتسطع في وجهه كلاً من ميسيليا وأطلس ومحمد علي الذين وقفوا أمام الباب وأطلس يصيح بأخته أن تخرج، ولكنه فور أن

رأى الضوء كاد يُجن، أخذ يدق على الباب بكل قوته حتى كاد يكسره، صارخًا بأعلى صوته حتى تسمعه ريا:

"لست وحدك ريا، أنا أيضًا لديّ خلل بعمرري، ريا لا تفعلني ذلك ريا، أنا أعلم ذلك السرياء حمقاء، ريا الساعة.. ريا انتِ ستدمرينا، ريا الساعة لن تعمل بشكل صحيح ريا، لو كانت ستعمل ل.. لكان أبي إسترد أمي!"

ردد الأخيرة بدموع ويئس فور أن أخذ الضوء يسطع ويسطح، وهُنا فهم أن من بداخل الغرفة لن يسمعه مهما صاح، فالساعة الآن غزلتهم تمامًا!

بينما فتحت ليلى أعينها بسرعة، لتنظر لريا مُودعة إياها بنظراتها وإبتسامة صغيرة عافت لإظهارها، قبل أن تهمس:

"بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شئ في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم، يارب.. انت عوني يارب"

وهُنا رفعت يدها لتلقي الساعة بكل قوة تملكها!



لم تعلم ماذا حدث بعد ذلك!

فقدت الشعور بالزمان والمكان، ختفت ريا وختفت الغرفة واختفى كل شئ!

كل ما يحيط بها هو هالة بيضاء ساطعة، من الأعلى والأسفل وكل الجوانب!، تتذكر كيف رأت قطع الزجاج المُتكسرة، وكيف سمعت صدى حُطام الساعة في أذنها قبل أن تغرق بكل ذلك النور الساطع!

ظلت تنظر حولها بعدم فهم، حاولت أن تصرخ ولكن لم يخرج صوتها، حاولت تحريك يدها لم تفلح، وكان قوى خفية تقيدها وتسحب صوتها!

فجاء، جفلت فور أن ظهرت صورتها وهي مُمدّه على الفراش منذ ثوانٍ من حولها في كل مكان أعلى وأسفل، في كل مكان كان به ضوء أبيض!

ثم.. بدأت تُتابع الصور واللقطات،

كل شيء حتى مشهد موت أحمد تكرر أمامها، صُراخها، سماعها لحديث أحمد، إعراف ربا الأخير لأطلس قبل أن يشاهد موت أحمد معها، بكائها لأيام، مُحاولتها التخلص من الساعة، كل شيء.. كل شيء أعاد أمامها ولكن بالعكس، صور ومقاطع مُتحركة تُعرض أمامها بسرعة شديدة وأحاديث هُنا وهمس هُناك، وضحكات هُنا وكلها لها ولمن يُعرض لقطته معها!

سمعت صرختها فور ظهور دماء أحمد، سمعت بكائها، سمعت ضحكاتهما، سمعت حتى صوت الطلقة النارية التي أصابت بسملة وعثمان!

وأخذ الزمن يتراجع والصور تعود للأقدم!

رأت بسملة، يوم الضربة النارية، سمعت حديثها مع عثمان لأول مره!، كانت ترى وتسمع كل شيء، ما كانت به في الواقع وما لم تحضره وما لم تكن به!

حتى أنها رأت وسمعت كل ما دار بين أطلس ومحمد علي في غرفة كبيرة بها كتب ونافذة خلافة وهو يقص عليه قصته ولما صنع أبيه تلك الأداة!

كل شيء.. كل شيء..

كلمات إبراهيم السامة، رأته دموعه طوال الليل!، رأته تفقد وائل لصورها جميعًا
بشوق بليغ!

ضحكات هنا وهناك، همساتها مع رفيقتها، حديث ميسيليا، مُقابلتها لميسيليا أول
مره، حتى يوم جاءت أول مره الى ذاك العصر!

بدأت الأحداث تعود أكثر.. الى المنزل وكيف سُجن وائل، وحديث أحمد مع خالد
والد بسملة، وعودة وائل وضربه لأحمد!

وكيف أحضرت الساعة، حتى أنها رأته كيف أسقط زكريا أكواب العصير فزعًا، مرورًا
بمشاجراتها مع أحمد والمعلمة، وإغمائها.. عادت أكثر ليوم أخذ علي صورة لمحمد
علي وليلى.. وحتى وجود محمد علي ببيتهم، قبل أن يظهر فجاء أحمد وزكريا وعلي
يمشون بطريق مُظلم وهم يتضحكون قبل أن يدفوعه في طريق مُظلم لتسمع صوت
صرخة محمد علي، وعند تلك النقطة، اختفى كل شيء من حولها لتسمع صوت تكسير
زجاج قوي جدًا جعلها تُغمض عينيها بألم فهي لا تستطيع تحريك يديها لتضعهما
حتى على أذنها!

وفجاء.. هداكل شيء حولها.. فتحت أعينها بعدم تصديق.. هي.. هي في غرفتها.. إنها
حقًا في غرفتها!!

أخذت تضحك، تضحك وتضحك بعدم تصديق، تلمس فراشها بعدم تصديق، قبل
أن تنتبه فجاء للتقويم المُعلق على حائط غرفتها ملاحظة أن الورقة الرديئة للتقويم
والتي كُتب عليها «العاشر من يناير» قد لمعت بلون ذهبي قوي جدًا لفتها، وهُنا
تداركت وخطر ببالها شيء لتصرخ بفرح وهي تركز خارج البيت سريعًا!

أخذت تركض بكل جهدها، تركض وتركض، تكاد تبكي وهي تدعو الله بأن تستطيع
اللاحاق بإخوتها الآن!

أخذت تجري وتجري والجميع ينظر لها بأندهاش شديد، وهنا لاحظت من بعيد
إخوتها يقفون أمام ذلك الشارع ويتحدثون بضحك وحتى أنها لاحظت يد زكريا ترتفع
ويكاد يدفع أخيه علي!

شعرت بأنفاسها تتوقف، هي لن تلحق بهم.. لقد.. لقد.. فِشَلت!!

في غمضة عين، لمع ضوء ذهبي، لتختفي وتظهر خلف إخوتها مباشرة، لم تتدرك
ذاتها، فقط قامت بإمساك يد زكريا سريعًا وسحبها للوراء بقوة ليسقطا الإثنان بعيدًا
عن الشارع المُظلم!

نظر كل من علي وأحمد بصدمة ورائهم قبل أن يُردد علي:

"إي جابك ورانا ومشاكى لوحدك بليل كده يا ليلي!"

في حين أخذ يتأوه زكريا بألم، بينما إنخفض أحمد بحنان مرددًا بقلق:

"انتِ كويسه يا ليلي؟.. مالك وشك مخطوف كده لي؟؟"

إمتلئت عينيها بالدموع هامسة:

"أنا نجحت!.. علي موقعش.. أنا نجحت!"

أخذت دموعها تنساب بغزارة ليردد أحمد بقلق شديد:

"حبيبتي قلبي مالك؟، حد زعلك؟، حصل حاجه؟"

وهنا وقفت ليلى سريعًا وقد كان زكريا يقف هو الآخر بعد أن تمالك ذاته وأخذ يُطالعها بقلق سارت بضع خطوات متراجعة فساروا ورائها، وهنا وبعد أن إبتعدت عن الشارع المظلم كثيرًا، التفت لتركض مُرتمية بأحضان أخيها أحمد صارخه ببكاء شديد:

"أنا بحبك أوي يا أحمد!"

إنسابت دموع الآخر وأخذ يربت على ظهرها مرددًا بابتسامة حنونه:

"وأنا أكثر يا قلب أحمد.. أنا أكثر والله يا أميرتي"

وهنا ردد زكريا بغيرة:

"عمرك يعني ما حضنتيني وعيطي يختي، عمومًا يلا بينا نروح أنا مش فاضي للكلام الفاضي ده عايز أذاكر فيزيا"

قلب علي عيناه بضيق شديد مرددًا بحنق:

"فيزيا فيزيا فيزيا، متخققناش بقى يا عم مش هتطلع عالم في الذرة يعني!"

لُيردف الآخر دافعًا علي في كتفه:

"هبقى دكتور.. دكتور يا عسل زي وائل"

وهنا أمسكه علي من تلايبب ملابسه مرددًا بعنف:

"انت قد الزقه دي؟"

ولكنه ترك زكريا فور أن سمع صوت ضحك ليلى بقوة، نظر لها بدهشة وقد كادت البسمة تشق وجهها، لتسقط دموعها وهي تردد:

"وحشتوني أوي يا جماعه بجد!"

ليردف زكريا:

"البت دي باين اتهبلت، ما احنا كنا لسه في وشك يا بنتي!"

بينما ضحك علي مرددًا:

"كوتي كوتي هرمونات ليلى باظت كوتي كوتي"

دفعه أحمد مرددًا وهو يربت على ظهر ليلى بحنان بليغ:

"بس يا بني، اللي هي يقرب من ليلى هقطعها، انت حُر!"

ضحكت بخفة، لتقف بين كلاً من زكريا وأحمد مُمسكه بكل فتى من يده مردده وهي تسير معهم نحو منزلهم عائدين بينما يسير علي أمامهم ويقوم بفعل حركات رياضية تُضحك ليلى:

"إنكلموا.. متسكتوش كده قولوا أي حاجه وحشني صوتكوا!"



بينما في ذلك الشارع المُظلم بشدة، ظهر ضوء ذهبي اللون لثانية قبل أن يختفي مُجددًا وقد كان هناك أحدٌ ما يرتمي أرضًا ينظر حوله بعدم تصديق، وقف بدهشة شديدة غير مُدرك لماهية ما حدث له، قبل أن يصرخ فجاء عندما وجد الظلام يُحيط به من كل جانب:

"عثمان، أيها الأحمق الغبي، أقسم أنني سأقتلك، سأحطم رأسك يا خائن، أنتختفني؟!، أنتختف عزيز مصر يا حثاله؟، أيُخطف مُحمد علي يا غبي"

أخذ يتحسس ظهره بيده متألّمًا وهو ينظر حوله للظلام الدامس قبل أن يتفاجأ بذاك الضوء الذهبي يظهر مجددًا وبقوة شديدة ليبتلعه الضوء مُختفيًا من المكان!



" ليلي انتِ كويسه ؟ "

رددت إحدى الفتيات وقد كانت ترتدي ملابس مدرسية وهي تُطالع ليلي التي تقف على باب الفصل مُنذ أكثر من ساعة ونصف فهي أول من جاء بالمدرسة ناظرة بقلق شديد!

"اه يا ميار أنا كويسه، شكرًا على إهتمامك"

أردفت الأخيرة بلطف أذهل تلك الفتاة، ف ليلي لم تترك أحدًا بفصلها إلا وعاملته بجفاء حتى يبتعد عنها، ولكن على الرغم من اندهاش ميار تلك ابتسمت ل ليلي لتذهب وتُخبر أصدقائها عن ذاك التغيير الجبار ب ليلي!

ثوانٍ، وفزعت الفتيات من صوت صُراخ ليلي الفرح مردده:

"بسملة!"

ركضت نحوها بكل قوة لتحضنها بشدة مجهشه في البكاء رغمًا عنها!

إحتضنتها الاخرى بقلق شديد مردده:

" انتِ كويسه يا ليلي؟! "

لتظل الأخرى تبكي كثيرًا وهي تتمسك بها بقوة وكأنها تخشى أن تكون بحلم، قبل أن تبعد عنها ناظره لعينيها السوداء اللامعة كالعادة غير مُصدقه، لتعود وتحضنها مجددًا!

ظلت هكذا قرابة الخمس دقائق، قبل أن تأتي المعلمة علياء مردده بقلق شديد فور أن سمعت ببكاء ليلي ذلك:

" انتِ بخير يا بنتي؟ "

نظرت لها ليلي بإفتقاد شديد لتحضنتها هي الأخرى مردده ببكاء:

"وحضرتك برضو وحشتيني أويي، أنا بحبك أوي يا مس، أنا بحبكوا كلكوا أوي!"



"وبعد كمية البُكا اللي بكيته في البيت مع أخواتي وفي المدرسة، حسيت براحه كبيره جدًا، أكني اتغسلت كده، أو يمكنا القول أكني بقيت أنقى وأظهر!، إني أشوف بسملة تاني بإشراقها وضحكها ومرحها طول اليوم دي حاجه مُبهجه جدًا ونعمه مكنتش حاسه بيها، حضن أحمد ليا وخناق علي وزكريا نعمه مكنتش حاسه بيها، وجودي في أضتي حبيبتي رفيقة الدرب نعمة مكنتش حاسه بيها.. إني البس لبسي القديم.. أبص من بلوكنتي على البحر.. بيتنا البسيط.. مكالمتي لوانل امبارح وأنا شيفاه بخير في انجلترا.. كل ده صفى قلبي.. رجع حياتي تاني بعد ما كنت مُت!

ماهو بالمناسبة.. أنا منستش أي حاجه!، مُندهشه جدًا بس أنا فعلاً منستش حاجه وكنت ناسيه أصلاً إني كاتبه حاجه على إيدي، بس فعلاً خط ريا جميل بشكل!

بصراحه أنا مش زعلانه.. كل الذكريات دي وكل الأحداث دي علمتني كتير أوي..
خلتني بقيت شخص تاني.. أفضل بكتير من زمان!

اتعلمت دروس كتير أوي أوي أوي، أبسطها إني أقدر النعم اللي عندي وأحافظ عليها
في عنيا!

أحمد.. أحمد اللي مفيش كلام يوصفه.. بقيت بعامله زي الأمير.. زي ما يستحق
يعني.. بقى حبي ليه مُضعف مليون ضعف.. كل أما أشوفه أحضنه بشوق كبير هو
مستغربه، أعمله العصير اللي بيحبه، أقعد جنبه، واتحجج بأي حاجه وأقعد أتكلم
معاه.

زكريا بقيت كل شويه أدخله بفاكهه وأكل، أقعد أشجعه وأقوله إنه قدوتي فيضحك
بحرج بحبه و كان وحشني، أبص على كل الاستيكرز اللي فوق مكتبه على الحيطه
والكلام والصور وابتسم بدموع

نفس الحاجه كنت بشوفها من كام يوم بس من مكان تاني في عالم تاني في عصر تاني
بمشاعر تانيه!

يا الله يا مُقلب القلوب، إزاي غيرت حالي من أقصى اليسار لأقصى اليمين بجد!

يا الله، إزاي نجتني من حافة الهلاك، إزاي!

الحمد لله، الحمد لله!

كلمت وائل.. شجعته على خطوة الجواز وباركتله، واتمنيت أشوف العروسه
المحظوظه في أقرب وقت.

اتاكدت إن كلهم ناسيين.. ما عدا واحد..

إبراهيم!

غصب عني كلامه كان لسه مقصر فيا، بس اللي استغربته إن ثاني يوم من رجوعي
لقيته جاي، وأول لما دخل حضني!

كان جاي متغير وملامحه غريبه!

مصرحش ولا قال أي حاجة تقول انه فاكر حاجة بس تصرفاته شككتني في ده

وعلى العموم أنا مسألته وهو مقالش.. بس من يومها وهو بقي حنين عليا خالص،
بقي بيضحك معايا وييجلي هدايا!، حاجة يعني عمري ما كنت اتوقعها!

نفسى أوي أعرف أحوال الكل عند محمد علي، يا ترى فاكرين؟ ولا فيهم اللي نسي
وفيهم اللي فاكر؟، ويا ترى عثمان عاش برضو لا لأ؟، عندي فضول كبير بجد..
والأكبر واللي بيوجعني يا ترى ريا عايشه ولا.. ماتت!

صحيح، تيتا أسماء لما سألت عليها أخواتي جاوبوني باستغراب وقالولي إنها ماتت
السنة اللي فاتت، وفكروا إن ده تأثير الصدمة لسه عليا، بس أنا معدتش زعلانه أوي
زي الأول، عشان حاجتين:

الأولى/ لو كان لسه مكتوب ليها عمر تعيش.. كانت على الأقل الساعة هترجع هولها

الثانية/ بصراحه أنا فقدت كل حاجة غالبية مره واحده، فرجوعهم كلهم ما عدا واحد
أهون كتيير!

وأحياناً لما بسرح مع نفسي بقول جايز ربنا عمل ده كله عشان كان زماي متدمره لو
كنت على وضعي قبل لقاء محمد علي وتيتا ماتت

وعشان برضو أحس بقيمة النعم اللي عندي!

طبعاً مش هكذب وهقول إن الحياة وقفت كده وكل حاجه طبيعيه، من ضمن
الحاجات الغريبه جداً اللي حصلت إن يوم عشرة واحد في النتيجة لسه منوره ذهبي
زي ما كان يوم أما جيت أكن حد ملونه!، أنا بالفعل عنته تحت مرتبتي عشان محدش
ينتبه لحاجه غريبه زي دي!

وتاني أغرب حاجه كانت شعري!، شعري البني الجميل إتحول نصه ل أبيض!

شعري نصه اللي ورا كله بقى لونه أبيض زي الناس العجوزه!، أبيض شيب مش أبيض
عادي!

حاولت ألم شعري بطرق مُختلفه عشان أخواتي ميخدوش بالهم، وفعلاً مخدوش
بالهم لإني اشتريت توكه بتخي شعرك من ورا لو عملتية كحكه، فأنا اشترتها والدنيا
مشت، مع إني مش بحب أربط شعري أصلاً!

ومن ضمن الحاجات الغريبه والمخيفه برضو إن بدلت محمد علي اللي كانت هنا
اختفت، معدش ليها أثر..

وحتى صورتي معاه، كانت موجودة -ودي حاجه غريبه جداً لأن المفروض رجعت
بالزمن قبل ما آخذ الصورة دي- بس محمد علي مكنش فيها، الصورة نصها بالفعل
فاضي وأنا في النص الثاني، ولما سألت علي عليها قالي إنه مش فاكِر، أو ممكن مش
هو اللي صورني أصلاً!

وبس..

هي دي قصتي، هو ده كل اللي حصلي، هو ده كل اللي عيشته!

حببت أسجل كل ده هنا عشان لو نسيت في يوم من الأيام، أنا مش عايزه أنسى، عايزه احتفظ بالذكريات دي، عشان تكون ليا عون لما أقع في أي أزمة، وأفكر إني عدت باللي أصعب منها مليون مره!

بصراحه، مقدرتش أسامح ريا أوي بعد اللي سمعته بوداني وشوفته بعنيا وهي بتعيط وبتقول لأطلس اللي عملته فيا، بس هحاول أسامحها جازي تكون ماتت أصلاً.

وأخيراً، سيد أطلس بقى البطل الأسطوري المشهور في مدرستنا!، حكيت عنه لكل المدرسة على أساس إنه بطل أسطوري قرأت عنه في كتاب قديم ل بابا!

والكل دلوقتي بقى يحكي ويتحكا عنه زي ما وعدته، ما خلاص، بقيت أصحاب ناس كتير عادي ومخافش أتكلم لما الكل يبصلي!

ورجعت أجتهد في دراستي والحمد لله دراجاتي بقت حلوه جداً، ومبسوطه بنظرة الفخر اللي في عين أحمد ووائل ليا!

ننهي بقى كل الجمال ده بوصية حلوه أووي قرأتها

هي وصية جبران خليل جبران لما قال :

صدّقني لو فقدت ما فقدت.. لو كسّر الحرمان أضلاعك.. ستجتاز هذه الحياة كما يجتازها كل أحد.. فاختر الرضا يهّن عليك العبور.

وانا إخترت الرضا والحب لكل اللي حصلي واللي هيحصلي..

إخترت الرضا والشكر لرب ميزني، وخلاني أخوض مُغامره زي دي، غيرتني ١٨٠ درجة!

"

"ليلي!"

أغلقت هي تلك الكراسة الوردية سريعًا، قبل أن تُخفيها جيدًا بين مراتب فراشها، لتركض مستجيبه لنداء أخيها وائل الذي عاد تَوًا من سفره!

أخذت تُرحب به وبعد الكثير من الترحيبات إجتمع الستة إخوه أمام التلفاز وأمامهم الكثير من التسالي وهُنا قال وائل ل علي:

"مش سامع، عليّ الصوت كده ما أسمع آخر الأخبار في البلد"

قام علي برفع الصوت بضجر فهو كان يريد أن يشاهد فيلمًا بينما كانت ليلي تُحضر بعض المشروبات للجميع ولكنها فجاء تصنمت بمكانها وهي تسمع صوت المذيع يُردف بعملية:

"وكما نعلم أول مدرسة قام محمد علي باشا ببنائها التي تُدعى مدرسة ليلي وأخواتها وقد كان بها ثلاث قاعات رئيسية قاعة الأميرة ليلي وقاعة الأميرة بسملة وقاعة الأمراء الخمس، وعن قصة تلك المدرسة شاع أن هُنالك أميرة جميلة تُدعى ليلي وأميرة أخرى تدعى بسملة بدون معرفة ما تبقى من أسمائهم عاشوا لفترة كبيرة مع الملك محمد علي، ومنه أسمى تلك المدرسة، وتقول الشائعات أن الأميرة ليلي كانت تمتلك العديد من الإخوة، ولكن ليلي كانت الأقرب لقلب محمد علي، لذا أطلق اسم ليلي وأخواتها على المدرسة الأعظم في تاريخ مصر"

"مالك يا لي لي انتِ كويسه؟"

ردد علي بتساؤل عندما وجد الأخرى تحديق بصدمة لُتردد ليلي بتأناه:

"ه.. هو المدرسة دي.. انتوا سمعتوا عنها قبل كده؟"

ضحك زكريا مرددًا بسخرية:

"غبية، يا غبية قولتلك ذاكري منهجك ميت مره مش بتسمعي الكلام، حد ميعرفش المدرسة دي يا غبية، طبعا محدش ميعرفهاش غيرك، دي المدرسة اللي أستاذ حاتم إدانا لقبنا على أساسها، مش على أساس إن وأخواتها زي ما إشتغلنا زمان، ودي المدرسة اللي قولنالك ميت مره بابا إختار اسمك حبًا فيها!"

همست الأخرى رغمًا عنها:

"وخلفنا نفس العدد حبًا فيها برضو؟"

وكان إبراهيم أول من سمعها لُتردد بتشويش:

"ما تقلبوا يا رجاله وتجبوا لينا مسلسل ولا أي حاجه نشوفها"

وهنا نظرت لهم ليلي بشرود، قبل أن تركض الى غرفتها مُغلقة الباب ورائها وهي تمسك بهاتف أحمد في يدها!

أمسكت الهاتف وفتحت برنامج المُتصفح «جوجل» لتكتب بيد مُرتجفة في خانة البحث:

"معلومات عن مدرسة ليلي وأخواتها"

وهنا ظهر لها نفس ما قاله المذيع فأخذت تقرأ بسرعة حتى وقعت عينها على جملة جمدت الدماء في عروقها..

قرأت بصوت مُرتفع وكأنها لا تُصدق ما تقرأ:

"وقال محمد علي باشا في تصريح له عن المدرسة جملة وحيدة لم يفهمها المؤرخون حتى الآن

إنه قال فقط

ليلي العريضة، أتذكر؟، فأنا أتذكر!

واللعبة التي ظنناها إنتهت للأبد

إتضح أنها لم تبدأ بعد

ليلي..

الحكاية..

لم تنتهي بعد

النهاية

كلمة

ليلي وأخواتها رواية، كانت حازه كده شبه إني بعند مع نفسي، سواء من ناحية كُرهى الجبار-اللي كان قبل الرواية لإني حبيته معاكوا- لمحمد علي وولاده بعد ما عرفت ظلمهم وإلخ، أو عدم تفضيلي لإسم أحمد عمومًا، فالرواية كده كانت عند فيا بطريقة مش طبيعیه .

ومع ذلك حاسه إن ده اللي خلاها بالشكل الجميل ده، فالحمد لله أولاً وآخرًا على نعمة الكتابة ونعمة الخيال !

ودلوقتي، أحب أعرفكوا عني قبل ما أشكر ناس مُعينة وقفوا جنبي جامد

أنا جوماننا أسامة البدالي، من مدينة السرو المُتواضعة، بكتب من تانية إبتدائي الحمد لله، وكتبت أكثر من سبع أعمال روائية منها اللي كمل واللي مكملش بس مفيش أي حازه منها اتنشرت وده أول أعماي اللي انشرها، طول فترة الإبتدائي كنت مُتخصصه قصص وخواطر، من بداية الصف السادس الإبتدائي كتبت اول رواية ليا، وهكذا تتالت الروايات المكتوبه والمركونه لحد ما حسيت إني بقيت أخيرًا قد خطوة النشر، وإن العمل ده فعلاً يستاهل يتنشر، وبحمد ربنا إن كان عندي الإستمرارية اللي خلتنى أتحسن فوق الوصف لو قارنا بين أول رواية كتبتها والرواية دي .

وإن شاء الله مش هوقف تطوير من نفسي على قد ما أقدر، عشان انت يا قارني العزيز تستحق الأفضل

أحب في الختام، أشكر أولاً أمي العزيزة، لأن في النهاية هي ليها سبب في كل حاجه حلوه في حياتي، رينا يحفظها لي، ويخلي لكل شخص أمه، أو النعمة اللي رينا رزق عبده بيها مكان حاجه تانيه هو خدها منه

ثانيًا هشكر شكر خاص لأنفال إبراهيم ميرة، صديقتي العزيزة من الصف الأول الاعدادي، والشاهد الأول والدائم بفضل الله على كل أعمالي، والمشجع الأكبر والأقرب لقلبي

ثالثًا شكر خاص لعزيزتي روان أمير، أحبك في الله، وشكرًا لأنك كنت من أكبر الداعمين لي ومن الأسباب اللي شجعتني أكمل وأنشر ودعمك ليا لا يتوقف أبدًا، شكرًا جدًا، وأتمنى أن يدوم المعروف والمودة يا جميلة الداخل والخارج

رابعًا، شكر كبير لجميع أصدقائي وخاصتًا جميلتي روان رفعت قنديل، حتى إن دعموني بدون قرائه، أحبكم كثيرًا، وأشكر كل من دعمني بالتصويت أو بتعليق لطيف، قريبًا كان أم غريبًا، يعرفني أو لا يعرفني، فوالله لا أحد يعلم كيف شجعتني ذلك وأعطاني ثقة بكتاباتي أكثر، وبالطبع لن أنسى عزيزتي ندى ناصر، المجهوله التي دعمتني كأحد أقرب الأصدقاء لي أنتم أصحابتم عائلتي يا رفاق، أشكركم كثيرًا، على دعمكم السابق أو القادم، وانتظروني قريبًا.. قريبًا جدًا فمازلت لحكايتنا مع ليلى وإخوتها بقية وأتمنى كل من وصل لتلك الكلمة وأنهى الرواية، أن يقوم بـ "ريفيو" صغير عنها في الجروبات ويعمل لي إشاره حتى تُساهم في دعمي وفي نشر رواية أعجبتك (إن أعجبتك) وإسعادي وإعطائي نجاحًا (أرى أنني أستحقه) وبس

مع تحياتي ..

ك/جومانا أسامة

